المجلة العربية للدراسات التاريخية

علمية محكمة تصدر عن مركز التاريخ العربي

العدد (١٢) - السنة السادسة ٢٠٢٥م

الأطماع الفرنسية في تشاد وموقف الحركة السنوسية منها (١٨٩٩ - ١٩١٣م)

د.جميلة مفتاح الجنزوري

د. يوسف حسن البرغثي

علاقة قبائل تادلا الرثمة من ما قبل الاستعمار إلى الحماية الفرنسية

الصافي عبد الرزاق

مكانة المتصوفة ودورها السياسي والاقتصادي والاجتماعي أواخر الدولة المرابطية

جمال رداحي

دور الإعلام في الحد من تأثيرات الحرب الناعمة وسبل مواجهتها ٢٠٠٣-٢٠٢٤م

ماجد أحمد الوشلي

الكشف عن البلدات والقرى السريانية التي ضمّتها الجغرافية التاريخية لتكريت حاضرة المفريانية

إبراهيم فاضل الناصري

نشأة مجال المهاذبة في العصر الوسيط المتأخّر من خلال نسخة أولى لوثيقة حبس

د.سلمى اللاّفي

د.رشدي بلمبروك

عدد مجاني - غير مخصص للبيع

المجلة العربية للدراسات التاريخية

تعريف بالمركز

تم إنشاء المركز عام ٢٠١٩م في مدينة إسطنبول على يد الدكتور محمد محمود خليل، كمساهمة في إثراء المعرفة التاريخية، والاعتناء بحضارة الوطن العربي، وتوفير ما يلزم من دراسات جادة ووثائق تاريخية.

التواصل

mmk1976mmk@gmail.com
www.arabhistorypublishing.com
+ 905446117942
Şirinevler - Istanbul - Turkey

أقسام المركز

- دار نشر
- مركز أبحاث
- قسم الوثائق العثمانية
- المجلة العربية للدراسات التاريخية

المشرف العام
د. محمد محمود خليل

المدير التنفيذي
أ. عمر الحوت

المدير المالي والإداري
أ. محمد محمود حلمي

شروط وأحكام النشر

١- تنشر المجلّة العربية للدراسات التاريخية الأبحاث الأصيلة ذات المنهجيّة العلميّة الرّصينة والتي تلتزم بالموضوعيّة، وتتوافر فيها الدّقة والجديّة. في التاريخ ، وكافة العلوم الإنسانيّة والعلوم الاجتماعيّة ذات الصلة بالتاريخ.

٢- كلّ بحث لا يحترم شروط النّشر لا يؤخذ بعين الاعتبار.

٣- تخضع كلّ الأبحاث إلى التّحكيم من قبل هيئة مختصّة، ويلقى البحث القبول النّهائي بعد أن يقوم الباحث بالتّعديلات المقترحة.

٤- للمجلّة كلّ الحق في أن تطلب من الباحث أن يحذف أو يعيد صياغة بحثه، أو أي جزء منه بما يتناسب مع طبيعة المجلّة.

٥- لا يجب أن يكون البحث قد سبق نشره أو كان جزءا من كتاب منشور.

٦- يتعهّد الباحث بعدم تقديم البحث للنشّر في جهة أخرى، بعد إقرار نشره في المجلّة العربية للدراسات التاريخية، إلاّ بعد الحصول على إذن كتابيّ بذلك من مدير المجلّة.

٧- لا تتجاوز صفحات البحث المقدّم ٣٥ صفحة.

٨- على الباحث احترام شروط الكتابة التّالية:

- تحتوي الصّفحة الأولى من البحث على؛ عنوان البحث، الاسم الكامل للباحث ودرجته العلمية، والجامعة التي ينتمي اليها باللّغة العربيّة واللّغة الانجليزيّة، البريد الالكتروني للباحث، ملخّص للدّراسة في حدود ١٥٠ كلمة حجم ١٢ بلغة المقال وبلغة أجنبيّة (لإنجليزية)، الكلمات المفتاحيّة بعد الملخّص.

- تقدّم الأبحاث مكتوبة ببرنامج Word بخط Traditionnel Arabic حجم ١٤، تكتب العناوين الرئيسيّة والفرعيّة للفقرات بحجم ١٤ مثلها مثل النصّ الرئيسيّ لكن مع تضخيم الخط. أما الأبحاث المكتوبة باللّغة اللاتينيّة فتكتب بخط Time new Roman، بحجم ١٢ وتكون الحواشي ٤ سم على جوانب الصّفحة الأربعة، كما تدرج الرّسوم البيانيّة والأشكال التوضيحيّة في المقال، وتكتب عناوينها والملاحظات التوضيحيّة أسفلها، أما الجداول ترقم ترقيماً متسلسلاً وتكتب عناوينها أعلاها والملاحظات التوضيحيّة أسفلها.
- يلتزم الباحث بتهميش المعلومات على طريقة APA American Psychological Association
- بالنّسبة لعلامات الترقيم، توضع النّقطة (.) بعد الكلمة مباشرة دون وجود فراغ بينهما، ويوضع فراغ واحد بين النّقطة وبداية الجملة التّالية. كما لا توضع النّقطة (.) أبدا في العناوين، أمّا إذا كان العنوان يضمّ عنوانين أحدهما فرعيّ والآخر رئيسيّ فيفصل بينهما بنقطتين.
- يجب إدراك الفرق بين الفاصلة بالعربية (،) والفاصلة بالأجنبية (,) واستغلالهما في الكتابة المناسبة، كما تكتب الفاصلة بعد الكلمة مباشرة ولا يوجد فراغ بينهما.
- تكتب واو العطف ملتصقة بالكلمة التي تليها ولا يترك فراغ بينهما.
- عدم تزيين النصّ بالألوان والخطوط العريضة وتكبير الحجم، يجب احترام الشروط المعروضة سابقا.
- ضبط اتّجاه النصّ بالعربيّة من اليمين الى اليسار، والنصّ بالأجنبيّة من اليسار الى اليمين، وضبط اتجاه الجمل في النّصوص إذا كانت باللّغة العربيّة او بالأجنبيّة.
- عدم الإكثار من الفقرات وجمعها في نصّ سياقي واحد، واللّجوء الى الفقرات عند الضرورة النصية.

٩- الأفكار والآراء التي يتضمّنها البحث لا تعبّر عن رأي المجلّة وإنما هي وجهة نظر أصحابها. كما أنّ هيئة تحرير المجلّة غير مسؤولة عن أيّ سرقة علميّة تتم في البحوث المقدّمة لها.

١٠- يرفق صاحب البحث تعريفا مختصرا بنفسه ونشاطه العلميّ والثقافيّ.

١١- ترسل الأبحاث الى إيميل المجلة

المحتويات

الأطماع الفرنسية في تشاد وموقف الحركة السنوسية منها (١٨٩٩ – ١٩١٣م)............................ ٢
د.جميلة مفتاح الجنزوري – يوسف حسن البرغثي

علاقة قبائل تادلا الرثمة من ما قبل الاستعمار إلى الحماية الفرنسية.................................... ٣٠
الصافي عبد الرزاق

دور الإعلام في الحد من تأثيرات الحرب الناعمة وسبل مواجهتها ٢٠٠٣-٢٠٢٤م ٤٥
ماجد أحمد الوشلي

الكشف عن البلدات والقرى السريانية التي ضمّتها الجغرافية التاريخية لتكريت حاضرة المفريانية ٦٥
إبراهيم فاضل الناصري

مكانة المتصوفة ودورها السياسي والاقتصادي والاجتماعي أواخر الدولة المرابطية ٨١
جمال رداحي

نشأة مجال المهاذبة في العصر الوسيط المتأخّر من خلال نسخة أولى لوثيقة حبس ٨٩
د.سلمى اللاّفي – د.رشدي بلمبروك

الأطماع الفرنسية في تشاد وموقف الحركة السنوسية منها (١٨٩٩ـ ١٩١٣م)

د.جميلة مفتاح الجنزوري
أستاذ مشارك
جامعة بنغازي

يوسف حسن البرغثي
استاذ مساعد
جامعة بنغازي

الملخص :

شهد نهاية القرن الثامن عشر وبداية القرن التاسع عشر تطلع الدول الأوروبية لسيطرة والتوسع في القارة الأفريقية، وخاصة بعد الثورة الصناعية التي اجتاحت أوروبا، حيث بدأت تلك الدول في البحث عن مواد خام لمصانعها واسواق جديدة لتصريف منتجاتها.

ومن هنا سعت الدول الاستعمارية لرسم الخطط من أجل تقسيم القارة الأفريقية فيما بينها وذلك بعقد سلسلة من المعاهدات والاتفاقيات تحقيقاً لأطماعها ومصالحها و ضماناً لعدم حدوث صدام وحروب بينها، وقد كانت فرنسا من ضمن الدول الأوروبية التي كانت تسعى إلى توسيع مستعمراتها في غرب أفريقيا وربطها بمستعمراتها في شمال أفريقيا، فكانت تطمح في تأسيس طريق يمتد من تونس إلى تشاد من ناحية وتوسيع مستعمراتها الجنوبية انطلاقاً من حدود الجزائر التي احتلتها عام ١٨٣٠م من ناحية أخرى، غير إنها اصطدمت بالقوى الإسلامية الموجودة آنذاك بالصحراء الكبرى فكان عليها أن تقضي على دولة رابح فضل الله المسيطرة على تشاد منذ عام ١٨٩٣ حتي ١٨٩٦م أضافة إلى بعض القوي الإسلامية الأخرى وعلى رأسها الحركة السنوسية التي كانت تعي مدى خطورة المحاولات الفرنسية للاحتلال الصحراء الكبرى وبذلك أخذت على عاتقها واجب الدفاع عنها حيث ادركت أن سيطرة فرنسا على تشاد ما هي إلا مدخل من أجل تنفيذ مخططاتها الاستعمارية في سبيل السيطرة على كامل الجنوب الليبي.

تهدف هذا الورقة إلى تتبع الأطماع الفرنسية في تشاد، ورصد الصراع وتنافس بين الحركة السنوسية وفرنسا حول تشاد، وتأثر هذا الصراع بالمصالح والمعطيات الدولية بمنطقة الصحراء الكبرى.

تتركز محاور هذه الورقة في النقاط التالية:

أولاً- الجذور التاريخية للعلاقات الليبية التشادية.

ثانيا- صراع فرنسا مع رابح فضل الله في كانم.

ثالثا- غزو فرنسا لكانم ومقاومة القبائل الليبية المستقرة في تشاد لها ١٨٩٩- ١٩٠١م.

رابعـاً- التنـافس والصـراع بين فرنسـا والحركـة السنوسية في تشاد ١٨٤٠-١٨٩٩م (المرحلة الاولي من الصراع).

خامساً- محاولة أحمد الشريف تكوين جبهة إسلامية في السودان الاوسط ضد الغزو الفرنسي للتشاد

سـادسـاً- المرحلة الثانية من الصـراع الفرنسـي السنوسي على تشاد وخروج السنوسية منها ١٩٠٤-١٩١٣م

سـابعـاً- التحالف السـنوسـي العثماني ضـد التواجد الفرنسي في تشاد ١٩٠٩-١٩١٢م.

الكلمات الافتتاحية : الصـراع، تركيا، السـنوسـية، فرنسا، تشاد، المجاهدين.:

Summary :

The end of the eighteenth century and the beginning of the nineteenth century witnessed the aspiration of European countries to dominate and expand in the African continent, especially after the industrial revolution that swept Europe, where those countries began to search for raw materials for their factories and new markets to sell their products, and from here the colonial countries sought to draw plans for Dividing the African continent among themselves by concluding a series of treaties and agreements to achieve their ambitions and interests and to ensure that no clash occurred between them.France was among the European countries that were looking forward to expanding their colonies in West Africa and linking them with their colonies in North Africa, where they aspired to establish a road extending From Tunisia to Chad on the one hand, and the expansion of its southern colonies from the borders of Algeria, which it occupied in 1830 AD, on the other hand.However, it collided with the Islamic forces present at the time in the Great Sahara and had to eliminate the state of Rabeh Fadlallah, which controlled Chad from 1893 to 1896 AD, in addition to some of the forces The other Islamic movement, led by the Senussi movement, which was aware of the seriousness of the French attempts to occupy the Great Sahara, and this took upon itself the duty of the It defended it, as it realized that

France's control of Chad is only an entrance in order to implement its colonial plans in order to control the entire south of Libya..

This paper aims to trace the French ambitions in Chad and monitor the conflict and competition between the Senus movement and France over Chad and the impact of this conflict on the interests and international data in the Sahara region.The paper’s axes focus on the following points:

The rivalry and conflict between France and the Senussi movement in Chad 1840-1899 and the withdrawal of the Senussi from it.

The Ottoman Sanusi alliance against the French presence in Chad.

Franco-Italian negotiations on the demarcation of the Libyan border, Treaty of Rome 1935

The Libyan-French alliance against Italian ambitions and its impact on the Libyan presence in Chad, 1939-1943.

Keywords; Ambitions, French, Chad, conflict, Senussi movement

أولاً- الجذور التاريخية للعلاقات الليبية التشادية.

أن العلاقات الليبية تشادية هي علاقات قديمة جداً، ترجع أصولها إلي علاقة حسن الجوار والتبادل الاقتصادي، وصلات الثقافية والاجتماعية الوطيدة بينهما.(١) وقد ساعد الموقع الجغرافي لكلا الشعبين في خلق التواصل بينها، ولم تكن الصحراء عائقاً أو حاجزاً بينهما، بل كانت جسراً تعبر منه القبائل القاطنة على طرفيها، حيث شكلت الصحراء لهما بعداً امنياً وعمقاً استراتيجياً، حيث عبرتها جماعات عديدة من القبائل والافراد، وكان لكل هجرة من هذه الهجرات أسبابها المختلفة (تجارة، أو نتيجة ظروف سياسية، أو اقتصادية) ، وأن كانت قد أدت جميعها إلى استقرار الليبيين في هذه المنطقة.(٢)

استقبلت بلاد السودان الأوسط العديد من الهجرات الليبية عبر فترات مختلفة حدثت بين منتصف القرن

(١) أ.م كاني (مظاهر الاتصالات الفكرية والثقافية بين شمال افريقيا ووسط السودان بين سنة ٧٠٠-١٧٠٠م) مجلة البحوث التاريخية، العدد الأول، السنة الثالثة، مركز جهاد الليبيين، (طرابلس،١٩٨١م) ، ص٩.

(٢) منى أبو القاسم أبو سبيحة، العلاقات الليبية التشادية ١٨٩٩-١٩٧٠م، مكتب الدراسات الاستراتيجية والمستقبلية، (ليبيا، ٢٠٢٢م) ، ص ٥٧.

التاسع عشر والعقد الثالث من القرن العشرين [١]، ويجدر بنا هنا أن نشير إلى وجود عدد من الاسر الليبية في السودان الأوسط قبل القرن التاسع عشر، حيث تشكلت هذه الاسر من التجار الذين كان لهم دور السبق في ربط العلاقات بين ليبيا والتشاد، لاسيما العلاقات الاقتصادية التي فرضت عليهم المُكوث في المدن التشادية للإشراف على تجارتهم، مما أدي إلى استقرارهم فيها ومصاهرة الاسر التشادية، مما زاد من توطيد الصلات الاجتماعية والثقافية بينهم، و قد شكل هؤلاء التجار ثقل سكانيا وبشريا كبيراً دفعهم إلى تأسيس أحياء سكانية خاصة بهم، مما يدل على كثرة أفراد هذه الجالية واهمية نشاطها الاقتصادي [٢]

لقد ذكر الرحالة رولفس في رحلته عبر أفريقيا أن التجار من الطرابلسية والفزازنة أقاموا أحيا خاصة بهم في كوكا [٣].

كما أورد جامي أن تجار سوكنه وهون وجالو وأوجله كان لهم احياء في مدينة سوكوتو – كان يوجد حي يسمي حي الغدامسية لا يزال موجوداً حتى الوقت الحاضر.[٤]

وكذلك ذكر الصادق مؤيد العظم في كتابه رحلة في الصحراء الكبرى بأفريقيا، رحلته التي زار فيها العديد من المدن الليبية، وأكد وجود أكثر من مائة وخمسين تاجراً من مدينتي طرابلس وفزان مقيمين في برنو عندما هاجمها رابح فضل الله.[٥]

ونستخلص من ذلك أن العلاقات الليبية التشادية ضاربة في القدم أي قبل القرن التاسع عشر، وأن الهجرات التي جاءت بعد ذلك كانت نتيجة لروابط متينة بين القبائل الليبية وتشاد ودراية مسبقة لتلك القبائل لا راضي تشاد،مما يدل على أن اغلب القبائل التي هاجرت كان لها أقارب يعيشون في تشاد منذ ما يقرب عن قرن من الزمان.[٦] ومن ابرز القبائل الليبية

---

(١) سعيد عبدالرحمن الحنديري، العلاقات الليبية التشادية ١٨٤٣ – ١٩٧٠م، منشورات مركز جهاد الليبيين ضد الغزو الايطالي،(طرابلس، ١٩٨٣م) ، ص ١٧.

(٢) محمد المبروك يونس، تاريخ التطور السيا سي للعلاقات العربية الافريقية ١٩٥٢–١٩٧٧م، مطابع الثورة العربية (طرابلس،١٩٨٨م) ، ص ٢١.

(٣) رولفس غريهاد، رحلة عبر افريقيا مشاهدات الرحالة الألماني في ليبيا وبرنو وخليج غينيا ١٨٦٥ – ١٨٦٧م ترجمة عماد الدين غانم، مركز جهاد الليبيين (طرابلس، ١٩٩٦م) ،ص ٤٤٥.

(٤) محمود شعبان را شد، القبائل الليبية في السودان الأوسط ودورها في تاريخ المنطقة ١٧٩٥ – ١٩١١م، منشورات جمعية الدعوة الإسلامية (طرابلس، ٢٠٠٣م) ، ص١١٢.

(٥) صادق مؤيد العظم، رحلة في الصحراء الكبرى بأفريقيا، ترجمة الكريم الشويرف، مركز الجهاد الليبيين (طرابلس، ١٩٩٨م) ، ١٦٧.

(٦) محمد امحمد الطوير، (ثورة عبدالجليل سيف النصر ضد الأتراك العثمانيين في ولاية طرابلس الغرب) ، مجلة البحوث التاريخية، العدد ١، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية،(طرابلس، ١٩٩٨م) ، ص ١٤٩.

التي هاجرت إلى تشاد أولاد سليمان، ورفلة، والمغاربة، وبعض المرابطين مثل القذاذفة، وقصدوا المواطن القريبة من بحيرة تشاد ومن مملكة كانم.(١)

ومن الممكن تقسيم الهجرات الليبية التي حدثت منذ منتصف القرن التاسع عشر إلى التشاد بثلاث هجرات رئيسية وهي كتالي :

-**الهجرة الأولى**: حدثت في عام ١٨٤٢م وشملت قبائل عدة من منطقة سرت وفزان ولكن معظم المهاجرين كانوا من قبيلة أولاد سليمان.(٢)

– **الهجرة الثانية**: فقد حدثت في عام ١٨٦١م وشملت عدة بيوت من منطقة سرت ومنطقة غرب اجدابيا، لكن غالبية المشتركين في هذه الهجرة كانوا من قبيلة المغاربة.(٣)

– **الهجرة الثالثة** : تكونت من عدة بيوت من قبائل مختلفة من سكان ليبيا كالمجابرة، الزوية، الحسون، القذاذفة،الجميعات، ورفلة، اولاد سليمان، والبركات، وغيرهم من سكان الجنوب من فزان إلى الكفرة، وبعض سكان المنطقة الوسطي حول خليج سرت، وتعد هذه الهجرة من أكبر الهجرات الليبية إلى تشاد وحدثت عام ١٩٢٨-١٩٣٠م(٤)

عمومًا كان سبب هجرة القبائل الليبية إلي بحيرة التشاد كانت نتيجة لتدهور الاحوال الاقتصادية وما رافقها من جفاف وقحط بسبب قلة الامطار في ليبيا، وأيضا كانت نتيجة للأساليب التعسفية التي استخدمتها الحكومة القرمانلية والإدارة العثمانية في عهدها الثاني ضد المواطنين الليبيين أثناء جباية الضرائب التي اثقلت كاهلهم، وأدت في كثير من الأحيان إلى التذمر والرفض والثورة مثل ثورة عبدالجليل سيف النصر التي انتهت ١٨٤٢م مما دفع أتباعه إلى الهجرة لتشاد والاستقرار في كانم قرب بحيرة تشاد، وكذلك في سنة ١٩٣٠م استقبلت تشاد العديد من القبائل الليبية التي هاجرت نتيجة لقمع الاحتلال الايطالي. كانت هذه الاسباب مجتمعه دافعًا لهجرة الكثير من الليبيين نحو السودان الأوسط، بحثًا عن الامن والاطمئنان والاستقرار.(٥)

ولقد حدث تقارب كبير بين المهاجرين الليبيين والتشاديين، الذين انصهروا في المجتمع التشادي، وقد عزز الدين الإسلامي هذا الترابط، ونتج عنه كثير من التزاوج، والتفاعل بينهم دينيا وثقافيا وفكريا،

---

(١) نوي بن مبروك، الليبيون في تشاد وموقفهم من الاحتلال الفرنسي لمملكة كانم (١٨٤٢– ١٩١٤م) ، مجلة دراسات افريقية بالجزائر، العدد ٧، المجلد ٣ (الجزائر، ٢٠١٩م) ، ص٧٤.

(٢) محمد امحمد الطوير، المرجع السابق، ص ١٤٩.

(٣) منى أبوالقاسم أبو سبيحة، المرجع السابق، ص ٦٠.

(٤) سعيد الحنديري، المرجع السابق، ص ٢٥.

(٥) محمد يوسف محمد، (تاريخ الهجرات العربية إلى افريقيا جنوب الصحراء تشاد أنمودجًا) ، مجلة كان التاريخية، العدد ٤٢،السنة١١، http: //search.mandumah.com.ديسمبر ٢٠١٨م

واتبع التشاديون بعد احتكاكهم بهذه القبائل الإسلام على المذهب المالكي، وتعلموا منهم اللغة العربية، فأصبحت اللغة العربية هي لغة التخاطب والتعليم في المنطقة، كما اكتسبت هذه القبائل الليبية نفوذاً سياسياً في مملكة كانم، وبفضل قوة رجالها تمكنت من فرض نفسها في منطقة بحيرة تشاد، وقد بلغ التأثير العربي الإسلامي مداه حتى أن الكثير من المدن والمناطق سميت بأسماء عربية مثل أم زوير، وبحر سلامات، وبئر علالي، ووادي غندور، وكلك حداد، وبحر غزال.(١)

ثانياً- صراع فرنسا مع رابح فضل الله في كانم.

بعد هزيمة فرنسا في الحرب الألمانية الفرنسية سنة ١٨٧٠م ساءت أوضاعها الداخلية، فبدأت تفكر في تغيير مخططها العسكري باحتلال أجزاء كبيرة من القارة الأفريقية لتحويل أنظار الشعب الفرنسي عن أوضاعه الداخلية، ونقل اهتمامه من القارة الأوروبية إلى القارة الأفريقية حتى تنسي الأمة الفرنسية آلامها ومشاكلها. ويقول الدكتور عبد الرحمن الماحي الداعية المسلم التشادي المعروف، فقد رأت في أفريقيا المجال المناسب لتعويض خسارتها في الألزاس واللورين لذلك بعثت في عام ١٨٧٩م الضابط البحري سفورنيان دي براز للعمل باسمها في أفريقيا(٢) جنوب الصحراء فاتصل بالأهالي، وأقام علاقات صداقة معهم، إذ كانوا يقدمون له الأولاد والحمالين فاطلق عليه لقب "والد العبيد"، وبعد مؤتمر برلين عام ١٨٨٤-١٨٨٥م، عقدت فرنسا المعاهدات عديده مع الزعماء المحلين حتى وصلت إلى بحيرة تشاد، وقد انزعجت بريطانيا من التحرك الفرنسي في بحيرة تشاد، مما جعلها تُسارع لجمع المعلومات حول المخططات الفرنسية في غرب أفريقيا.

وهكذا فاجأت بريطانيا العالم بإعلانها فرض الحماية على مصر عام ١٨٨٢م ومما زاد من حدة التنافس الفرنسي البريطاني، كان تأييد ألمانيا حماية بريطانيا على مصر. ورداً على هذا الاعلان كلفت الحكومة الفرنسية الجمعية الفرنسية بمهمة الوصول إلى بحيرة تشاد بواسطة المستكشف بول كرامبل إلا أنه قتل عام ١٨٩١م وحتى بعد موته، لم تتوقف الحكومة الفرنسية عن رغبتها في اكتشاف بحيرة تشاد، فأصبح هذا الاستكشاف من هواجسها مما جعل الجمعية الفرنسية تكلف جون ديبوسكي باستكمال ما توصل

---

(١) نوي بن مبروك، المرجع السابق، ص ٧٤.

(٢) موسي يوسف عيسي، واقع الدعوة الإسلامية في تشاد (دراسة تقويمية خلال الفترة ١٣٩٠-١٤١٢هـ ١٩٧٠-١٩٩١م) رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الدعوة والاعلام، جامعة الامام محمد بن سعود الإسلامية، (السعودية، ١٩٩٦م)، ص ٧٤.

إليه بول كرامبل إلا أنه عاد في عام ١٨٩٢م إلى فرنسا مريضاً [١]

بذلك بدأت فرنسا في تحقيق أطماعها التوسعية في أفريقيا عندما بدأت قواتها تتغلغل في أراضي تشاد قادمة من غرب القارة، ورافعة العلم الفرنسي حتى شارفت على مناطق النفوذ البريطانية.[٢] ومع نهاية القرن التاسع عشر، تم توقيع عدد من المعاهدات والاتفاقيات بين حكومتي إنجلترا وفرنسا بهدف رسم الحدود الجغرافية الدقيقة لممتلكاتهما الاستعمارية وتحديد مناطق نفوذهما في أفريقيا. أبرمت المعاهدة الرئيسية بين الطرفين سنة ١٨٩٠م وتلتها اتفاقيات محلية ١٨٩١، ١٨٩٣، ١٨٩٦، ١٨٩٥م قد حاولت الدولتين تحديد مناطق نفوذ لهما في الصحراء الكبرى إلا أن هذه المعاهدات لم تحسم مشكلة الحدود بينهما.[٣]

وفي الحقيقة فإن التنافس الشديد بين الدولتين في أفريقيا هو الذي دفع بعجلة الاستعمار الفرنسي خاصة بعد أن سيطرة بريطانيا على مناطق قريبه من تشاد، ومع ظهور رابح بن فضل الله الذي سيطرة على التشاد، سارعت فرنسا باحتلال المنطقة إذ ارادت أن تقطع الطريق على منافسيها، حتى كادت أن تندلع حرب بين الدول المستعمرة نفسها، وحاصة فرنسا وبريطانيا، لأن كلاً من هما تريد بسط نفودها على أكبر قدر ممكن من الأراضي الأفريقية، ممادي إلى تداخل مناطق نفوذهما، مما نتج عنه تنازع فيما بينهما، [٤] وعرفت هذه الأحداث بحملة مارشان الفرنسية للوصول إلى أعالي النيل فاشودة، وهي الحادثة المشهورة عام ١٨٩٧م، التي وقعت في منطقة كانت تحت حماية بريطانيا منذ سنة ١٨٨٢م. رداً على ذلك كلفت بريطانيا الجنرال كتشينر باحتلال السودان لكي تسبق فرنسا في السيطرة على الجنوب، واحباط ل حملة مارشال في أعالي النيل. ودارت بين كتشنر ومارشال مناقشات حادة كادت أن تؤدي إلي مواجهة عسكرية، ولكن الدولتان تمكنت من احتواء هذه الازمة دبلوماسياً، وتوصلتا إلى تسوية بينهما في ٢ نوفمبر ١٨٩٨م والتي بموجبها تراجعت فرنسا عن رغبتها في السيطرة على اعالي النيل وتم إخلاء فاشودة من قواتها.[٥] وانفض هذا النزاع بعد توقيع اتفاقيتين، تم تحديد مناطق نفوذ كل منها : الأولى ١٤ يونيو

---

(١) نوي بن مبروك، الاحتلال الفرنسي لتشاد ١٨٩٠-١٩٢٠م، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، جامعة الجزائر ٢ بوزريعة (الجزائر، ٢٠١٠) ، ص ٣٤،٣٥.

(٢) فؤاد زيدان، تشاد الفرصة الضائعة، ط١، منشورات المنشأة العامة للنشر والتوازيع ى، (طرابلس، ١٩٨٢م) ، ص١٨

(٣) نيكولاي بروشين، تاريخ ليبيا من منتصف القرن السادس عشر حتى مطلع القرن العشرين، ترجمة عماد حاتم، دار الكتاب الجديد المتحدة، (بيروت، ٢٠٠١م) ، ص٣٧٨.

(٤) عبد الرحمن عمر الماحي، تشاد من الاستعمار حتى الاستقلال ١٨٩٤-١٩٦٠م، الهيئة المصرية العامة للكتاب (القاهرة، ١٩٨٢م) ، ص٣٣.

(٥) نوي بن مبروك، الاحتلال الفرنسي لتشاد ١٨٩٠-

١٨٩٨م[١] حصلت فرنسا على الحق في ضم أراضي داهومي التي احتلتها إلى السودان الفرنسي، وحفظت للإنجليز معبر للسفن عبر نهر النيجر والمناطق الشرقية منه حتى بحيرة تشاد،[٢] ولم تكن فرنسا في ذلك الوقت مستعدة للاشتباك مع إنجلترا في قتال قد يعود عليها وعلى مستعمراتها بعواقب وخيمة، لذلك أذعن وزير الخارجية الفرنسي دلكاسي للأمر الواقع، وقرر مفاوضة الانجليز لحل مسألة فاشوده سلماً – بناء على ذلك صدرت الأوامر لمارشال بأن ينسحب مع بعثته عن طريق الحبشة ويرجع لفرنسا، وفي ١١ديسمبر ١٨٩٨م تم الجلاء عن فاشودة وفي ٢١مارس ١٨٩٩م عقدت المعاهدة الثانية التي تمت فيها تسوية الخلافات التي أثارتها مشكلة فاشودة بينهما، حيث تم الاتفاق على إصدار تصريح انجليزي– فرنسي يتضمن تعديلاً مكملاً على المادة الرابعة من اتفاق والذي يختص بتحديد مناطق النفوذ بين المستعمرات الإنجليزية والفرنسية الواقعة إلى غرب وشرق نهر النيجر.وفي هذا التصريح اعتراف بريطانيا بحق فرنسا في السيطرة على جميع أقاليم شمال وشرق بحيرة تشاد حتى سلطنة واداي[٣] بينما تنازلت فرنسا عن بحر الغزال أو أي نفوذ سياسي لها في وادي النيل مقابل حصولها على مناطق كانم والباجرمي وتبستي بورنو، والتي شكلت لاحقاً الجزء الاكبر من منطقة تشاد الحالية.[٤]

وبهذا التصريح خرجت مناطق حوض بحر الغزال وبحر العرب بما في ذلك دار فرتيت، ودار فوار من دائرة النفوذ الفرنسي،وقد ثم توقيع على هذا التصريح كل من سولزبري عن انجلترا وبول كامهون السفير الفرنسي في لندن عن فرنسا.[٥]

ولعل هذا التعاون الاستعماري الفرنسي الانجليزي كان له دوراً مهما في الحفاظ على المنطقة التي تتشابك مصالحهما فيها، نتيجة لهذا التعاون بدأت القوات الفرنسية تتحرك بشكل أكثر أماناً في المنطقة غير مكترثة بحقوق الغير، وفي هذا الصدد يقول هنري مونيو في عام ١٨٩٩م جاء و قت اصطدام القوات الفرنسية مع القوي الموجودة لأن منطقة تشاد تشكل أهمية كبرى للأوساط الاستعمارية الفرنسية.أما بريطانيا وألمانيا فكان لهما مصالح في الكاميرون ونيجيريا، وبذلك تم التوصل إلى اتفاق بين القوي الثلاث تقسيم المنطقة عام ١٨٩٩م.قد ظهر هذا

١٩٢٠م، رسالة ماجستير غير منشورة، قسم التاريخ، جامعة بوزريعة (الجزائر، ٢٠١٠م) ، ص ٥٧.

(١) عبد الرحمن عمر الماحي، المرجع السابق، ص٣٣.

(٢) نيكولاي بروشين، المراجع السابق، ص٣٧٨.

(٣) اتوري روسي، ليبيا منذ الفتح الإسلامي إلى ١٩١١م، ترجمة خليفة التليسي، الدار العربية للكتاب (طرابلس، د.ت) ص

(٤) فؤاد زيدان، المرجع السابق، ص١٨.

(٥) شوقي الجمل، تاريخ كشف أفريقيا واستعمارها، مكتبة الانجلو المصرية (القاهرة، ١٩٧١م) ، ص٥١٦.

التعاون جلياً بين الدول الاستعماري من خلال القضاء على امبراطورية رابح فضل الله [1]

وعندما حصلت فرنسا على حرية التصرف في الصحراء الوسطي والغربية شرعت في احتلال الامارات الإسلامية الصغيرة التي كانت أراضيها تحت إشراف السنوسية.[2] فبدأت عملياتها العسكرية في بحيرة تشاد مباشرة بعد اتفاقها مع بريطانيا وحصولها على الحق في التوسع في تلك المنطقة.وفي عام ١٨٩٩م ارسلت ثلاث بعثات عسكرية إلى بحيرة تشاد، وكانت أول بعثة من الجنوب الجزائري برئاسة الرائد فورد لامي،الذي انطلق من الصحراء الجزائرية، بينما جاءت القوة الثانية القادمة من مالي والنيجر بقيادة النقيبين قوليت وشنوان وانطلقت من غرب حوض النيجر، وسميت بحملة أفريقيا الوسطي،و الهدف منها الوصول إلى حوض تشاد، أما الثالثة بقيادة إميل جانيتي القادم من الكونغو، والذي نجح في توقيع معاهدة حماية مع الملك الباقرمي فيما بعد[3] كان هدف الحكومة الفرنسية من هذه الحملات الثلاثة التي كانت تحت قيادة إميل جانيتي القضاء الكامل على قوة رابح فضل الله القادم من السودان من مديرية بحر الغزال عام ١٨٨٠م[4]، والذي استولى على مملكة كانم، وقضى على آخر سلاطينها الشيخ هاشم عام ١٨٩٣م والذي اصبح يشكل خطر على التوسعات الفرنسية، حيث حاول القضاء على بعثة فرنسية في منطقة تجباو مما أثر حفيظة الفرنسيين ضده،ومن هنا بدأت القوات الفرنسية بغزو تشاد لتضع حد لنفوذ الأمير رابح بن فضل الله الذي تمكن من توسيع سلطانه في العقد الاخير من القرن التاسع عشر على حساب الاراضي التشادية[5]، فسقطت امام زحفه مملكة باقرمي Baguirmi في سنة ١٨٩٣م وفر ملكها غاورنغ إلى وداي (Ouadai).وفي عام ١٨٩٤م غزا رابح مملكة برنو (Purno) ودخل عاصمتها كوكا (Kuka) واتخذ من مدينة ديكوه (Dikwa) عاصمة له،وحاول توحيدهما مع غرب السودان، وفي تلك الفترة دعاه المهدي في السودان للانضمام إليه، ولكن رابح اكتفى برفع شعار المهدية – لا إله الا الله والله أكبر ولله الحمد، وفي نفس الوقت ظهر شبه تحالف بينه وبين الحركة السنوسية من اجل محاربة الفرنسيين[6]

---

(١) بول مارني، دور العرب الليبيين في مقاومة الغزو الفرنسي في بلدان حزام جنوب الصحراء بالقارة الأفريقية، ترجمة محمد عبدالسلام العلاقي، جمعية الدعوة الإسلامية العالمية، (طرابلس، ٢٠٠١م) ، ص ٢٨، ٧٧.

(٢) نيكولاي بروشين، المرجع السابق، ص٣٧٨.

(٣) حليمة بو طاقة، زهية عوامر، حركة رابح بن فضل الله ودوره في بحيرة تشاد ١٨٤٥– ١٩٠٠م، رسالة ماجستير غير منشورة، قسم التاريخ جامعة الجيلالي بونعامة (الجزائر، ٢٠١٧م) ، ص ٥٣.

(٤) نوي بن مبروك، الاحتلال الفرنسي لتشاد ١٨٩٠-١٩٢٠م، ص٨٢.

(٥) منى أبوالقاسم أبو سبيحة، المرجع السابق، ص ٢٤.

(٦) إبراهيم صالح بن يونس، تاريخ الإسلام وحياة العرب في

وقد قام رابح بدور كبير في نشر الاسلام وبث الطمأنينة بين سكان تشاد، قام بتغيير طرق التجارة القديمة وأعطى الأولوية للتجارة مع الشمال الأفريقي، ولا سيما التجار الطرابلسيين، وكانت قواته تتكون من خليط من الاجناس عرب وأفارقه، حيث وجد رابح من العرب الموجودين في المنطقة كل تعاون، والجدير بالذكر أن رابح كان يعمل لمصلحة الإسلام في المنطقة ولم يتأثر بأي من الدعوات الدينية مثل المهدية والسنوسية بل وقف منافساً لهما في المنطقة.[1]

وخلال عام ١٨٩٩م بدأت الحملات العسكرية الفرنسية تصل إلى تشاد يساعدها السلاطين والامراء الفارين أمام رابح الذين كانوا قد فقدوا ملكهم على يده، حيث وقعت أولى المعارك معه في شهر يوليو من نفس العام، وقد تمكنت قوات رابح من تكبيد الفرنسيين خسائر كبيرة قتل فيها القائد الفرنسي بريتوني ووقع عدد من جنود الباجرمي في الأسر على راسهم السلطان عبدالرحمن جورانج الذي تمكن من الفرار في ١٢٨كتوبر ١٨٩٩م.تم هاجمت القوات الفرنسية قوات رابح عند مدينة كانو في معركة استمرت ثلاث ايام تكبد فيها الطرفان خسائر فادحة، حيث استشهد فيها افضل قادة رابح منهم : احمد إبراهيم، أرباب ابربكر، عثمان بن شاكر ما أدي إلى انسحاب جيش رابح من كانو إلى الديكوه التي اتخذها عاصمة لمملكته لإعادة تنظيم قواته استعدادا للمعركة القادمة.[2]

لقد طلب القام القائد **جولاند ماينز** الدعم العسكري من فرنسا التي أرسلت قوة عسكرية من الجزائر بقيادة العميدين **فورو ولامي**، والتقت هذه القوة مع قوات جولاند ماينز عند بلدة جولقي في نهاية مارس لمحاصرة قوات رابح بعد تدعيم القوة بقوة ثالثة بقيادة إميل جانيتي،تمكنت فرنسا من القضاء على رابح فضل الله رغم المقاومة العنيفة التي أبداها الأخير، حيث استشهد في معركة عاجري يوم ٢٢ ابريل ١٩٠٠[3]،التي جرت قرب العاصمة انجامينا.وفي تلك العركة قتل أيضا العميد لامي قائد العمليات الفرنسية.[4]كذلك تمكنت فرنسا من القضاء على فضل الله بن رابح الذي استمر في قيادة المقاومة بعد استشهاد والده وسيطرته على برنو عام ١٩٠١م و في النهاية استطاع الفرنسيون دخول تشاد سنة ١٩٠٩م.[5]

وبعد القضاء على قوات رابح فضل الله وجد الاحتلال الفرنسي نفسه في مواجهة مع القبائل الليبية في كانم، والحركة السنوسية في مناطق واداي وبركو

امبراطورية كانم، برنو، مطبعة الحلبي، (القاهرة، ١٩٦٧م) ، ص ٥٧، ١٧٠.

(١) بول مارتي، المرجع السابق، ص ١١.

(٢) منى أبوالقاسم أبو سبيحة، المرجع السابق، ص٢٥.

(٣) حليمة بوطاقة، زهية عوامر، المرجع السابق، ص ٥٥.

(٤) سعيد الحنديري، المرجع السابق، ص ٧٨.

(٥) محمود شكري تشاد، مؤسسة الرسالة، (القاهرة، ١٩٧٢م) ، ص ٤٩.

وتبستي، إلى جانب المقاومة التي قادها السلطان دود مرة في وادي مع عدد من القبائل التشادية.وعلى رغم من قسوة القوات الفرنسية وضرواتها، استمرت المقاومة في الاقليم، قد ترك قضاء فرنسا على قوات رابح فضل الله فراغا سياسياً في اقليم برنو، في الوقت الذي كان فيه زعماء السنوسية وشيوخها ينشطون ويتحركون في المناطق الشمالية من تشاد وحملوا لواء الجهاد، وواصلوا ممارسة العمل السياسي إلى جانب الدعوة الدينية والنشاط الإصلاحي والتجاري في المنطقة.(١)

ثالثاً - غزو فرنسا لكانم ومقاومة القبائل الليبية المستقرة في تشاد لها ١٨٩٩- ١٩٠١م.

بعد استشهاد السلطان رابح وابنه فضل الله من قُبل الاستعمار الفرنسي، وجدت فرنسا صعوبة كبيرة في التقدم نحو مناطق تشاد الشمالية، حيث ظل الوجود الفرنسي حتى سنة ١٩٠١م مقتصر على بحيرة تشاد وضواحيها وضفة نهر شاري.في الوقت ذاته كانت منطقة كانم مكاناً لاستقرار معظم القبائل الليبية، من امثالا أولاد سليمان والمغاربة والقذاذفة وورفلة (٢)، والتي تمكنت من تكوين تكتل قبلي قوي و تحالف مع زعماء المحليين، وسلطنة كانم ما جعل السلاطين تشاد يقمون بتقرب منهم واستمالتهم وتجنيدهم لخدمة سلطناتهم لشدتهم وقوة بأسهم، فلجأ إليهم الشيخ عمر بن محمد الأمين الكانمي ١٨٣٥- ١٨٨٠م زعيم بورنو وعقد معهم تحالفاً ليضمن عدم الاعتداء عليه وعلى تجارة سلطنته من قبل سلطنة وادي ١٨٥٨-١٨٧٤م التي كانت في منافسة دائمة معه، وقد دفع ذلك رجال القبائل الليبية إلى السعي للسلطة والتوسع، حيث وجدوا أنفسهم بحاجة إلى الحصول على مكانة سياسية تربطهم بمحيطهم وتنحهم السيطرة على إقليم كانم.وقد أدى هذا التقارب إلى بناء علاقات وطيدة بين القبائل الليبية وسلطنات الإسلامية، مما دفع سلاطين وداي بالاعتراف لهم بالسيادة على اقليم كانم، وقد أدي هذا التقارب بينهماإلى اشتعال التنافس بين وداي وكانم على استمالت هذه القبائل، واستمر هذا التنافس حتى مجيء حملة العقيد جولون الفرنسية الاستعمارية لكانم.سنة ١٨٩٩م.(٣)

بعد وفاة عبدالجليل سيف النصر شيخ اولاد سليمان في تشاد في ظروف غامضة، انقسمت القبيلة إلى قسمين وهما الشريدات واللهيوات، وقد وتزعم غيث الابن الاكبر لعبدالجليل سيف النصر القسم الأول وعاش هذا القسم في منطقة كانم بشمال تشاد مع قبيلة المغاربة والورفلة والقذاذفة، وتحالفت هذه القبائل مع قبيلة التنجور بزعامة خليفة حاجي من قبائل النيجر، في الوقت الذي كون تحالف من الميايسة والجبابر بزعامة شرف الدين وانضم إليهم أحمد

(١) منى أبوالقاسم أبو سبيحة، المرجع السابق، ص ٢٦.

(٢) بول مارتي، المرجع السابق، ص ٢٢.

(٣) نوي بن مبروك، الليبيون في تشاد وموقفهم من الاحتلال الفرنسي لمملكة كانم، ص ٧٤.

الأبن الثاني لعبد الجليل سيف النصر، الذين عاشوا في ارض شـتات (Chittata) القسـم الثاني من أولاد سـليمان، حيث تحالفوا مع قبائل الكاديوا والقبائل التي كانت تابعة جوارب، مماجعل القوة الفرنسـية تحاول ا ستغلال هذا الانقسام في الشمال وكسب ود المياسـية والجباير، إلا أن هذه السـياسـة – سـياسـة الاحتواء قد فشـلت مع القبائل الليبية، وعلى الرغم من وجود بعض الانقسـامات الداخلية، فأن القبائل الليبية في كانم تمكنت من اقامة دور كبير في مقاومة الاستعمار الفرنسي.[١]

وفي هذه الاثناء، حاول الفرنسـيون تطبيق سـياسـة المهادنة، خاصـة القائدين فورو ولامي لكسـب ود القبائل الليبية إلا أن هذه القبائل رفضـت التحاور مع فرنسا، وهنا ايقنت فرنسا أن هذه السياسة لا طائل من ورائها [٢]، فكان على الاسـتراتيجية الفرنسـية القيام بعمل عسـكري لحسـم الأمر لصـالحها في كانم، فتحركت حملة عسـكرية بقيادة جولون ماينز في ٧ نوفمبر ١٨٩٩م من بحيرة تشـاد إلى كانم للاسـتيلاء عليها، حيث خاضـت هذه الحملة أولى معاركها في منطقة نقوري ضـد القبائل الليبية المسـتقرة في شـمال تشاد، والتي كانت مسلحة بأسلحة تقليدية،وقد ألحق المجاهدون الليبيون الأوائل خسائر بالحملة الفرنسية، وهو موقف يحسب لصالحهم في منطقة كانم [٣].

وعلى إثر هذه المعركة، جاءت نجدة فرنسـية مكونة من حملة بقيادة ديبنسـي، والذي كان يسـاعده خليفة جوراب الذي انضـم بدوره إلى هذه الحملة في يوم ٢٢نوفمبر١٨٩٩م، جرت معركة عنيفة في بيرعلالي بين المجاهدين من القبائل الليبية المغاربة والقذاذفة والشـريدات اللهيوات وورفلة وحلفائهم من التنجور من جهة، وبين القوات الفرنسـية المتحالفة مع خليفة جوراب من جهة اخرى، على الرغم بساطة الأ سلحة المحلية ا ستطاع المجاهدون هزيمة القوات الفرنسية فحاولت فرنسا اتباع سياسة المهادنة خاصة بعد أن وقعت معاهده مع سـلطان باجرمي عبدالرحمن جوارنج سـنة ١٨٩٧م[٤]، وفي نفس الوقت وقع خليفة جوراب معاهدة حماية مع القوات الفرنسـية، وكانت فرنسا تأمل بأن تكون المعاهدة بداية النهاية للمقاومة في كانم، إلا أن هذه المعاهدة لم تنجح نظراً لموقف القبائل الليبية من فرنسا التي رفضت التحاور معها، في الحقيقة لم تسري هذه المعاهدة على كل سكان كانم، لأن كانم تتكون من عدة قبائل، ولكن الامور تطورت بسرعة في كانم و شمال تشاد حيث ا ستخدمت فرنسا كل قوتها ضـد القبائل الليبية التي رفضـت الخضـوع

(١) سعيد الحنديري، المرجع السابق، ص ٨٠، ٨١.

(٢) المرجع نفسه ص ٨٢.

(٣) نوي بن مبروك، الليبيون في تشـاد وموقفهم من الاحتلال الفرنسي لمملكة كانم،ص ٧٧.

(٤) نوي بن مبروك، الاحتلال الفرنسـي لتشـاد ١٨٩٠-١٩٢٠م، ص ١٠٤.

لها.[1]

ورداً على هذه المعاهدة، جرت معركة عنيفة ثانية بين الطرفين يوم ٤ يناير ١٩٠٠ قتل فيها خليفة حاجي، كما سعى الفرنسيون إلى الدخول في تفاوض مع غيث سيف النصر للوصول إلى اتفاق معه لأنهاء المقاومة وخاصة بعد مقتل خليفه حاجي، لكن غيث رفض تفاوض معهم وكون دوراً من قبائل القذاذفة وورفلة والمغاربة مع بعض القرعان والطوارق، وفي يوم ٩نوفمبر ١٩٠١م اصطدمت حملة الكابتن ميلوت بالمجاهدين عند بير علالي إلا أن الحملة اضطرت للتراجع بعد أن قُتل قائدها، كما استشهد في هذه المعركة غيث عبدالجليل سيف النصر.[2]

وبعد استشهاد غيث عبدالجليل سيف النصر، اقتصر الاصطدام بين الطرفين على كانم، ولم تتمكن فرنسا من الاستيلاء على أي منطقة فيها طيلة الفترة من ١٨٩٩-١٩٠١م على الرغم من الاستعدادات العسكرية الفرنسية الكبيرة المتمثلة في الجنود الجزائريين والسنغاليين والكاميرونيين، بالإضافة إلى القوة المتحالفة معها المكونة من سلطان غاورنغ وسلطان باجرمي وسلطان زندر وخليفة جوراب.[3]

وتجدر الاشارة هنا إلى أن دور البراني الساعدي المتكون من المجابرة والزوية والقرعان والطوارق لم يشارك في هذه الاصطدامات التي حدثت في كانم خلال تلك الفترة، وذلك لأنه لايزال في بداية تكوينه.كما أن الحركة السنوسية لم تدخل بكل قوتها في الصراع بعد، بل كانت في حالة ترقب للأحداث.[4]

ولعل عدم قدرة فرنسا على التقدم في هذه الفترة، رغم إمكانياتها العسكرية الهائلة، يرجع إلى قوة المجاهدين وصلابة جهادهم في ذلك الإقليم، كما يبدوا أن القبائل الليبية في هذه الفترة المبكرة كانت لها علاقة بالزوايا السنوسية التي سوف تكون اكبر حليف لها في جهادها في هذه المنطقة،ودليل على ذلك ما قاله القائد الفرنسي في هذا الصدد يقول المقدم فرناندى ‹كلما حاولنا الابتعاد عن ضفة البحيرة أو النهر اصطدامنا بخصمين أحدهما: نفوده مدني والآخر نفوذه روحي، هما الوادي والسنوسيون، وقد طالت مدة صراعنا معهما› أن هذا الترابط بين سكان هذه المناطق وتلاحمهم كان له دور كبير في اتحادهم ضد العدو الاجنبي ومواجهة القوات الفرنسية مما ادي إلى دخولهم في معارك كثيرة كبدت فرنسا خسائر في المعدات والأرواح.[5]

---

(١) سعيد الحنديري، المرجع السابق، ص ٨١

(٢) المرجع نفسه، ص٨٢

(٣) محمد فؤاد شكري، السنوسية دين ودولة، دار الفكر العربي، (القاهرة،١٩٤٨م) ، ص٩٢.

(٤) سعيد الحنديري، المرجع السابق، ص٨٣.

(٥) بول مارتي، المرجع السابق، ص، ٢٩، ٢٢.

رابعاً- التنافس والصراع بين فرنسا والحركة السنوسية في تشاد ١٨٤٠-١٨٩٩م.المرحلة الأولى من الصراع.

ويعود أثر الحركة السنوسية في تشاد إلى بداية العلاقة بين السنوسية ومنطقة السودان الأوسط منذ لقاء محمد بن علي السنوسي مؤسس الحركة مع محمد شريف بن صالح التشادي في مكة المكرمة أثناء وجودهما في الحجاز قبل توليه حكم مملكة وادي عام ١٨٣٥م خلفاً لشقيقه السلطان علي الشريف.[١]

وكان الليبيون في تشاد وليبيا يخشون من أن يقضي قدوم القوات الفرنسية على ما بناه المسلمون في هذه المناطق وعليه، فإن الدفاع عن تشاد أصبح واجباً دينياً بالنسبة لليبيين، تفرضه العقيدة الإسلامية، باعتباره جهاداً من اجل حماية الإسلام والمسلمين، لقد وقف الليبيون إلى جانب الشعب التشادي المسلم يقاومون الفرنسيين فيما عرف بحرب الانصار (١٨٩٩-١٩٠٢م) فاتخذ زعيم السنوسية المهدي من قرية قرو (Gouro) على سفوح جبال تيبستي قاعدة ينطلق منها المجاهدون الليبيون إلي داخل تشاد.[٢]وقد أسست الحركة مابين عامي ١٨٩٩-١٩١٣ م سبع زوايا في تشاد : قرو، ياردا، عين كلك، ون (فايا) ، وبير العلالي(Bir Alali) وأبشة (Abeche) وآتية (Atia) وبوركو (Porkou) ووجنقة الكبيرة والصغيرة (Ounianga) وغيرها إلى جانب الزوايا القديمة في شامدور بالقرب من بوركو التي تعد مركز اجتماعي للزوايا السنوسية التي هي في الأساس المؤسسة الدعوية للحركة السنوسية.[٣]

ويقول السيد : محمد الطيب الأشهب في كتابه برقة العربية 'أن المجاهدين جمعوا ما يزيد على ثلاث آلاف وثمانمائة جمل للانتقال من الكفرة إلى قرو ' و يذكر أيضا أن عدداً كبيراً من مشائخ العبيدات والبراعصة والمنفة والعواقير والمجابرة والزوية والمغاربة رافقوا المهدي السنوسي إلى قرو.وفي هذه الأثناء وخاصة في الربع الأخير من القرن التاسع عشر انتشرت الدعوة السنوسية بمجرد وصول الإمام المهدي إلى قرو في كل من : بوركو وانيدي (Ennedi) وتبستي (Tibsti)وكانم (Kanem) ووداي[٤]، وأخذت قبائل تلك المناطق تدخل في

---

(١) د.م، العلاقات التشادية الليبية، موقع المعرفة، شبكة النت العالمية https: / /m.marefa.orq.

(٢) محمد الطيب الأشهب، برقة العربية، أمس واليوم، مطبعة الهواري (القاهرة، ١٩٤٧م) ، ص ١٣٩

(٣) جان لويس تريو (تقوب الذاكرة في التاريخ الأفريقي السنوسية في تشاد دراسة في حالة وادي) ، ترجمة أحمد نجم، مجلة كلية الآداب، العدد ٤١، منشورات جامعة بنغازي (بنغازي، ديسمبر ٢٠١٧م) ، ص ٢١٧.

الإسلام طوعًا، وتنضوي تحت زعامة الحركة السنوسية،[1] وقد ساهم في تنظيم الحركة وقيادة الزوايا عدد من كبار المجاهدين الليبيين مثل عمر المختار، عبدالله الطوير الزوي، غيث عبدالجليل، البراني الساعدي، محمد السني، محمد بوعقيلة، صالح بوكريم.[2] وكانت فرنسا تراقب تحركات الحركة وتستعد لمعركة فاصلة معها، خصوصًا بعد القضاء على مملكة رابح فضل الله.[3]

وهنا بدأت فرنسا في حبك المؤامرات ضد الحركة السنوسية، فشرعت في نشر الإشاعات المغرضة ضدها، قاد المبشرون هذه الحملة،متهمين الحركة بالتعصب وتدبير الاغتيالات ضد المسيحيين، وقد نُشرت هذه الدعايات في الصحف الفرنسية، بهدف ضرب الحركة السنوسية في تشاد وتأليب الرأي العام الاوروبي ضدها.وقد كتب الحشايشي مقالاً في جريدة (الحاضرة) التونسية عن السنوسية نفي فيه جميع التهم التي وُجهت إليها في الصحف الفرنسية.[4]

اسس محمد السني نواة دور علالي ثم انتقل في عام ١٩٠٠م إلى وداي، وتاركًا قيادة الدور للبراني الساعدي، الذي اظهر براعة نادرة في تنظيم صفوف المجاهدين، واتخذ البراني موقعه في المرتفعات الرملية بارض منقا في منطقة كانم، وعلى مسافة من مواقع القوات الفرنسية، مما أدى إلى قطع سبل اتصالها بمصادر الماء.[5]

بدأت أولى العمليات العسكرية بين المجاهدين الليبيين والقوات الفرنسية القادمة جهة السودان الغربي، بتاريخ ٩ نوفمبر ١٩٠١م بعد أن اقتحم الفرنسيون منطقة كانم وبدأوا حربًا حقيقية ضد السنوسيين، تقدمت القوات الفرنسية شمالا نحو كانم في حملة مدججة بالأسلحة الحديثة، التي استعد لها المجاهدون رغم قلة إمكانياتهم، حيث قاموا بوضع حامية كبيرة في بئر العلالي.ورغم محدودية الموارد صمدت هذه الحامية أمام تقدم القوات الفرنسية لمدة سنتين حتى اعترف الفرنسيون بقوة شخصية البراني الساعدي وحسن تدبيره في القيادة والتنظيم.[6] فقد أشاد الفرنسيون ببراعة قائد حامية بئر العلالي السنوسي الشيخ الساعدي محمد البراني،فكتب عنه العقيد موران في مذكراته فقال (أننا

(٤) محمد الطيب الأشهب المصدر السابق،ص، ٢٣٨، ٢٤٢.

(١) علي محمد الصلابي، تاريخ الحركة السنوسية في أفريقيا، دار المعرفة (لبنان، ٢٠١١م) ، ص ٢٠٩.

(٢) سعيد الحنديري، المرجع السابق، ص٧٩.

(٣) علي محمد الصلابي، المرجع السابق، ص ٢٠٩.

(٤) احمد صدقي الدجاني، الحركة السنوسية نشأتها ونموها في القرن التاسع عشر، د.ن (القاهرة، ١٩٦٧م) ، ص٢٢٩.

(٥) سعيد الحنديري، المرجع السابق، ص٨٣.

(٦) محمد امحمد الطوير (صور من الجهاد الليبي ضد الاستعمار في العصر الحديث) ، مجلة الإخاء، العدد ١٩، السنة ٣، الأمانة العامة الجمعية الهلال الأحمر الليبي، (طرابلس، د.ت) ، ص٥٩.

أمام خصم عنيد يظهر ويختفي فجأة في حرب العصابات، ومن الصعب التغلب عليه[١]، وقد عُرفت هذه المعركة العنيفة التي دارت بين الطرفين بمعركة (بئر العلالي الأولى) ، حيث انتهت بهزيمة القوات الفرنسية ومقتل النقيب ميلوت، قائد الحملة، ومعه عدد كبير من جنوده.[٢]

ونتيجة لهزيمة القوات الفرنسية في المعركة السابق، وبدافع الرغبة في الانتقام من السنوسيين، فجهزت حملة بقيادة الضابط الفرنسي تيتار، ودارت معركة عنيفة يوم ١٨ يناير ١٩٠٢م ألحقت القوات الفرنسية هزيمة كبيرة في صفوف المجاهدين فسقط في هذه المعركة عدد كبير من السنوسين شهداء فكان منهم الشيخ عبدالله قويطين، السنوسي خيرالله، الشيخ يونس بدر، والشيخ غيث عبدالجليل سيف النصر وغيرهم [٣].

وفي عام ١٩٠١م توفي المهدي السنوسي في قرو، وتولى قيادة المجاهدين السيد احمد الشريف السنو سي الذي نقل مقر القيادة لمدينة الكفرة في الأراضي الليبية، وبدأ في إعادة تشكيل قواته، ومن التغيرات التي أجراها، تكليف لمحمد بوعقيلة الزوي بقيادة المجاهدين في زاوية علالي بدلاً من البراني الساعدي.[٤] وقد كان بوعقيلة بارعاً في فنون القيادة والحرب، حتى أن الأعداء شهدوا له بذلك الأعداء فقال : فرندي القائد الفرنسي 'كان بوعقيلات جنديا عظيما قادرا على تدارك الموقف في الوقت المناسب'[٥]

وعندما تولي بوعقيلة قيادة دور البراني في كانم قام بجمع الطوارق واولاد سليمان والقذاذفة والمغاربة وورفلة والزوية القبائل الليبية المستقرة في كانم، وفي ٤ ديسمبر عام ١٩٠٢م قام بالهجوم على مواقع الفرنسيين بعد أن حفر الطوارق خندقاً مواجهاً لموقع القوات الفرنسية واختبأوا فيه وربطوا ارجلهم خشية الهروب، إلا أن هذا الهجوم باء بالفشل، [٦] و في فجر اليوم الثاني ٥ ديسمبر هاجمت القوات الفرنسية المجاهدين بقيادة الكابتن فوك(Fouque) والعميد كوبارد(Poupard) ، ودارت معركة كانت من أعنف المعارك التي دارت في بئر علالي،وانتهت بانتصار القوات الفرنسية، وبخسارة فادحة للمجاهدين، حتى أنه بعد المعركة أصبح الخندق قبراً لثمانين شهيداً من بينهم: بوعقيلة نفسه، فكانت هذه اغلب الشهداء من قبيلة الزوية، فكانت هذه المعركة هي المعركة الخامسة مع الفرنسيين في العلالي[٧]

---

(١) محمد سعيد القشاط، أعلام من الصحراء، دار الملقي، (بيروت، ١٩٩٨) ، ص٤٢.

(٢) منى أبوالقاسم أبو سبيحة، المرجع السابق، ص ٢٧.

(٣) نوي بن مبروك، الليبيون في تشاد وموقفهم من الاحتلال الفرنسي لمملكة كانم،ص ٧٨.

(٤) الطيبي مباركة، عبدالعالي حاجة، الحركة السنوسية وموقفها من الاستعمار الاوروبي في الساحل الافريقي نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية والعلوم الاسلامية، جامعة احمد دراية (الجزائر، ٢٠٢١م) ، ص ٢٣.

(٥) علي محمد الصلابي، المرجع السابق،ص ٢٣٠.

(٦) سعيد الحنديري، مرجع سابق، ص٨٤.

(٧) محمد الطيب الأشهب، مصدر سابق، ص٢٤٣

وكان من نتائج هذه المعركة أن سيطرت القوات الفرنسية على بئر علالي، كما أدت إلى انسحاب المجاهدين بقيادة البراني الساعدي إلى بوركو حيث أسسوا دوراً في كلك(Kalaka) (١)، وبعدها انتقلت العائلات السنوسية إلى الكفرة، وبقي السيد محمد السني رئيس زاوية قرو رئيساً للمجاهدين ونائباً عن السيد احمد الشريف ورتبت معسكرات المجاهدين من جديد، (٢) وقد انحصرت الأدوار في هذه الآونة في موقع متعددة في مناطق بوركو ومن هذه الادوار الموجودة آنذاك.

– دور بسكرة، بقيادة صالح بوكريم ويتكون من المجابرة – والقذاذفة وورفلة واولاد سليمان، وبعض قبائل القرعان.

– دور كلك، بقيادة الساعدي البراني، يتكون من المجابرة والزوية والقرعان والطوارق(٣) على رغم أن محمد الطيب الأشهب يذكر أن هذا الدور كان بقيادة عبدالله طوير وجيشه من الاخوان والمجابرة وزووية والنجدات التي تصل من برقة من السيد احمد الشريف ومن بين تلك النجدات التي سارت من برقة تلك النجدة التي كان يقودها الشيخ مصطفى ابوطغيان بهيج ومعه مايقارب سبعين رجل قتلوا جمعيهم في صراع السنوسية مع فرنسا في تشاد. (٤)

– ومن المرجح أن يكون هناك دور في فايا بقيادة عبدالله الطوير.

كانت هذه الأدوار تتلقى توجيهاتها من احمد الشريف عن طريق مستشاره أحمد الريفي الدي قاد الأدوار بفاعلية وحكمه. (٥) وقد ذكر سعيد الحنديري في كتابه العلاقات الليبية التشادية أنه حصل على رسالة موجهة من عبدالله الطوير إلى احمد الريفي يعلمه بالانتصارات التي حققها المجاهدون على الفرنسيين ويطلب فيها المدد والسلاح. (٦)

خامسا- محاولة أحمد الشريف تكوين جبهة إسلامية في السودان الاوسط ضد الغزو الفرنسي للتشاد

١- اتصال احمد الشريف بسلطان وداي دود مرة في عام ١٩٠٣م

لقد حاول السيد احمد الشريف في العقد الأول من القرن العشرين خلق جبهة إسلامية ضد الغزو الفرنسي الزاحف من جنوب تشاد إلى مشرقها وشمالها، فقام بالاتصال بسلطان وداي دود مرة في سنة ١٩٠٣م واقنعه بضرورة سحب اعتراف وداي بالحامية الفرنسية. (٧) على كانم وباجرمي، الذي أبرمه السلطان إبراهيم قبل تولي السلطان داود مرة، وقد تم ذلك لأحمد الشريف، إذ ا ستجاب السلطان دود مرة

---

(١) محمد فؤاد شكري، مصدر سابق، ٩٩.

(٢) محمد الطيب الأشهب، مصدر سابق، ص٢٤٣

(٣) محمد فؤاد شكري، مصدر سابق، ٩٩.

(٤) محمد الطيب الأشهب، مصدر سابق، ص٢٤٣

(٥) محمد فؤاد شكري، مصدر سابق، ٩٩.

(٦) سعيد الحنديري، مرجع سابق، ص٨٥

(٧) محمد فؤاد شكري، مصدر سابق، ص ١٠٠

لطلبه، فسحب الاعتراف بالحماية الفرنسية. واندلعت عدة معارك بين القوات الفرنسية وقوات وادي خلال الفترة من ١٩٠٤-١٩٠٩م.[١]

وازاء هذا الموقف الجديد من وداي ركز الفرنسيون حملات مكثفة ضد وداي فسقطت في عام ١٩٠٩م في يد الفرنسيين، ولم تبق مقاومة تذكر إلا من الامارات الصغيرة مثل دار مساليت، ودار سولا، ودار تامة الواقعة على الحدود السودانية، فاستمرت فيها المقاومة إلى سنة ١٩١٢م.[٢]

اتصال احمد الشريف مع السلطان علي دينار في دار فور

وفي محاولة ثانية للسيد احمد الشريف بحشد المسلمين في أفريقيا ضد زحف الفرنسي على تشاد فاتصال بعلي دينار سلطان دار فور في السودان الذي سبق أن أعلن الجهاد ضد الغزو الفرنسي لتشاد والانجليزي للسودان، بغرض توحيد الجهود ضد الغزو الأوروبي في المنطقة، لما راي من توسع فرنسا في صحراء أفريقيا يعتبر تهديدا مباشرا لدعوته الإسلامية ولتجارة القوافل التي كانت بمتابه دعم الاقتصادي لحركته، ولكن طموحات السلطان علي دينار ما لبثت أن انتهت بإقامة دولة مستقلة له في السودان.[٣] وحماية دار فور كوطن إسلامي يعيش في ظل الامبراطورية العثمانية، على رغم من أن الإقليم تابع لحكومة السودان الخاضعة لسيطرة الانجليز إلا أنه لم يستسلم للسياسات التوسعية للبريطانية رغم محاولة بريطانية جذبها إلى جانبها إلا أنه اعلان رسميا الجهاد ضد بريطانيا متمشيا مع دعوة خليفة المسلمين العثماني، واستمر على موقفه من بريطانية وفرنسا حتى استشهد برصاصة أصابت رأسه في ٦ نوفمبر ١٩١٦م [٤]

كما قام احمد بالاتصال مع سلطان تاج الدين سلطان الجنينة والسلطان بخيت سلطان دار سيلا بهدف خلق جبهة إسلامية موحدة لوقف الزحف الفرنسي.[٥]

سادساً- المرحلة الثانية من الصراع الفرنسي السنوسي على التشاد وخروج السنوسية منها ١٩٠٤- ١٩١٣م.

ازاء المعارك التي دارت في منطقة كانم ضد القوات الفرنسية، والتي سبق الإشارة إليها، انسحب البراني الساعدي من منطقة علالي، وتمركزت الأدوار في كلك وبسكرة وغيرها، وكان على للمجاهدين اعتماد

(١) سعيد الحنديري، مرجع سابق، ص٨٦

(٢) الطيبي مباركة،عبدالعالي الحاجة، مرجع سابق ص ٢٣.

(٣) المرجع نفسه ص ٢٣.

(٤) الجزيرة نت، من ينادي السلطان علي دينار، https: / /www.aljazeera.net

(٥) سعيد عبدالرحمن احمد الحنديري، تطور الحياة السياسية في تشاد منذ الاحتلال الفرنسي حتى نهاية حكم تمبلباي (١٩٠٠-١٩٧٥م) ، منشورات مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، (طرابلس، ١٩٩٨م) ، ص ٥٤.

اسلوب جديد في الهجوم على القوات الفرنسية، ويتمثل في حرب العصابات، حيث كان يشنون الهجمات ممتطين ظهور جمالهم، التي يصعب على العدو محاصرتها، ويبدوا أن قلة الإمكانات البشرية والمادية وندرة السلاح والعتاد لدى المجاهدين، اجبرتهم على استخدام هذا الاسلوب.[1]

وفي اطار تطبيق هذا النهج الجديد شن بعض المجاهدين هجوماً في مايو ١٩٠٤م على منطقة بئر العلالي، واستولوا على الجمال التي كانت تستخدمها القوات الفرنسية، وكرد فعل على هذا الهجوم قام الكابتن الفرنسي دوراند في ١٩ يونيو ١٩٠٤م بنصب كمين للمجاهدين في كوال واستولي منهم على آلف جمل، كما قاد الكابتن مانجن حملة أخرى ضد المجاهدين، وبعد قتال عنيف اضطر المجاهدون إلى الانسحاب إلى نحو منطقة فاينفيا.[2]

بذلك تمكن الفرنسيون من السيطرة على إقليم كانم،وانتقلت المعارك إلى الاقاليم الشرقية، والشمالية في كل من وادي بلتن شرقًا، وبوركو فايا شمالا،ً وانيدي فادا في الشرق،[3] وقام المجاهد عبدالله الطوير بسلسلة من الهجمات الليبية على المعسكرات الفرنسية، ابرزها الهجوم على نقطة زقي شرق تشاد وتمكن المجاهدون في هذا الهجوم من آخذ الجمال التي كانت تستخدمها القوات الفرنسية في تنقلها، كما قام بهجوم آخر على القوات الفرنسية وغنم فيه عدداً من الجمال، فجردت القوات الفرنسية حملة ضده اشتبك على أثرها المجاهدون بقيادة عبدالله الطوير مع هذه الحملة في معركة حامية في منطقة عين كلك استشهد فيها عدد من المجاهدين منهم : مرسال الطويل البقرماوي، وتذكر بعض الروايات اسماء كتيره من المجاهدين الليبيين الذين خاضوا هذه المعاركة منهم على سبيل المثال عبدالله الطوير عيسي اهليل، حسن سعيد العكروت، حسن القبائلى وغيرهم كثير كان اغلبهم من قبيلة الزوية والمشيطات والمغاربة وقبيلة القبائل.[4]

في سلسلة الحملات الفرنسية المكثفة على منطقة بوركو وانيدي وتبيستي جردت فرنسا حملة ضد المجاهدين في أم العظام غرب فايا، وكانت مجموعة المجاهدين بهذه المنطقة مكونة من القرعان والبراعصة والزوية واولاد سليمان، فاصطدموا بالمجاهدين في المعركة كبيرة سقط فيها رئيس المجاهدين شهيداً وهو المجاهد عبدالله الطوير الزوي، كما استشهد مجموعة من المجاهدين شهداء

---

(١) سعيد الحنديري، العلاقات الليبية التشادية ١٨٤٣-١٩٧٠م، ص٨٧

(٢) المرجع السابق، ص٨٧

(٣) منى أبوالقاسم أبو سبيحة، مرجع سابق، ص٣٠.

(٤) سعيد الحنديري، العلاقات الليبية التشادية ١٨٤٣-١٩٧٠م، ص٨٨

منهم، الحاج عبدالرحيم الدلالية، صالح بن علي بن حمد، احمودة عبدبوبكر، محمد النايض المقرحي، الشيخ عفيف العبيدي، بوعريضة البرعصي، عبدالسلام الجويفي وغيرهم كثير وكان اغلب الشهداء من قبيلة الزوية و الشريدات و المقارحة والعبيدات والبراعصة [1]

ونتج عن الاتصال السنوسي بسلطنة وداي عدم اعتراف وادي بالحامية العسكرية الفرنسية في كانم والباقرمي فقامت قوات وداي بعمليات عسكرية ضد القوات الفرنسية خلال عام ١٩٠٣-١٩٠٤م، حيث اشترك فيها المجاهدون الليبيون إلى جانب وادي في معركة التكو، وكان سبب هذه المعركة، هو أن قائد الفلاتة المدعو ميتوتة صار حليفاً للفرنسيين، وأصبح يشن في غارات على المواطنين ويسلب منهم المواشي، فاستنجد السلطان داود مرة بدور بسكرة بقيادة المجاهد صالح بوكريم الزوي، ومن ضمن من حضر معركة التكو من الليبيين طبقاً لرواية محمد التواتي النفار الذي اجراها الدكتور سعيد الحنديري عام ١٩٨١م في مدينة ابشة، حيث ذكر له بعض اسماء المجاهدون الليبيون منهم : المجبري عبدالله لوملي، وشيباني لوملي، مسعود لوملي وهؤلاء من قبيلة القذاذفة، كما اشترك في المعركة حوالي ثلاثين رجلاً من قبيلة المغاربة، واشترك من المجابرة علي ابريك المجبري، ومحمد التواتي المجبري وغيرهم.[2]

على أثر المعارك الاخيرة تمكنت القوات الفرنسية من السيطرة على منطقتى كوار وبلما وصولاً إلى كانم، وانيدي - وانيري خلال سنة ١٩٠٦م وبعد احتلال المناطق المذكورة تحول اتجاه القوات الفرنسية نحوعين كلك في اقليم بركو فايا، حيث كان يعسكر المجاهد البراني الساعدي، وقد تمت مهاجمة معسكره بتاريخ ٢٠ ابريل ١٩٠٧م، من قبل قوة فرنسية بقيادة النقيبين بول بوردو وإميل كورني، يوم ٢٠ ابريل ١٩٠٧م، ودارت معركة كبيرة وحاسمة بين القوات الفرنسية والمجاهدين، وعلى الرغم من شراسة القتال وصمود المجاهدين إلا أن القوات الفرنسية احرزت نصراً حاسمًا، حيث استشهد عدد كبير من المجاهدين، من ضمنهم القائد البراني الساعدي الذي سقط أثناء دفاعه عن اراضي التشاد ضد الاحتلال الفرنسي ١٩٠٧م.[3]

في عام ١٩٠٧م ارسلت فرنسا حملة عسكرية بقيادة يدعى بركري احد افراد قبائل القرعان التشادية الذي استولى على اغنام المجاهد احمد الريفي وقام

---

(١) محمد سعيد القشاط، الصحراء تشتعل، دار الملتقي للطباعة والنشر، (الاسكندرية، ١٩٩٨) ص٣٩.

(٢) سعيد الحنديري، العلاقات الليبية التشادية ١٨٤٣-١٩٧٠م، ٩٠-٩٢.

(٣) أ.ايفانز بريتشارد، السنوسيين في برقة، ترجمة عمر الديراوي، مكتبة الفرجاني(طرابلس، د.ت) ، ص ٥٤.

بذبحها بالكامل، وتمكن المجاهدين من صد هذه الحملة بقرب من بسكرة، حيث تمكنوا من إبادتها بعد قتل قائده بركري، وغنموا الكثير من الاسلحة والخيل، إلا أن القوات الفرنسية تلقت تعزيزات بعد ذلك،وتمكنت من تشتيت قوات المجاهدين في معركة بسكرة، مما دفع اغلب المجاهدين للتوجه نحو دار فور.(١)

خلال عام ١٩٠٨م قام النقيب سليبي والملازم لارجو بحملة على عين كلك ولكنها منيت بهزيمة فادحة، وتتابعت الهزائم الفرنسية في عام ١٩٠٩م فقى انيدي فايا، أوقف المجاهد صالح كريم الزوي تقدم القوات الفرنسية نحو المنطقة، كما هاجمت مجموعة من المجاهدين بقيادة عبدالله الفضل الزوي كتيبة فرنسية، وتم أسر عدد من النساء والاطفال الذين أخذوا إلى عين كلك، كذلك هاجم المجاهدون التجمعات الفرنسية في كوار وغنموا مجموعة من الإبل وكانوا بقيادة اللافي التباوي، وهاجموا أيضا بيلما في ٣١ يوليو ١٩٠٩م، حيث قتل الملازم ادروماردو، وهاجموا أيضا ايمي مدما احدى المدن في شمال النيجر.(٢)

كما خاض المجاهدون تحت قيادة صالح بوكريم معركة بسكرة لاستعادة إبل المجاهد محمد السملالي بعد غارة شنتها القوات الفرنسية على الابل، وقد نجح المجاهدون في ذلك، واستشهد في هذه المعركة عبدالكريم الورفلي وعبدالله القزون، وبصيص بوكريم، وعبدالنبي بوكريم وغيرهم.(٣)

ومن هنا أصبح الشعور لذي القبائل الليبية تجاه تشاد واضحاً في موقفها الداعم للتشاديين في تصديهم للقوات الفرنسية، وعلى الرغم من انتصارات القوات الفرنسية في كانم وباجرمي، فإن فرنسا ادركت الدور الكبير الذي يلعبه المجاهدون الليبيون في مقاومة لقواتها، وأن انتصاراتها مؤقتة ما لم تدخل في مفاوضات واتفاقيات مع الليبيين. حاولت استمالة مجموعة من المغاربة واولاد سليمان في كانم ولكن هذه المجموعة في اغسطس ١٩١٠م تواصلت سرا مع المجاهدين في بور+١كو و شنوا هجوماً على القوات الفرنسية، ورداً على ذلك قامت فرنسا بقتل مجموعة من التجار الفواخر بحجة أنهم يساهمون في تمويل مجموعات أحمد الشريف.(٤)

وفي اغسطس ١٩١٠م هاجم المجاهدون بوركو وألحقوا بالقوات الفرنسية بقيادة العقيد لارجو، خسائر فادحة. وفي ٤ سبتمبر ١٩١١م وقع صدام آخر مع الفرنسيين في منطقة شمال إفروان بقيادة رئيس عرفاء الفرنسي دوز، كانت هذه الهجمات تأتي من بلاد فزان لمهاجمة منطقة كوار.(٥)

(١) منى أبوالقاسم أبو سبيحة، المرجع السابق، ص٣٠.

(٢) محمد سعيد القشاط، الصحراء تشتعل، ص٣٩.

(٣) المرجع نفسه، ص٤٠.

(٤) سعيد الحنديري، العلاقات الليبية التشادية ١٨٤٣-١٩٧٠م، ص٩٢

(٥) محمد سعيد القشاط، الصحراء تشتعل، ص ٤٠.

في يوم ١٤ديسمبر ١٩١٣م قام شن لارجو أكبر هجوم ضد المجاهدين الذين كانوا بقيادة المهدي السني في منطقة قرو، وتمكنت القوات الفرنسية من اسر ابني المهدي السني وعبدالله وعبدالعال اللذين نقلاً اسيرين إلى انجامينا ولم يطلق سراحهما إلا في عام ١٩١٩م وانسحب المجاهدون إلي الشمال، وكانت معركة قرو أكبر اصطدام بين الطرفين قبيل الحرب العالمية الأولى.[1]

وفي عام ١٩١٤م وصل الفرنسيون إلى برواي في شمال تشاد ونصبوا أعلامهم في قمم جبال تيبستي، وكان الايطاليون قد اعلنوا الحرب على ليبيا في ٢٩سبتمبر ١٩١١م وعندما وصل المجاهدون الليبيون القادمون من الجنوب إلى الكفرة وصل الايطاليون إلى منطقة فزان، وقد تجمع في الكفرة كل المجاهدين القادمين من تشاد والنيجر، وقد وصل من قياداتهم إلى المنطقة الشيخ احمد الشريف، ومن معه من الاخوان، والشيخ محمد السني، وابنه المهدي السني، صالح بوكريم الزوي، واسر الشهداء كأسرة الشيخ البراني الساعدي، وأسرة عبدالله الطوير وغيرهما، ووصلت أيضا قيادة ذات مكانة مرموقة في حركة الجهاد منهم محمد كاوصن، ومحمد هاشم، غيث بوقنديل، واخرون لعبوا دورا مميزا بعد عودتهم إلى الوطن في حركة الجهاد.[2]

وكان الغزو الايطالي للسواحل الليبية في اكتوبر ١٩١١م تأثر بالغ على حركة الجهاد ضد فرنسا في تشاد، أذ أجبر هذا الحادث المجاهدين الليبيين إلى نقل حركة المقاومة ضد فرنسا في تشاد إذ أجبر هذا الحدث المجاهدين السيبين على نقل حركة المقاومة من تشاد إلى السواحل الشمالية لليبيا، وقد شارك المجاهدين القادمون من تشاد في خوض المعارك ضد القوات الايطالية في الجزء الشرقي من ليبيا، وتورد الروايات اسماء بعض هؤلاء المجاهدين مثال قجة عبدالله الذي اصبح احد قادة الجهاد في ليبيا، وشارك في عدة معارك منها على سبيل المثال يوم الحسين سنة ١٩١٥م[3]، وكذلك شيله القرعاني، فرج القرعاني، عباس خطاب، يوسف القرعاني، يوسف الكريداوي، على قاجي، الحاج باب الله، مسعود خولان، الحاج فتح الباب، عبدالكريم القرعاني وغيرهم كثير. كما قام المجاهدون التشاديون بالدفاع عن عن وطنهم وارضهم التشادية وليبيا،وقد ارتبط بعضهم بعلاقات مصاهرة مع بعض العائلات الليبية مثل القائد عبدالله قجة وشيله القرعاني اللذين تزوجا من ليبيات. وفقًا لبعض الروايات فأن القائد عبدالله قجة قد تزوج من ارملة المجاهد عبدالله الطوير، ذلك بعد أن عاد إلى تشاد في حوالي ١٩٢٤-١٩٢٥م.[4]

وعلى الرغم من الامكانات البسيطة المتوفرة

---

(١) سعيد الحنديري، العلاقات الليبية التشادية ١٨٤٣-١٩٧٠م، ص٩٢

(٢) محمد سعيد القشاط، الصحراء تشتعل، ص٤١.

(٣) منى أبوالقاسم أبو سبيحة، المرجع السابق، ص٣٤.

(٤) سعيد الحنديري، المرجع السابق، ص٣٩.

للمجاهدين الليبيين والتشادين فقد تمكن هؤلاء من خوض معارك ضاربة ضد بعض القوي العالمية : فرنسا في تشاد قي الفترة من ١٨٩٩—١٩١٣م، وأن يساهموا في مقاومة ايطاليا في ليبيا في الفترة من ١٩١٣- ١٩٢٥م وإنجلترا في مصر في الفترة من ١٩١٥- ١٩١٦م، وقد أخذ المجاهدون الليبيون والتشاديون على عاتقهم خلال هذه الفترة مسألة تحرير بلدانهم دون اللجوء إلى المؤتمرات الدولية التي عقدتها هذه القوى عقب انتهاء الحرب العالمية الاولى والتي لم تسفر إلا على تأكيد ابتلاع الوطن العربي والأرض الأفريقية من قبل هذه القوى المستعمرة.(١)

ثامناً- التحالف السنوسي العثماني ضد التواجد الفرنسي في تشاد ١٩٠٩-١٩١٢م.

كانت القيادة السنوسية تحاول دوما أن تؤكد ولو من الناحية المظهرية ا ستقلالها عن الإدارة التركية، ولكن في هذه المرة كان على احمد الشريف أن يسوي خلافاته مع الأتراك، وقد ا ستغل السلطان عبدالحميد هذه الاحداث وأخذا بعين الاعتبار احتمال ضياع اخر الممتلكات التركية في أفريقيا، فقد كان يدرك جيداً أنه من دون مؤزارة الحركة السنوسية تعجز تركياً تاماً عن بسط نفوذها ليس في الصحراء فقط بل حتى في برقة، ولهذا السبب سارع السلطان عبدالحميد ي بمجرد بدء النزاع بين الفرنسيين والسنوسيين إلى التصريح بأن الإمبراطورية العثمانية تنظر إلى الهجوم على الزوايا السنوسية كونه تحدياً للإسلام ككل، إلا أن الاتراك كانوا حريصين على تجنب الصراع المكشوف مع فرنسا، و كان على السنوسيين أن يتحملوا ثقل الحرب مع فرنسا على مدار عشر سنوات.(٢)

وقد لعب احمد الشريف دورا بارزا في مقاومة الاستعمار الفرنسي والبريطاني مما جعل بريطانيا تضغط على الامير ادريس السنوسي لتخلص من احمد الشريف، الذي كانت تعتبره ايطاليا وفرنسا وبريطانيا خصما عنيداً ومتشبثاً بمواقفه ولا يقبل التفاوض ولهذا فضل الانجليز والطليان التعامل مع الأمير ادريس السنوسي فيما بعد لكونه أكثر دبلوماسية منه.(٣)

وفي ١٩١٠م استطاع احمد الشريف اقناع الاتراك بضرورة التدخل إلى جانب المجاهدين الليبيين الذين كانوا يخوضون حرباً ضد القوات الفرنسية في تشاد، ومدهم بالمؤن والعتاد.فقد اوضح احمد الشريف للأتراك أن الوقوف في وجه القوات الفرنسية الزاحفة نحو بوركو انيدي وتبستي هو دفاع عن الدين الإسلامي وعن ليبيا بذات.(٤)

وأمام النشاط المتزايد للقوات الفرنسية في أفريقيا الوسطي ونداءات السنوسية بطلب المساعدة، زاد

(١) المرجع نفسه، ص٩٤.

(٢) نيكولاي بروشين، المرجع السابق، ص ٣٨٠.

(٣) بول مارتي،المرجع السابق، ص٢٩

(٤) سعيد الحنديري، المرجع السابق، ص٨٦

الأتراك من عدد قواتهم في ولاية طرابلس، وأولت السلطات التركية اهتمامًا خاصًا للاحتفاظ بمقاطعة تبستي، حيث أقاموا في جزئها الشرقي ناحية تتبع لقضاء تيبو جنوبي فزان، وعينوا أحد الزعماء المحليين مديراً للناحية، وكان الدافع الرئيسي لذلك هو تثبيت الإدارة التركية في هذه المنطقة لتأمين سلامة طرق القوافل،ودعم وشد أزر القوات السنوسية في حربها مع فرنسا.[1]

واستجابة لنداء احمد الشريف ارسلت الحكومة التركية فرقة من الجيش النظامي بقيادة اليوزباشي رفقي باشا، وصلت إلى بوركو وعسكرت في موقع يدعى عوينة باشا، ولكنها رجعت بعدة مدة قصيرة دون أن تدخل في معارك ضد القوات الفرنسية، كما أسست الحكومة التركية قائمقامية في الكفرة وعينت كيلاني الاطيوش المغربي والد المجاهد صالح الاطيوش على راس هذه الادوار، وفي عام ١٩١١م رفع العلم التركي فوق الجغبوب[2]

بذلك بذلت السلطات التركية جهوداً كبرة لاستمالة أحمد الشريف إلى جانبها ففي ١٩١٠م، وبناء على اقتراح متصرف برقة مراد فؤاد بك، تم تخصيص مرتب شهري لأحمد الشريف قدر ٤آلاف قرش ومنحه رتبة عقيد.وقبيل الحرب الايطالية التركية ١٩١١-١٩١٢م واصل الاتراك مناوراتهم للاحتفاظ بأخر ولاية لهم في شمال افريقيا، فبعد أن تركزت قواتهم في القلاع السنوسية في الجفرة والجغبوب، وقاموا بالتصدي للهجوم الواسع للفرنسيين جنوبي ولاية طرابلس،عمدوا إلى توقيع معاهدة مع فرنسا حول تخطيط الحدود بين تونس وطرابلس الغرب، وبموجب هذه المعاهدة تنازل الاتراك لتونس عن عدة واحات كانت تعبرها خطوط القوافل من المراكز التجارية الهامة في الصحراء، أما في جنوب ولاية طرابلس، فواصل الاتراك عرقلة الفرنسيين، وقبل شهر واحد من هجوم الايطالين على ليبيا تحركت الفصائل العسكرية التركية في اعماق أراضي أفريقيا الوسطي، ورفعت العلم في مركز بوركو في عين كلك، واستولت على إينيدي، وقد جرت هذه التحركات التركية بإلحاح من متصرف فزان محمد سامي، ولقيت تأييد حاكم الولاية والحكومة التركية.وقد فسر محمد سامي ذلك بأن الاستيلاء على بوركو ليس من شأنه فقط تحسين العلاقات مع أفريقيا الوسطي،وترك أثر ملموس على السياسة الخارجية التركية في تلك المنطقة، بل ايضا وإنه سيجبر فرنسا على أخذ النوايا التركية في الاعتبار للحفاظ على ممتلكاتها جنوبي ولاية طرابلس، بعد احتلال الاتراك لبوركو[3] فقام رؤساء السنوسية بإبلاغ زواياهم بالقيام بتأسيس الإدارة التركية، وقد تحرك النقيب رفقي بك من سوكنة في يوليو ١٩١١م لتأسيس الحكم الفعلي في بوركو بعد موافقة الباب العالي، وتم تجهيزه في

---

(١) نيكولاي بروشين، المرجع السابق، ص ٣٨٠.

(٢) سعيد الحنديري، المرجع السابق، ص٨٦

(٣) نيكولاي بروشين، المرجع السابق، ص٣٨١، ٣٨٢.

مرزق، وو صل إلى القطرون في ٢٥ اغسطس في نفس العام استقر في يان على بعد (٦) كم من جنوب كلك، وقد تابع الفرنسيون هذا التحرك، فتوجهت القوات الفرنسية الاستعمارية إلى هناك أيضا، وارسل العقيد لارجو قائد منطقة تشاد، رسالة إلى القائد التركي يقول فيها إن المكان الذي استقر فيه هو من مناطق النفوذ الفرنسي بحسب اتفاقيات سابقة مع بريطانيا والمانيا، وقد جاء رد النقيب رفقي بك قائلاً إن حكومته لم تعترف بالاتفاقيات المذكورة، بل إن تركيا لها حقوق مكتسبة فوق كانم ووداي، وبحر الغزال وما وراء السودان، وارسل الرسالة إلى متصرف فزان للنظر في الحدود التي خطها العقيد لارجو[١]، وتحت ضغط الفرنسيين، وافقت السلطات التركية في خريف ١٩١١م على بدء المفاوضات في طرابلس بهدف تسوية الحدود بين ولاية طرابلس والممتلكات الفرنسية في هذه المنطقة.[٢]

وكادت المساعدات التركية السنوسية تجني ثمارها لولا جملة من الاحداث التي أثرت بشكل سلبي على حركة الجهاد في المناطق الشرقية والشمالية من تشاد، منها غزو القوات الايطالية للسواحل الليبية في اكتوبر ١٩١١م، الذي لم يقطع فقط المفاوضات المزمع اجراؤها بين فرنسا وتركيا بل اجبر القوات السنوسية على وقف عملياتها الحربية ضد الفرنسيين، وتركيز كافة قواتها في الشمال للصراع ضد الغزاة الطليان،[٣] كذلك انشغال تركيا باندلاع الحرب في البلقان ١٩١٢م التي وجهت لها تركيا كل اهتماماتها، ودعت السلطات التركية في هذه الأثناء رفقي بك للعودة إلى ليبيا، وبقي في تيبستي علي معروف افندي ومدير المال وكاتب التحريرات وعشرة رجال من الجندرمة، كما بقي في بوركو ثلاثون جندياً بقيادة الملازم محمد اغا الذي ظل ممثلاً للحكم التركي في بوركو وتبيستي واينيدي حتى عام ١٩١٣-١٩١٤م، وعند الانتهاء الحرب التركية الايطالية بهزيمة الدولة العثمانية، تحرك محمد اغا للعودة إلى طرابلس، ولكنه قتل في جبال تبيستي قبل أن يصل إلى هدفه،[٤] وهنا استغلت القوات الفرنسية هذا الوضع الذي شل الجهد التركي لنجدة المجاهدين في تشاد، وشنت حملات مكثفة على المجاهدين في بوركو، وبعد اجلاء الاتراك واستيلاء ايطاليا على ليبيا استولت القوات الفرنسية على هذه المناطق وضمتها إلى الممتلكات الاستعمارية الفرنسية.[٥]

من هنا نجد أن الدور الذي كانت ليبيا تقوم به في تلك المناطق هو مقارعة الاستعمار الفرنسي الذي ركز إمبراطورتيه على مستعمراته الأفريقية، وأراد أن يرسم خطأ يفصل الوطن العربي في الشمال الافريقي حتى

---

(١) عبدالرحمن تشانجي، الصراع التركي الفرنسي في الصحراء الكبرى، ترجمة علي اعزازي، مركز جهاد الليبيين ضد الغزو الايطالي، (طرابلس، ١٩٨٢م) ، ص ٢٥٤.

(٢) نيكولاي بروشين، المرجع السابق، ص،٣٨١ ٣٨٢.

(٣) محمد فؤاد شكري، المصدر السابق ص١٠٠

(٤) عبدالرحمن تشانجي، المرجع السابق، ص٢٥٥.

(٥) نيكولاي بروشين، المرجع السابق، ص، ٣٨٢.

لايتهدد وجوده في الأمد البعيد، بحيث لا يضر بمصالحة، وتحدد النشرة العسكرية الفرنسية الصادرة في ١٩٣٢م في عددها الصادر في شهر اكتوبر أن إقليم الصحراء الذي يمتد من الشرق إلى الغرب، ومن الاطلس إلى البحر الاحمر على مسافة ٧ آلاف إلي ٨ آلاف كم، يضم أقاليم تقع في كل من المغرب والجزائر وليبيا والحوض المصري والسوداني وحوض السنغال والنيجر وتشاد وأعالي النيل.[1]

وفي الختام يمكن القول إن الموقع الجغرافي لدولتين ليبيا وتشاد، ووحدة العقيدة كان لهما دور كبير في توطيد العلاقات بين الدولتين، مما دفع بالطرفين الوقف معا في فترة الاحتلال الفرنسي لتشاد والاحتلال الايطالي لليبيا، حيث اشترك عدد كبير من الليبيين في حركة الجهاد ضد فرنسا، كما كانت بعض الادوار التي خاضت معارك الجهاد ضد ايطاليا من مجاهدين تشاد، وهذا يدل على قوة التضامن والتعاون بين ابناء الشعبين.

قائمة المصادر والمراجع

١- أ.ايفانز بريتشارد، السنوسين في برقة، ترجمة عمر الديراوي، مكتبة الفرجاني(طرابلس، د.ت).

٢- إبراهيم صالح بن يونس، تاريخ الإسلام وحياة العرب في امبراطورية كانم، برنو، مطبعة الحلبي، (القاهرة، ١٩٦٧م).

٣- اتوري روسي، ليبيا منذ الفتح الإسلامي إلى ١٩١١م، ترجمة خليفة التليسي، الدار العربية للكتاب (طرابلس،د.ت).

٤- احمد صدقي الدجاني، الحركة السنوسية نشأتها ونموها في القرن التاسع عشر، د.ن (القاهرة، ١٩٦٧م).

٥- أ.م كاني، ‹مظاهر الاتصالات الفكرية والثقافية بين شمال افريقيا ووسط السودان بين سنة ٧٠٠-١٧٠٠م› مجلة البحوث التاريخية، العدد الأول، السنة الثالثة، مركز جهاد الليبيين، (طرابلس،١٩٨١م).

٦- بول مارني، دور العرب الليبيين في مقاومة الغزو الفرنسي في بلدان حزام جنوب الصحراء بالقارة الأفريقية، ترجمة محمد عبدالسلام العلاقي، جمعية الدعوة الإسلامية العالمية، (طرابلس، ٢٠٠١م).

٧- جان لويس تريو، ‹تقوب الذاكرة في التاريخ الأفريقي السنوسية في تشاد دراسة في حالة وادي ›، ترجمة أحمد نجم، مجلة كلية الآداب، العدد ٤١، منشورات جامعة بنغازي (بنغازي، ديسمبر ٢٠١٧م).

٨- حليمة بوطاقة، زهية عوامر، حركة رابح بن فضل الله ودوره في بحيرة تشاد ١٨٤٥- ١٩٠٠م، رسالة ماجستير غير منشورة، قسم التاريخ جامعة الجيلالي بونعامة (الجزائر، ٢٠١٧م)

٩- د.م، العلاقات التشادية الليبية، موقع المعرفة، شبكة النت العالمية https://m.marefa.org.

١٠- رولفس غريهاد، رحلة عبر افريقيا مشاهدات

(١) بول مارتي المرجع السابق، ص٩

الرحالة الألماني في ليبيا وبرنو وخليج غينيا ١٨٦٥- ١٨٦٧م ترجمة عماد الدين غانم، مركز جهاد الليبيين (طرابلس، ١٩٩٦م).

١١- سعيد عبدالرحمن الحنديري، العلاقات الليبية التشادية ١٨٤٣- ١٩٧٠م، منشورات مركز جهاد الليبيين ضد الغزو الايطالي، (طرابلس، ١٩٨٣م).

١٢- ....، تطور الحياة السياسية في تشاد منذ الاحتلال الفرنسي حتى نهاية حكم تمبلباي (١٩٠٠- ١٩٧٥م) ، منشورات مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، (طرابلس، ١٩٩٨م).

١٣- شوقي الجمل، تاريخ كشف أفريقيا واستعمارها، مكتبة الانجلو المصرية (القاهرة، ١٩٧١م).

١٤- صادق مؤيد العظم، رحلة في الصحراء الكبرى بأفريقيا، ترجمة الكريم الشويرف، مركز الجهاد الليبيين (طرابلس، ١٩٩٨م).

١٥- الطيبي مباركة، عبدالعالي حاجة، الحركة السنوسية وموقفها من الاستعمار الاوروبي في الساحل الافريقي نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية والعلوم الاسلامية، جامعة احمد دراية (الجزائر، ٢٠٢١م).

١٦- عبدالرحمن تشانجي، الصراع التركي الفرنسي في الصحراء الكبرى، ترجمة علي اعزازي، مركز جهاد الليبيين ضد الغزو الايطالي، (طرابلس، ١٩٨٢م).

١٧- عبد الرحمن عمر الماحي، تشاد من الا ستعمار حتى الاستقلال ١٨٩٤-١٩٦٠م، الهيئة المصرية العامة للكتاب (القاهرة، ١٩٨٢م).

١٨- علي محمد الصلابي، تاريخ الحركة السنوسية في أفريقيا، دار المعرفة (لبنان، ٢٠١١م).

١٩- فؤاد زيدان، تشاد الفرصة الضائعة، ط١، منشورات المنشأة العامة للنشر والتوازيع ى، (طرابلس، ١٩٨٢م).

٢٠- محمد امحمد الطوير، ،صور من الجهاد الليبي ضد الاستعمار في العصر الحديث) ، مجلة الإخاء، العدد ١٩، السنة ٣، الأمانة العامة الجمعية الهلال الأحمر الليبي، (طرابلس، د.ت).

٢١- ----------------، ،ثورة عبدالجليل سيف النصر ضد الأتراك العثمانيين في ولاية طرابلس الغرب،، مجلة البحوث التاريخية، العدد ١، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية،(طرابلس، ١٩٩٨م).

٢٢- محمد سعيد القشاط، أعلام من الصحراء، دار الملقي، (بيروت، ١٩٩٨).

٢٣- ______________، الصحراء تشتعل، دار الملتقي للطباعة والنشر، (الاسكندرية، ١٩٩٨).

٢٤- محمود شكري، تشاد، مؤسسة الرسالة، (القاهرة، ١٩٧٢م).

٢٥- محمد الطيب الأشهب، بر قة العربية، أمس واليوم، مطبعة الهواري (القاهرة، ١٩٤٧م).

٢٦- محمد فؤاد شكري، السنوسية دين ودولة، دار الفكر العربي، (القاهرة،١٩٤٨م).

٢٧- محمد المبروك يونس، تاريخ التطور السياسي للعلاقات العربية الافريقية ١٩٥٢-١٩٧٧م، مطابع الثورة العربية (طرابلس،١٩٨٨م).

٢٨- محمود شعبان راشد، القبائل الليبية في السودان الأوسط ودورها في تاريخ المنطقة ١٧٩٥- ١٩١١م، منشورات جمعية الدعوة الإسلامية (طرابلس، ٢٠٠٣م).

٢٩- منى أبو القاسم أبو سبيحة، العلاقات الليبية التشادية ١٨٩٩-١٩٧٠م، مكتب الدراسات الاستراتيجية والمستقبلية، (ليبيا، ٢٠٢٢م).

٣٠- موسي يوسف عيسي، واقع الدعوة الإسلامية في تشاد (دراسة تقويمية خلال الفترة ١٣٩٠-١٤١٢هـ ١٩٧٠-١٩٩١م) رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الدعوة والاعلام، جامعة الامام محمد بن سعود الإسلامية،(السعودية، ١٩٩٦م).

٣١- نيكولاي بروشين، تاريخ ليبيا من منتصف القرن السادس عشر حتى مطلع القرن العشرين، ترجمة عماد حاتم، دار الكتاب الجديد المتحدة، (بيروت، ٢٠٠١م)

٣٢- نوي بن مبروك:، الليبيون في تشاد وموقفهم من الاحتلال الفرنسي لمملكة كانم (١٨٤٢- ١٩١٤م) ، مجلة دراسات افريقية بالجزائر، العدد ٧، المجلد ٣ (الجزائر، ٢٠١٩م).

٣٣- -----------، الاحتلال الفرنسي لتشاد ١٨٩٠-١٩٢٠م، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، قسم التاريخ، جامعة بوزريعة ٢، (الجزائر، ٢٠١٠).

٣٤- ---------------، الاحتلال الفرنسي لتشاد ١٨٩٠- ١٩٢٠م، رسالة ماجستير غير منشورة، قسم التاريخ، جامعة بوزريعة٢، (الجزائر، ٢٠١٠م).

٣٥- يوسف محمد محمد، ‹تاريخ الهجرات العربية إلى افريقيا جنوب الصحراء تشاد نموذجاً›، مجلة كان التاريخية، العدد ٤٢، السنة ١١، ديسمبر ٢٠١٨م.http://search.mandumah.com

علاقة قبائل تادلا الرثمة من ما قبل الاستعمار إلى الحماية الفرنسية

الصافي عبد الرزاق

rrazaksafi@gmail.com

مقدمة:

ساهمت مجموعة من الظروف الطبيعية والبشرية والاقتصادية وأيضا الاجتماعية التي تمثلت في التنقل والترحال، بحثا عن الكلأ والماء للمواشي، في نشوب مجموعة من الصراعات والتحالفات بين قبائل تادلة الرثمة في فترة السلم والحرب، فكانت مساعدة ومساندة لبعضها البعض وفي بعض الأحيان كانت تدخل في فترات من الصرع حول الموارد الطبيعية للمجال، وبدخول المستعمر الفرنسي إلى المنطقة حاول تنظيم المجال وفرض السيطرة على القبائل، التي ما كان منها إلا أن تحالفت مع بعضها البعض لطرد المستعمر من أراضيها.

المحور الأول: بعض المقاربات النظرية لمفهوم القبيلة

مفهوم القبيلة عند ابن خلدون:

القبيلة لا تتحدد بكونها جماعة متفرعة عن جد اول بل هي تتعدى ذلك النسب البعيد في معناه الواسع وما يمثله من أشكال التحالف والولاء والانتماء، فالارض تشكل أساس الالتحام، وما يعزز من التحامها هو الخطر الخارجي سواء من طرف القبائل الخارجية او من طرف السلطة المركزية، "...فالنسب امر وهمي لا حقيقة له، ونفعه إنما هو في هذه الوصلة والالتحام"[1].

مفهوم القبيلة عند ميشو بيلر:

قامت نظرة ميشو بيلر الى القبيلة انطلاقا مما لحظه:

- بلاد المخزن أي القبائل الخاضعة والمنضبطة.
- بلاد السيبة أي القبائل المنشقة والثائرة التي لا تعترف بسلطة المخزن.

مفهوم القبيلة عند روبير مونطاني:

القبيلة لا يتم تحديدها بالانتماء الى جد مشترك فقط بقدر ما يتم تحديدها بالتسمية ومجال العيش وفق مصالح مشتركة، والذي يساهم في ترابطها هو الخطر الخارجي، ولمواجهتها تعقد التحالفات، فتحدد

---

(١) عبد الرحمان ابن خلدون، مقدمة ابن خلدون، تحقيق مجدي فتحي السيد، الدار التوفيقية للتراث للطبع والنشر والتوزيع، ٢٠١٠، ص.١٤٤.

مفهوم القبيلة يعرف حسب مونطاني عدة اختلافات وصعوبات[١]، وهذا ما يتضح من قول الهادي الهروي، حيث يقول؛ "يعترف روبير مونطاني بصعوبة تحيد مفهوم القبيلة، وبالرغم من هذا الإعترف فإنها في تصوره: مجموعة من المناطق(المواضع)، يتراوح عددها مابين ثلاثة واثني عشرة، وتملك بقعة محددة، واسما خاصا، وبعض العادات الجماعية المشتركة، وتفتقر في الوقت نفسه إلى كل مؤسسة سياسية مضبوطة ودقيقة"[٢]. في هذا السياق يقول رحال بوبريك؛ " القبيلة مجموعة بشرية مكونة من قسمات ومجموعات اجتماعية يجمع بينها رابط القرابة الدموية(حقيقي أو وهمي) وتحتل مجالا ترابيا تمارس عليه سلطتها وتدافع عنه مع خضوعها لقيم وتمثلات ومبادئ مشتركة"[٣]

مفهوم القبيلة عند جاك بيرك:

القبيلة تنتج عن طريق ثلاث نقاط متفاعلة مع بعضها البعض وهي البنية الاجتماعية المرتبطة بالأرض، وأيضا بربط القبيلة بوسطها الايكولوجي البيئي أما الانتماء إلى الأصل المشترك فهو مجرد وهم يتوهمه الأفراد.

يمكننا أن نضيف نحن في هذا الإطار تعريفا آخر لمفهوم القبيلة عند رحال بوبريك بقوله: "القبيلة مجموعة بشرية مكونة من قسمات (فخذات وبطون وأعراش...) ومجموعات اجتماعية يجمع بينها رابط القرابة الدموية (سواء أكان حقيقيا أم وهميا) من خلال الانتماء الى جد مشترك"[٤].

تقوم القبيلة على الأرض: حيث تشكل الأرض العنصر الأساس للمجتمعات الزراعية، "إن مسألة الأرض في المجتمع المغربي لا تخرج عن القاعدة العامة التي رسمتها الشريعة مادام البلد ينتمي الى المجتمعات الإسلامية، فكل ارض هي مال، ترجع الى البيت مال المسلمين"[٥].

يعرف الأستاذ محمد الكتاني القبيلة بأنها؛ "جماعة من الناس تنتسب إلى نسب واحد، ويرجع النسب الى جد أعلى، أو إلى جدة، وهو في الأقل. وما تزال اللفظة حية مستعملة يستعملها العرب في كل مكان. في المعنى الاصطلاحي المستعمل عند النسابيين. فالقبيلة هي المجتمع الأكبر إلى أهل البادية. فليس فوقها مجتمع

---

(١) زكرياء أكجدول، طاطا: المجال، الإنسان والتاريخ ما بين (١٨٧٣-١٩٥٦) دراسة مونوغرافية، نشر المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، مطبعة- القنيطرة، الطبعة الأولى ٢٠٢٠، ص.١٧٠.

(٢) الهادي الهروي، م.س، ص.٦٠.

(٣) رحال بوبريك، زمن القبيلة السلطة وتدبير العنف في المجتمع الصحراوي، دار أبي رقراق للطباعة والنشر، الطبعة الأولى ٢٠١٢، ص.١٠٤.

(٤) رحال بوبريك، م.س، ص.٩.

(٥) الهادي الهروي، القبيلة، الإقطاع والمخزن مقاربة سوسيولوجية للمجتمع المغربي الحديث ١٨٤٤-١٩٣٤، افريقيا الشرق ٢٠١٠، ص.٦٥.

عندهم"[1].ويعرفها موسى المودن بحديثه عن تركيبة القبيلة المغربية بقوله؛ "تضم القبيلة في المغرب مجموعة من الفخدات، ونادرا ما يرمز اسمها إلى جد أعلى، يعتقد أفراد القبيلة بانتسابهم إليه، وهو أمر بديهي طالما أن القبائل في مختلف الجهات المغربية عرفت اختلاطا كبيرا في أصولها.ولعل مثل هذه الوضعية عند المجتمع القبلي، هي التي جعلت ابن خلدون يرى أن النسب هو الانتماء الفعلي إلى جماعة معينة، أي الانتماء الى عصبية ما، وليس فقط الانتماء الى جد مشترك، ومن هنا فان تعصب الفرد لعصبية ما (قبيلة أو جماعة) يرجع إلى الألفة وطول المعاشرة، وما ينتج عن ذلك من تشيعه بعاداتها وتقاليدها وبالروح الجماعية السائدة فيها، ومن ارتباط مصلحتها وجوده بوجودها"[2]

كما نجد الماركسية التي نظرت إلى القبيلة على أنها نسق متكامل وشمولي، تشمل العلاقة مع السلطة وعلاقات الإنتاج الاقتصادية، ف" التحليل المادي التاريخي (يركز) في تحديده لمفهوم القبيلة على مفاهيم مادية مرتبطة بنمط الإنتاج وملكية وسائل الإنتاج وما يترتب عن ذلك من علاقات إنتاج وتراتبات اجتماعية"[3].

تعتبر القبيلة تكتل سياسي وعسكري واقتصادي، له أهميته التي تظهر من قول رحمة بورقية التي تقول: " إن غياب القبلة كمؤسسة اجتماعية اقتصادية ليس معناه، غيابها كإطار للانتماء وللهوية المحلية، ذلك ما يجعل من القبيلة عنصرا من العناصر الثقافية والاجتماعية التي تشكل موضوع مساومة...تتبلور الأديولوجيا القبلية اليوم داخل حقل الصراع والتنافس من أجل السلطة أو التقرب من تلك السلطة"[4]

يشكل مفهوم القبيلة مفهوما أساسيا في الحقل الانثروبولوجي، واهم من اهتم بالقبيلة لويس هنري مورغان، إذ اهتم بدراسة المكونات القبلية وتطورها، فهي تضم مجموعة من العشائر والتي تشترك في اسم واحد ولهجة واحدة، كما أنها تمتلك أرضا واحدة وتدخل مع بعضها البعض في إطار المصاهرة.وقد "اعتبر بعض الدارسين أن مفهوم القبيلة يعود في أصله إلى مصطلح المؤسسات السياسية في الحضارة الهندو- أوربية القديمة.فالقبيلة في هذا الإطار كانت تمثل الشكل الاجتماعي والسياسي قبل ظهور المدينة- الدولة.واستعمل هذا المفهوم مبكرا في

---

(١) محمد الكتاني، موسوعة المصطلح في التراث العربي الديني والعلمي والأدبي، الدار البيضاء، منشورات دار الثقافة، ط: ٢٠١٤، ٢/١٩٥١

(٢) موسى المودن، قبيلة غمارة: التاريخ، الانسان والمجال، نشر المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، الطبعة الأولى ٢٠٢٠، ص.١٩.

(٣) الهادي الهروي، م.س، ص.٥١.

(٤) بوطالب محمد نجيب، سوسيولوجية القبيلة في المغرب العربي، سلسلة أطروحات الدكتوراه، مركز دراسات الوحدة العربية، الطبعة الأولى، يونيو ٢٠٠٢، ص.٦٩.

الدراسات الأنثروبولوجية بهدف تعيين نمط مجتمعي ونموذج من التنظيم الاجتماعي المتميز في تاريخ تطور الإنسانية"[1].

حياة القبيلة:

يعيش أفراد القبيلة في عزلة عن بعضهم البعض ولا يتحقق اتحادهم إلا بظهور خطر خارجي يتوجب مقاومته، مشكلين وحدة اقتصادية وسياسية، ولعل هذا ما يتضح من قول الهادي الهروي، الذي يقول: "يرى بعض الباحثين أن القبيلة لا تبرز ككيان شمولي إلا عندما تتواجد أمام عداء قبيلة مجاورة أو قبيلة أخرى، الشيئ الذي يجعلها تعبيرا عن نوع من التوازن بين الموارد ووسائل الإنتاج والبنية الاجتماعية، وهو توازن غالبا ما يكون مهددا، وتحاول العائلات والجماعات أن تحافظ عليه بمعاهدات تضامن، كما تحافظ عليه القبائل بأنظمة اللفوف"[2]. هذا الاتحاد الذي يغيب بانتهاء العداء الخارجي، فتجدهم يعيشون في صراع داخلي إما بسبب الماء أو الأرض أو المرعى. كما أن ما يوحد القبائل لتشكل كنفدراليات هو المصالح الاقتصادية والسياسية والعسكرية، من خلال تحقيق الاستفادة من الحقول والمزارع ثم من خلال تحقيق الأمن والحماية العسكرية "فالمجموعة القوية عسكريا هي التي غالبا ما تفرض نسبها وايديولوجيتها، لأنها المتغلبة وتلبس المجموعات الأخرى جلدها. وكانت القبيلة مع مرور الزمن وحدة مقاومة للمخزن وللتسرب الأجنبي عموما"[3].

عرفت قبائل وادي زم استقرارا فيما بينها، حيث لا نجد إشارات الصراع والتعارض بينهم بخلاف القبائل التادلية الأخرى التي كانت تعرف عدة اضطرابات فيما بينها "الشيء الذي دعى السلطان المولى محمد بن عبد الله رضي الله عنه إلى اتخاذ التدابير الضرورية لإرجاع الأمن إلى نصابه. فغزاهم وسلط عليهم من لا يرحمهم لإفسادهم ومحاربة بعضهم بعضا فنهب أموالهم وشردهم في كل وجه وولى عليهم صالح بن الراضي الورديغي سنة ١١٨٣ هـ فاستصفى هذا الأخير أموالهم وأفقرهم حتى لم يقدروا على الانتقال من محل إلى آخر"[4]، إلا أن العلاقة التي جمعت بين السماعلة وبني سمير تسجل حدثا للصراع فيما بينهم، إلا انه لم يؤثر على علاقات الأخوة والمحبة بين الطرفيين.

تتضمن الوثيقة رقم: ٧٧ من كتاب مصطفى عربوش الموسومة بتقرير العربي بن الجيلالي المعروفي حول ترحيل اسماعلة من طرف بعض ورديغة مايلي:

الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه

محبنا الأود الأرضى الفقيه العلامة المرتضى كاتب الأوامر الشريفة السيد العربي بن المختار. سلام عليك ورحمة الله تعالى وبركاته بوجود مولانا نصره الله.

---

(١) زكرياء أكجدول، م.س، ص.١٦٩-١٧٠.

(٢) الهادي الهروي، م.س، ص.١٠٦.

(٣) زكرياء أكجدول، م.س، ص.١٧٢.

(٤) مصطفى بن بوعزة الديكي، م.س، ص.١٨.

وبعد فليكن في كريم علمك وأن هذه النواحي كلها في غاية ما يكون من الهناء والصلاح والطاعة والسُّبُل مُمَوَّنة ما عدا فسدة ورديغة مدة هذه وهم مشتغلون بغيهم وفسادهم واتفقوا مع بعضهم وتحاموا على فريق منهم يقال لهم اسماعلة وغلبوا عليهم وأخرجوهم من بلادهم وطردوهم منها وفروا بحلتهم ليلا ونزلوا ببلاد بني خيران بين أولاد امحمد وزعير وبني إخلف من ورديغة وهم أكثر من إيالتنا وطلبوا منا أن نعلم سيدنا بأحوالهم على أن يولي عليهم أحدا منهم مثل المعطي بن السربوت فهم عند كلمة سيدنا وقد أعلمنا سيدنا بما هم عليه وأعلمناك لتكون على بصيرة.

وعلى المحبة والسلام.

في ٢٤ من جمادى الثانية عام ١٢٦٥ هـ-خديم المقام العالي بالله العربي بن الجيلالي المعروفي وفقه الله"(١).

كانت تؤدي ساكنة المنطقة الضرائب الواجبة عليها دون أي عصيان، لكن بعض من ورديغة قامت بأعمال الشغب والفوضى وذلك بتحالفهم مع بعضهم ومهاجمتهم للسماعلة الذين التجأوا عند جيرانهم بني خيران، وطلب هؤلاء السماعلة من السلطان أن يولي عليهم أحدا يحكمهم ويوجههم إلى ما فيه صلاحهم واقترحوا عليه شخصا منهم هو القايد المعطي ولد السربوت، والجدير بالإشارة إلى أن السماعلة سبق "أن طلبوا من ولي العهد سيدي محمد بن عبد الرحمان أن يتدخل لدى السلطان في تعيين القايد محمد ولد السربوت قائدا عليهم"(٢).

المبحث الثاني: قبائل وادي زم وعلاقتها بالمخزن

تنتشر في وادي زم وبواديها مجموعة من المداشر، ونظرا لارتباط قبائل المنطقة بالرعي والترحال، ونظرا للعلاقة الغير المستقرة مع المخزن، كانت هاته القبائل تنجح نحو بناء الخيام، ليسهل عليها التنقل من مجال إلى مجال، إلا أنها ولتخزين المؤن خوفا من توالي الجفاف كانت تبني مجموعة من المداشر التي تشكل تراثا معماريا، والتي تعود إلى فترة القرن ١٩، كما أنها لعبت دورا تحصينيا، فقد شكلت حصونا واسعة اتخذها "الإنسان للاحتماء من غارات المغيرين وهجمات المعتدين..وغالبا ما نعثر بداخلها على الإحياجات الخاصة كآبار الماء والمطامر التي تدخر بها الأعلاف والمنتجات الزراعية، وخاصة الحبوب كالقمح والشعير والسمن والزيت والحطب...وبساحاتها تنصب الخيام وتحصن المواشي"(٣).

اتخذت قبائل وادي زم ومنها السماعلة المداشر للحروب والاحتماء من العدوا ومن الغارات

(١) المصطفى بن خليفة عربوش، ومضات من تاريخ جهة تادلا/ أزيلال وثائق عن تادلا/ أزيلال، العدد الثاني، خمسون وثيقة من ٥١- ١٠٠، طبعة ١٤٤٣هـ/ ٢٠٢٢م، ص.١٢٤.

(٢) المصطفى بن خليفة عربوش، م.س، ص.١٢٥.

(٣) احمد محمد قاسمي، تاريخ قبيلة السماعلة، م.س، ص.٧٣.

الخارجية، ولعل ذلك يتضح من قول شارل دوفكو الذي يتحدث عن السماعلة في علاقتهم بالسلطان الحسن الأول قائلا: "لقي السلطان مقاومة عند رجوعه من السماعلة من طرف البراكسة، رفضت هذه الفخذة الابتعاد عند اقتراب الحركة[1] منها وامتنعت عن أداء أية مساهمة مالية. انتظرت القبيلة السلطان مستعدة للقتال فهاجمها السلطان فقتل البراكسة ٥٠٠ رجل من جيش السلطان لكنهم هزموا في النهاية فأخذت قصبتهم وهدمت أسوارها وقطع فيها ٥٠ رأسا وأخذ ٢٠ سجينا"[2].

هناك مداشر عديدة ففي السماعلة على سبيل المثال لا الحصر؛ دشر كناوة بالسيالغة، دشر أولاد عمران، دشر العبادنة، دشر أولاد فنان، دشر البراكسة، دشر أولاد الديك، دشر ايت عبد السلام، دشر بني سمير....اذا هناك تعدد للمداشر فلكل فرقة قبلية مدشرها الخاص بها، وهي "عبارة عن محميات ذات أشكال هندسية مستطيلة في الغالب تنتصب على أركانها أبراج عالية مربعة الشكل للمراقبة والحراسة، كانت هذه الدشور تبنى بالحجارة لوفرتها ببلاد السماعلة، سمك جدرانها حسب تقديرات قمنا بها بعين المكان يقارب المترين، وبارتفاع يتراوح بين ٨ او ٦ امتار، يرجح احدهم ان ظهور هذه الدشور ظل مرتبطا بالغارات والهجمات التي كانت تشنها القبائل زمان السيبة ويقصد النصف الثاني من القرن ١٩"[3]. بهذه المداشر عدة ثقوب أو فتحات أو نوافذ والتي تختص بالمراقبة.

والملاحظ أن السلطان الحسن الأول كان يتجول بين هاته القبائل مؤدبا لها، حيث "انتقلت الحركة إلى أولاد فنان "فخذة من السماعلة" فإلى بني خيران في أراضي هذه القبلية بدأ مولاي الحسن بأخذ زاوية أولاد سيدي بوعمران وهي للشرفاء الذي يحملون هذا اللقب، أولاد سيدي بوعمران شرفاء ذوو تأثير عظيم على فخذة بني خيران حيث يقيمون بين ظهران فخذة أولاد بوغادي. هؤلاء الآخرون أصحاب ثروة

---

(١) "يعتبر مفهوم الحركة من المفاهيم المعقدة التي شهدت اختلافا في تفسير معناها فهي مصطلح مخزني يعني حملة عسكرية تجرد للإطلاع على أحوال القبائل وتمهيدها، وللحركة نظام خاص في التنقل وغالبا ما يصاحبها السلطان فتدعى حينئذ محلة، كما ترد كلمة الحركة في الوثائق مرادفة لكلمة (محلة) بدون فرق، وقد يفرق بين المصطلحين بإطلاق (الحركة) على الجيش أثناء تنقله والمحلة أثناء استقراره. ويفسرها البعض بكونها مسيرة عسكرية ويشبهها بالغزوة مصطلح مخزني- سكون الراء- وتعني ما يشبه الغزوة او المسيرة العسكرية، والمشارك فيها يسمى الحارك" نقلا عن زكرياء اكجدول، م.س، ص ١٩٠

(٢) شارل دوفكوا، التعرف على المغرب١٨٨٣-١٨٨٤، ترجمة المختار بلعربي أستاذ بكلية الآداب القنيطرة، إشراف الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م، ص.٨٧-٨٨.

(٣) احمد محمد قاسمي، تاريخ قبيلة السماعلة، م.س، ص.٧٤.

كبيرة.كان عراهم السلطان، ثم خرب أراضي أولاد قطيطه" فرع من أولاد بوغادي" وأراضي بني منصور" فخدة من بني خيران"، كان السلطان عند بني منصور حوالي ١٠ غشت غادرهم ليسير إلى مرس لبيوض على الحدود بين بني خيران وزعير"[١].

السلطان الحسن الأول كان يقوم بمجموعة من الحركات التي هدفها تأديب القبائل المتمردة الخارجة عن الطاعة في أداء الضرائب، وهو ما يتضح من إحدى الرسائل السلطانية التي تحدث عنها احمد محمد قاسمي بقوله: هؤلاء السماعلة "...لم يسمعوا ولم يجيبوا الداع، وانحرفوا عن الجادة...واعتراهم الانحلال في أداء الواجبات التي حرم الله...فلم ينفع فيهم وعظ ولم تعمل ذكرى...فقد لجؤوا (كذا) الى قصر لهم متحصنين به، بعد أن جمعوا به أحوالهم وأهاليهم، وتجردوا للحرب متعنثين...فأمرنا بضربهم بالمدافع، وهد حصنهم، وتفريق هاتيك المجامع...فكانوا صرعى ما بين جريح وقتيل، وتركوا نسائهم وصبيانهم واموالهم لما كان امر وافضع...وتفرقوا عراة شذرمذر"[٢].

"وبشيئ من التفصيل قدم ايركمان كشاهد عيان، وصفا لهذه المواجهة التي كان من ضمن المشاركين فيها، حيث ذكر: أن هجوم الجيش المخزني كان في جو حار، وقد تمكن السماعلة المتحصنين بحصن بنوه حديثا، من المقاومة الشديدة، وتمكنوا من قتل ٤٠٠ من الجنود المشاة، وخمسين من جنود المدفعية، مما خلق ارتباكا في صفوف الجيش المخزني، الذي كان أفراده يعانون من العطش بسبب الحرارة المفرطة والصوم.ولم يكن لذيهم ما يكفي من الذخيرة، فانتهى بهم الأمر إلى تثبيت مواقعهم بعيدا عن أسوار الدشر، تاركين الحسم لسلاح المدفعية"[٣].

"وفي تأكيد للراوية السابقة يذهب صاحب مؤلف "زمن المحلات السلطانية الى القول: ما كان للمحلة أن تتغلب على هؤلاء، لولا تدخل المدفعية التي حسمت الموقف، ومع ذلك، فقد خلف الجيش المخزني في ساحة المعركة حوالي ٥٠٠ قتيل، في الوقت الذي كان السماعلة يحاولون حماية النساء والقطعان والأطفال، مستغلين مجيئ الليل لمغادرة القصبة في اتجاه الجبال المجاورة"[٤].

"وهو ما أكده القاضي محمد بن عبد السلام السائح، بقوله: أما السماعلة فوقعت بينهم وبين السلطان المولى الحسن...مراماة بالرصاص أفضت إلى مقاومة السلطان لهم؛ فنصب المدافع على مدشر لبراكسة فهدم وخرب مدشرهم، وفي الليل تسربوا إلى

---

(١) شارل دوفكو، م.س، ص.٨٨.

(٢) احمد محمد قاسمي التاريخ الجهوي، م.س، ص.٢٤٦.

(٣) المرجع نفسه، ص.٢٤٦.

(٤) لويس ارنو، زمن المحلات السلطانية، الجيش المغربي وأحداث قبائل المغرب ما بين ١٨٦٠-١٩١٢، ترجمة محمد ناجي بنعمر، ص.٤٥.

الغابة.وهكذا غادروا القصبة على شكل صفوف من النساء والأطفال تحيط بالمواشي، لم تكن خسائر السماعلة بالهينة، فقد تركوا دشرهم ساحة للجثث، وجرحى تفترسهم أشعة الحارقة والذباب"[١].

تحركات المخزن كان هدفها فرض الأمن وجباية الضرائب من هاته القبائل جلبا للمصلحة ودرءا للمفسدة، " لذلك كانت المراسلات تصف هذه القبائل في فترات عدم الاستقرار بالفساد والعتو وقطع الطرقات و قتل الأرواح وسلب أموال الناس ظلما.وفي فترات أخرى، نعتت قبائل رتمة بصلاحهم واستقامتهم ما داموا قد التزموا فدفعوا ما وظف عليهم.وعلليه فأداء الواجبات الجبائية يدخل هذه القبائل ضمن طاعة المخزن والامتثال لأوامره"[٢].كما أن الصراعات التي كانت تجري بين القبائل، كانت تحتم على المخزن التدخل للقضاء عليها وفرض الأمن، خاصة وان السلطة كانت متنقلة في المجال القبلي، فقد شكل ذلك" إدارة متنقلة، تفصل في مسائل القبائل التي تمر بها، وتجري الأحكام وتخضع القبائل، وتحفظ الطريق، وتجمع الضرائب، بمعنى ممارسة السلطة بمعناها الكامل.وعليه، لم تكن الحركات السلطانية عنيفة التدخل دائما.فقد كان السلطان يستقبل في أوساط من القبائل بكل ما يستحق من تقديس وحبور.وإذا كانت بعض القبائل معرضة للتأذيب والعقوبة، فإن ذلك لم يكن ممكنا إلا بعد فشل الوساطة والمفاوضات في +/ مقدمة الخطة، اما المدفعية فلم تكن تستعمل في غالب الأحيان إلا لكي تثير الضجيج.وسجلت الحركة العاشرة عام ١٣٠٠ / ١٨٨٣ .اعنف تدخل بتادلة رتمة، فقد تعرض مدشر السماعلة بالبراكسة لقصف مدفعي خلف عدة نتائج[٣].

في إطار الحركات التي قام بها السلطان المولى الحسن ضد قبيلة السماعلة يقول **احمد محمد قاسمي في كتابه التاريخ الجهوي لمنطقة تادلا**: "كان السلطان يقود جيشا كل سنة أو سنتين...،غاية هذه الحركة، تارة اعادة فخدات القبائل إلى طاعته، وتارة أخرى فرض ضرائب حرب على القبائل القوية...ما يقوم به السلطان الأن في تادلا، ١٨٨٣ هو حملة من هذا النوع، أي مجرد عملية مالية: الطريقة التي يتبعها لاتتغير، يتقدم خطوة خطوة، من قبيلة الى قبيلة، عارضا على كل منها عند وصوله اليها، ان تختار بين أمرين؛ نهب القبيلة، أو الافتداء بقدر من المال،...في كثير من الأحيان، يقرر المعنيون بالأمر شراء السلم بالثمن المطلوب، في هذه المرة انتقل السلطان "...إلى حاشية" الحدود بين بني زمور والسماعلة "، إلا أنه لقي مقاومة عند وصوله إلى السماعلة، من طرف فخدة لبراكسة، حيث رفضت هذه الفخدة الابتعاد عند

(١) احمد محمد قاسمي التاريخ الجهوي، م.س، ص.٢٤٦/ ٢٤٧.

(٢) صالح شكاك، م.س، ص.٦٦.

(٣) المرجع نفسه، ص.٦٨-٦٩.

اقتراب الحركة منها، وامتنعت عن أداء أي مساهمة مالية. انتظرت القبيلة السلطان مستعدة للقتال فهاجمها السلطان، فقتل البراكسة ٥٠٠رجل من جيش السلطان،لكنهم هزموا في النهاية، فأخذ قصبتهم وهدمت اسوارها وقطع فيها ٥٠رأسا وأخذ ٢٠٠سجينا. من هنا انتقلت الحركة الى اولاد فنان،(فخدة من السماعلة) لتنتقل بعد ذلك الى بني خيران"[١].

هكذا نرى بان قبائل المنطقة كانت تدخل في صراعات مع المخزن ومع جيرانها من القبائل المجاورة لها، وهو الأمر الذي كان يدفع بالمخزن إلى التدخل "والملاحظ، أن الكثير من الكتابات والمراسلات لا تقدم تفاصيل حول هذا التدخل العنيف. وحول ذلك كتب السلطان المولى الحسن رسالة إلى الحاج محمد بن سعيد السلاوي. في مقدمتها، يحمل المسؤولية للسماعلة الذين لم يسمعوا ولم يجيبوا الداع وانحرفوا عن الجادة ولم يكن منهم ذو لب واع واعتراهم الانحلال في أداء الواجبات التي حرم الله...لم ينفع فيهم وعظ ولم تعمل ذكرى"[٢].

والمثير للانتباه أن المخزن لم يقدم على مهاجمة قبيلة السماعلة إلا بعد تجريب أنواع المهادنة "إن الامتناع عن أداء الضرائب للمخزن جعلت هذا الأخير لا يقدم على مهاجمة دشر السماعلة الا بعد ان يجرب نوعا من المفاوضات: 'فطققنا مع ذلك نرسل إليهم عنان الاسترعاء ونمد لهم ولم نقذف في روعهم روعا فلم نذقهم من اول الامر مرارة ولم نذقهم درعا ليكون الاقدام على الفتك بهم، وتصف هذه الرسالة بعض وسائل دفاع السماعلة، "فقد التجأوا كذا الى قصر لهم متحصنين به بعد أن جمعوا به أحوالهم وأهاليهم وتجردوا للحرب متعنتين 'ونتيجة مقاومتهم العنيفة،امر السلطان 'بضربهم بالمدافع وهد حصنهم وتفريق هاتيك المجامع '، وكان من نتائج هذا القصف المدفعي فقدان السماعلة للكثير من القتلى والجرحى والاسرى 'فكانوا صرعى مابين جريح وقتيل وتركوا نساءهم وصبيانهم وأموالهم لما كان امر وافظع...وتفرقوا عراة شذر مذر '، واعتبر السلطان في نهاية بأن ما وقع للسماعلة لم يكن الا سنة الله فيمن بغى وحاد عن السنة والجماعة وطغى. ويكتفي مؤلف مراحل رحلات السلطان مولاي الحسن بالإشارة في الرحلة العاشرة،الى ان السلطان 'نهض من مراكش الى مكناس...وبيلاد تادلة أكل قبيلة السماعلة فرقة من تادلة"[٣].

من وجهة نظر أخرى يتبين ان السماعلة ظلوا محافضين على نساءهم وأطفالهم وقطعانهم من خلال الدفاع عنهم فرغم الخسائر التي يواجهونها الا أنهم ومع ذلك ظلوا محافظين على ثباتهم من خلا الاختباء في مداشرهم هنا يبين صالح شكاك على انه

(١) احمد محمد قاسمي، التاريخ الجهوي، م.س، ص.٢٤٥-٢٤٦.

(٢) صالح شكاك، ورديغة الكبرى، م.س، ص.٦٩.

(٣) صالح شكاك، ورديغة الكبرى، م.س، ص.٦٩.

"وعلى عكس هذه الندرة والعموميات تقدم بعض الكتابات الأجنبية تفاصيلا حول هذه المواجهة.فكتب لويس ارنو بهذا الصدد' وهكذا مررنا بالطريق التي تعجب مولاي الحسن الان، عبر تادلة حيث جاء الاف الفرسان الزيانيين للسلام على السلطان.لكن كان على المحلة وهي تعبر بلاد السماعلة ان تخوض معارك ضد هؤلاء البرابر المحتمين في قصابهم.ويؤكد هو الاخر ان المدفعية هي التي حسمت الموقف، ومع ذلك فقد خلف الجيش المخزني في الساحة حوالي ٥٠٠ قتيل.وفي نفس الوقت يضيف كيف كان السماعلة يحمون النساء والقطعان والأطفال، ويستغلون مجيء الليل للخروج من القصبة في اتجاه الجبال"[١].

لكن ومن منظور آخر يتبين أن المخزن تعرض لخسائر فادحة حيث" يذكر إيركمان، الذي عاين هذه المواجهة، بعض فصولها.فقد بدأ هجوم الجيش المخزني في جو حار، إلا أن السماعلة المحصنين بحصن بنوه حديثا، تمكنوا من المقاومة بقوة وتمكنوا من قتل ٤٠٠ من جنود المشاة وخمسين من جنود المدفعية، مما خلق ارتباكا في صفوف الجيش المخزني.وبالإضافة إلى هذه الخسائر، كان الجنود يعانون من العطش، بسبب الحرارة المرتفعة والصوم، ولم يكن لديهم مايكفي من دخيرة الخراطيش، فانتهى بهم الأمر إلى تثبيت مواقعهم بعيدا عن أسوار الدشر، تاركين الفعل الفصل لسلاح المدفعية، مما أرغم السماعلة على طلب التفاوض، واستمرت المفاوضات من الزوال الى المساء بسبب مقاومة النساء لأي استسلام أو طلب أمان.وبعد فشل الصدر الأعظم في إقناع السماعلة.شرعت المدفعية في القصف من جديد إلى غاية انتشار الظلام.ونجح السماعلة في الانسحاب في اتجاه الجبال على شكل صفوف من النساء والأطفال تحيط بالمواشي.وبالمقابل لم تكن خسائر السماعلة بالهينة فقد تركوا دشرهم ساحة للجثث،وجرحى افترستهم أشعة الشمس الحارقة والذباب.ويضيف شارل دوفوكو بأن المحلة السلطانية عمدت بعد ذلك الى هدم زاوية اولاد سيدي بوعمران بتراب بني خيران كما تمت معاقبة بني منصور من نفس القبيلة"[٢].

وما يمكننا أن نضيفه هو انه وحسب بعض الروايات الواردة في كتاب صالح شكاك لمجموعة من الافراد المنتمين إلى قبيلة السماعلة يتبين أن الخسائر كانت فادحة في كلا الطرفين،حيث يقول: "وفي رواية برحيل الحاج رحال بن بوشعيب، بلغ عدد القتلى في صفوف السماعلة حوالي ثلاثين دون الاطفال والنساء،ومن الجنود والقبائل الأخرى حوالي ٥٠٠قتيل.كما اسر حوالي خمسة وثلاثين رجلا،ذكر منهم عدة اسماء مثل علوان البركوسي ومحمد بن المعطي وبلكاسم بن طيب الموساوي وغيرهم وبعد تدخل بعض اعيان

(١) المرجع نفسه، ص.٦٩.

(٢) صالح شكاك، ورديغة الكبرى، م.س، ص.٧١.

القبيلة ووجهائها وعلى راسهم بوعبيد بن بوعزة بن العربي البركوسي لدى السلطان،اطلق سراح الاسرى ودفع لهم تعويضا عن الخسائر قدر بحوالي ٤٠٠ريال"[١].

وقد عبر شارل دوفوكو في ملاحظاته أثناء عبوره المنطقة على أن المنطقة تحتوي على عدد مهم من الفرسان تحرس قطعان المواشي في المراعي وحدد أعدادهم في مابين ٤٠ و٦٠ فارسا، لذلك نعت هذه القبائل بالسائبة، كما ان هذه القبائل متأرجحة بين التسيب تارة وبين الخضوع تارة اخرى، الا انها تخضع لفوذ الزاوية الشرقاوية، مما يمكننا من القول ان الجانب الديني الروحي كان مهيمنا عليهم.

ومن المؤكد أن هاته القبائل الوادزمية عرفت عدة إكراهات ومشاكل لعل أبرزها: أداء الضرائب، الجفاف، الأوبئة مما كان يحتم عليها الدخول في الصراع مع المخزن من جهة ومع القبائل المجاورة لها من جهة ثانية.فاين تتجلى علاقة هاته القبائل مع بعضها؟

تميزت بداية القرن العشرين بنشوب مجموعة من المواجهات مابين قبائل المنطقة اذ "ظل موضوعها الأرض وخاصة المرور والرعي في الأراضي الواقعة بين مجالاتها وأحيانا حول زراعاتها ومنابعها المائية أو لامتلاك النفوذ.ومن أهمها صراع بني خيران مع جيرانهم السماعلة، حيث وقعت نزاعات طويلة بين الاتحاديتين.وشعر بني خيران على الدوام بان السماعلة محتلون لأراضيهم ؛ثم صراع السماعلة مع بني زمور الذي أدى إلى اقتحام الاخيرين لتراب الأولين"[٢].

لعل الصراع الذي جمع بني زمور والسماعلة كان بسبب صراع السلطانين المولى عبد العزيز والمولى عبد الحفيظ على الحكم، هذا الصراع الذي تجلت معالمه عام ١٩٠٧ بسبب الصراع حول الماء، فقبيلة من بني زمور تسمى ايت صالح كانت تابعة للسلطان المولى عبد العزيز مع قبيلة أولاد كواوش الراغبة في مولاي عبد الحفيظ لذلك تحالفت مع السماعلة."وبعد مرور ثلاثة أشهر على كتابة هذا التقرير، عاد المقرر نفسه ليصحح في تقرير آخر ما جاء في التقرير الأول حول تكوين الفرقتين المتنازعتين، وأورد أن الزاوية الشرقاوية توصلت إلى إبرام صلح بين قبيلتي السماعلة وبني زمور، أو بعبارة أخرى "بين الزعماء المؤيدين لمولاي عبد الحفيظ ومولاي عبد العزيز في القبيلتين"[٣].

كما نجد صراع السماعلة مع بني سمير "واشارت بعض التقارير الفرنسية عن مواجهات محلية اخرى،منها ما اورده برحيل الحاج رحال في مسودته،

---

(١) المرجع نفسه، ص.٧١.

(٢) الملكي المالكي ثورة القبائل ضد الاحتلال،الجزء الأول،الطبعة الأولى ٢٠١٤، نشر ضمن المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، ص.٤٨١.

(٣) ديل إيكلمان، الإسلام في المغرب، ترجمة محمد أعفيف، رؤية للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى: ٢٠١٥، ص.١٩٥.

من كون سنة ١٣٢٢(١٩٠٤-١٩٠٥) شهدت اجتماع قبائل من ورديغة وبني سمير وبني زمور ضد السماعلة.فبادر هؤلاء الاخيرين بهجوم ليلي مباغث، مما أسفر عن معركة كبيرة خلفت حوالي ١٠٠٠ قتيل بما في ذلك النساء والاطفال.سنتان بعد ذلك دارت مواجهة عنيفة بين السماعلة وبني سمير ومن يناصرهم في موقعة عرفت بمعركة بو كروم وخلفت حوالي ٢٠٠٠قتيل"(١).

هكذا يتبن لنا بشكل واضح وجلي أن قبيلة السماعلة خلال عهد كل من السلطان المولى الحسن والسلطان مولاي عبد العزيز والسلطان مولاي عبد الحفيظ، ولو أننا لم نوسع في هذه النقطة إلا أن القبيلة تباينت مواقفها مابين التساكن والتعايش والصراع مع المخزن في حد ذاته من خلال الضرائب والمغارم التي كانت تفرض على قبيلة السماعلة، ومع القبائل المجاورة التي دخلت معها في صراع دموي لازالت اصداءه إلى اليوم حاضرة ما بين أبناء وبنات هذه القبائل، هاته القبيلة التي كانت تدخل في صراعات كبيرة وتظهر بسالة وقوة عز نظيرهما جعلها توصف بكونها قبيلة سائبة.

تميزت علاقات القبائل المكونة لوادي زم مع القبائل الاخرى المجاورة -بني زمور، ورديغة، زيان بتباينها ما بين التساكن والصراع، فالتساكن فرضته ظروف الحياة مما استلزم فرض أشكال مختلفة من التعايش كالصحبة والطاطا والملجأ(٢)، لكن ورغم ذلك فإننا نجد سمة التعارض والصراع سمة لمجموعة من القبائل، سواء بسبب الماء أو المرعى أو الاستيلاء على الأرض، دون نسيان قطع الطرق الذي كان من أهم مظاهر ونتائج هذا الصراع "فمنذ ١٨٦٢دخلت فرقتا موالين الدندون والكناديز من قبيلة بني خيران في صراع طويل بسبب تعرض احدى القوافل المخزنية للنهب.مما دفع بالمخزن إلى فرض غرامة قدرت ب ٤٠٠٠ ريال كتعويض على الفرقتين معا، إلا أن كل فريق حمل المسؤولية للفريق الآخر وامتنع الجميع عن أداء الغرامة.وتسببت مشاكل القتل والامتناع عن أداء الدية في اشتعال مواجهات.فقد كانت الدية محددة في بني خيران ب١٦٠٠ ريال للزعري و٣٢٠٠ ريال بالنسبة للورديغي أو التادلاوي"(٣).

خلال عام ١٩١٠ تجمعت فصائل جميع بني سمير وتكدست في الدشر تحت تهديد هجوم وشيك من السماعلة Smahla والترحيب بالطابور الذي خيم حوالي الساعة ٧:٣٠ صباحا. La colone (٤) campe à 7 :30 à la tombée

---

(١) صالح شكاك، ورديغة الكبرى، م.س، ص.٨٧.

(٢) للمزيد من التفصيل، انظر صالح شكاك، ورديغة الكبرى، م.س، ص.٥٨-٥٩.

(٣) صالح شكاك، ورديغة الكبرى، م.س، ص.٦١.

(4) Carnet de route de 4e goum à cheval : colonne du Tadla (16 juin -1er juillet 1910) / [par le capitaine Maurice Cuny.REVUE CAVALERIE, LIBRAIRIE MILITAIRE BERGER- LEVRAULT, p.5.

تميزت قبائل وادي زم (السماعلة، بني خيران، بني سمير) بنوع من الحرية الإدارية في التسيير، ففي كل قبيلة توجد" الجماعة" وهم عبارة عن أعيان القبيلة، تتكلف بتسيير الشؤون الداخلية للقبيلة كتوزيع الأدوار والواجبات وإصدار العقوبات والأحكام تجاه القضايا التي تهم أفراد القبيلة في نزاعاتهم و صراعاتهم حول الأرض والمرعى والماء والماشية، بالإضافة إلى أنها تمثل القبيلة أمام أعيان القبائل الأخرى في المواسم والاحتفالات والنزاعات والصراعات، هاته الأخيرة أن استعصت على الجماعة يتم اللجوء حينها الى الزاوية الشرقاوية التي تلعب دور التحكيم اذ " انه في حالة التعارض القوي تلتجأ الجماعة الى طلب تحكيم الزاوية الشرقاوية. وغالبا ما تلعب الجماعة دور المقترح للقائد، لذلك فلا سلطة للقائد الا ما تمنحه إياه الجماعة او ما استطاع ان يحققه شخصيا، وكلما اجتمعت الجماعة يكون القائد عضوا فيها، لا يشكل الا صوتا يمثل الفخدة التي ينتمي إليها باعتباره ممثلا لها في مجلس الجماعة"[1]. هذه الحرية حصلت عليها خلال أواسط القرن ١٩، بعدما انفصلت عن التبعية الإدارية لقائد أولاد بورزوق بمدينة السطات، فقامت قبيلة السماعلة بتعيين محمد ولد السربوت واليا عليها، واختارت قبيلة ورديغة احمد بن العربي، وهذا الانفصال جاء بمباركة " من السلطان (اذ) راسل شيخ الزاوية الشرقاوي في شأن التكلم مع قبائل ورديغة ليعينوا رجالا منهم يقومون بصلاحهم"[2].

المحور الثالث: تنظيم قبائل تادلة الرثمة زمن الحماية

تميزت قبائل تادلة العليا الرثمة زمن الحماية بخضوعها للنظام إداري عام ١٩١٣، وهو أول تنظيم إداري تعرفه المنطقة، "حيث أصدر المقيم العام قرارا جعل من مكتب وادي زم أحد المكاتب التابعة لدائرة السطات التي شكلت بدورها جزءا من جهة الشاوية. وأسند تسيير المكتب إلى رئيس وملازمين ومترجم. وفي فبراير من نفس السنة أصبح مركز وادي زم ملحقة مستقلة عن جهة الشاوية، حدد مجالها الإداري في مراقبة قسم من الشاوية ممثلا في قصبة ابن احمد وقبيلة مزاب إضافة إلى مراقبة قبائل تادلة الشمالية وتمتين الروابط مع مرابط أبي الجعد وقبيلة بني زمور. وأسندت مهام تسيير الملحقة الى العقيد بيريي. أما مهمة رئاسة مكتب وادي زم، فأسندت للضابط لاباسيت. ونتيجة التقدم العسكري الملموس نحو تادلة السفلى، أصدر المقيم العام قرارا جديدا في يونيو ١٩١٣، جعل من منطقة تادلة دائرة مستقلة ترأسها العقيد كارنيي ديبلسيس، بينما أصبح مركز وادي زم ملحقة عسكرية تراقب قبائل تادلة العليا"[3].

---

(١) صالح شكاك، ورديغة الكبرى، م.س، ص.٧٢- ٧٣.

(٢) صالح شكاك، تنظيم الحماية بأبي الجعد والدائرة، (ص ٢١- ٣٠) ، ندوة الحركة الوطنية والمقاومة بأبي الجعد ١٩٣٠-١٩٥٥، نشر المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، الطبعة الأولى ٢٠١١، ص.٢١.

(٣) المرجع نفسه، ص.٢٢.

خاتمة:

مجمل القول، لقد عاشت قبائل تادلا الرثمة منذ ما قبل الدخول الاستعماري، فترات من الصراع والتحالف حول الموارد الطبيعية للمجال، فقد كان الماء والمرعى يشكلان عصب الحياة لتلك القبائل، مما جعلها في بعض الأحيان تتحالف وفي أحايين كثيرة تتصارع.

البيبليوغرافيا:

باللغة العربية:

عبد الرحمان ابن خلدون، مقدمة ابن خلدون، تحقيق مجدي فتحي السيد، الدار التوفيقية للتراث للطبع والنشر والتوزيع، ٢٠١٠

صالح شكاك، المغرب العميق ورديغة الكبرى ١٨٧٣- ١٩٥٦ مساهمة في دراسة تاريخ الجهات بالمغرب المعاصر، تقديم: د.محمد كنبيب، الطبعة الأولى ٢٠١٠.

الملكي المالكي بن الجيلالي، ثورة القبائل ضد الاحتلال،الجزء الأول،الطبعة الأولى ٢٠١٤، نشر ضمن المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير.

قاسمي احمد محمد،التاريخ الجهوي لمنطقة تادلا الخصوصية المحلية والتحولات الكبرى،مطبعة المتقي بريتنر –المحمدية ٢٠١٦.

أحمد محمد قاسمي، تاريخ قبيلة السماعلة في إطار المحيط التادلي ١١٨٨م- ١٩٥٦، مطبعة المتقي بريتنر –المحمدية ٢٠٢٠.

زكرياء أكجدول، طاطا: المجال، الإنسان والتاريخ ما بين (١٨٧٣- ١٩٥٦) دراسة منوغرافية نشر المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، الطبعة الأولى ٢٠٢٠.

رحال بوبريك، زمن القبيلة السلطة وتدبير العنف في المجتمع الصحراوي، دار ابي رقراق للطباعة والنشر، الطبعة الأولى ٢٠١٢.

الهادي الهروي، القبيلة، الإقطاع والمخزن مقاربة سوسيولوجية للمجتمع المغربي الحديث ١٨٤٤- ١٩٣٤، افريقيا الشرق ٢٠١٠.

محمد الكتاني، موسوعة المصطلح في التراث العربي الديني والعلمي والأدبي، الدار البيضاء، منشورات دار الثقافة، ط: ٢٠١٤، ١٩٥١/ ٢

موسى المودن، قبيلة غمارة: التاريخ، الانسان والمجال، نشر المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، الطبعة الأولى ٢٠٢٠.

بوطالب محمد نجيب، سوسيولوجية القبيلة في المغرب العربي، سلسلة أطروحات الدكتوراه، مركز دراسات الوحدة العربية، الطبعة الأولى، يونيو ٢٠٠٢.

المصطفى بن خليفة عربوش، ومضات من تاريخ جهة تادلا/ أزيلال وثائق عن تادلا/ أزيلال، العدد الثاني، خمسون وثيقة من ٥١- ١٠٠، طبعة ١٤٤٣هـ/ ٢٠٢٢م.

شارل دوفكوا، التعرف على المغرب١٨٨٣-١٨٨٤، ترجمة المختار بلعربي أستاذ بكلية الاداب القنيطرة، إشراف الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م.

ديل إيكلمان، الإسلام في المغرب، ترجمة محمد أعفيف، رؤية للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى: ٢٠١٥.

لويس أرنو، زمن المحلات السلطانية، الجيش المغربي وأحداث قبائل المغرب ما بين ١٨٦٠-١٩١٢، ترجمة محمد ناجي بنعمر.

مصطفى بن بوعزة الديكي، وادي زم الشهيدة وطنية ورجال، مطبعة الاندلس، الدار البيضاء ١٩٨١.

الندوات:

ندوة الحركة الوطنية والمقاومة بأبي الجعد ١٩٣٠-١٩٥٥، نشر المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، الطبعة الأولى ٢٠١١.

بالفرنسية:

Carnet de route de 4e goum à cheval : colonne du Tadla (16 juin -1er juillet 1910) / [par le capitaine Maurice Cuny.REVUECAVALERIE, LIBRAIRIEMILITAIRE BERGERLEVRAULT.

"دور الإعلام في الحد من تأثيرات الحرب الناعمة وسبل مواجهتها ٢٠٠٣-٢٠٢٤م"

إعداد الباحث

ماجد أحمد الوشلي

طالب دكتوراه الجامعة الإسلامية.بيروت.لبنان

الملخص:

تهدف هذه الدراسة الموسومة بـ: دور الإعلام في الحد من تأثيرات الحرب الناعمة وسبل مواجهتها ٢٠٠٤-٢٠٢٤م، إلى تسليط الضوء على هذه الحرب وادواتها ووسائلها واهدافها، ودور وسائل الإعلام في مواجهتها والحد من تأثير ها، واقتضت الدراسة استخدام الباحث منهج البحث التاريخي لتحليل هذه الحرب ودراسة مضمونها ومعرفة نتائجها، وقسمت الدراسة إلى مقدمة وأربعة مطالب تناولت المقدمة مشكلة الدراسة واهميتها، واهدافها، وتناول المطلب الأول مدخل تمهيد عن الحرب الناعمة، في حين تناول المطلب الثاني استخدام الغرب لوسائل الإعلام لنشر الدعاية وتشكيل الرأي العام، اما المطلب الثالث تناول دور وسائل الإعلام في مواجهة الحرب الناعمة، واما المطلب الرابع والأخير تناول المعالجات الإعلامية لتكتيكات الحرب الناعمة، واستعرضت الخاتمة اهم النتائج التي توصلت اليها الدراسة لعل من ابرزها مساهمة الإعلام في معالجات تكتيكات الحرب الناعمة من خلال نشر الوعي وتوسيع الثقافة بمخاطر هذه الحرب على المجتمع.

الكلمات المفتاحية: حرب، ناعمة، نتائج، دور، إعلام، وسائل.

Abstract:

The aim of this study is tagged with: the role of the media in reducing the effects of soft war and ways to highlight this war, its tools, means and purpose, and the role of the media in confronting and reducing their impact, and the study rose to use a curriculum Historical research to analyze this war and study their content and find out their results, and the study was divided into an introduction and four demands to be provided with the problem of the study, its importance, and addressed

the first demand for the soft war, while the second demand was addressed The third requirement was to address the role of the media in the face of the soft war, and the fourth and last request addressed the information processors of soft war tactics, and the conclusion reviewed the most important findings of the study to contribute Media in the processors of soft war tactics by spreading awareness and expanding culture with the risks of this war on society.

Keywords: war, soft, results, role, media, means.

مقدمة:

يعد الإعلام المحور الاساسي الذي يدور حوله المواجهة الحقيقية في الحرب الناعمة، باعتبارها وسيلة أقل كلفه من المواجهة المباشرة، إذ يلعب الإعلام دوراً حيوياً في الحد من الحرب الناعمة، من خلال تشكيل الوعي المجتمعي وتصحيح بعض الافكار والمعلومات المغلوطة التي يحاول العدو نشرها في المجتمع، حيال ذلك يمكن للإعلام الوطني القيام بدور فاعل في توعية الجمهور بمخاطر وخطط الحرب الناعمة، ومواجهة التضليل الإعلامي وعملية التلاعب بالراي العام، من خلال تحري الدقة والموضوعية وتقديم معلومات دقيقة وموثوقة تساهم في مساعدة الدولة في تقويض كمية الشائعات والاخبار الكاذبة التي يحاول من خلالها العدوا تضليل المجتمع، وهذا لايمكن معالجته، إلا من خلال تقديم وسائل الإعلام تحليلات معمقة ومقابلات مع خبراء يقومون بتحليل اهداف الحرب، وتشجيع الجماهير على التفكير النقدي، وتقديم معلومات بصورة أفضل وتعليم الجمهور على كيفية التحقق من المصادر وفهم السياقات المحيطة وراء المعلومة المضللة، إذ يتيح الإعلام للأفراد والمجتمعات التعبير عن آرائهم ومخاوفهم، مما يساهم في عملية التخفيف والاحتقان الاجتماعي، فضلاً عن تعزيز الحوار الهادف والبناء بين الافكار والرؤى والثقافات المختلفة، فسلطة الإعلام واسعة تمكنه من مراقبة الانشطة المشبوهة مثل الحملات الدعائية والمضللة من قبل الاعداء، أو الوجهات والكيانات المضللة، من خلال تسليط الضوء على الممارسات غير الأخلاقية، كما يمكن للإعلام بناء جسور التواصل بين الدول والشعوب مما يقلل التوترات ويساعد في تحقيق الاستقرار.

مشكلة الدراسة:

تهدف هذه الدراسة الموسومة بـ: دور الإعلام في الحد من تأثيرات الحرب الناعمة وسبل مواجهتها، إلى اثارة سؤال اشكالي رئيسي، كيف يمكن للإعلام أن يساهم في مواجهة الحرب الناعمة؟ وماهي

الأساليب والاستراتيجيات الفعالة لذلك؟، ويتفرع منه اسئلة اشكالية فرعية ما هي أبرز التحديات التي تواجه الإعلام في التصدي للحرب الناعمة ؟ وكيف يمكن للإعلام تعزيز الوعي العام حول مخاطر الحرب الناعمة؟ و ماهي الأدوات والوسائل التي يمكن استخدامها في هذه المواجهة؟ كل هذه الأسئلة سيتم الإجابة عليها من خلال مطالب الدراسة.

أهمية الدراسة:

تكمن أهمية الدراسة أنها دراسة جديدة تسلط الضوء على التحديات الحالية التي تواجهها الدول والمجتمعات.

الإسهام في تطوير استراتيجيات إعلامية فعالة لمواجهة الحرب الناعمة.

رفد المكتبة اليمنية بدراسة جديدة عن الحرب الناعمة لزيادة الوعي المجتمعي بها وبمخاطرها وأثرها المباشر على الامن.

نطاق الدراسة:

تقتصر الدراسة على الفترة الزمنية التي بدات بالحرب الامريكية على العراق حتى اليوم، ودراسة تأثير الإعلام على الراي العام ودوره في مواجهة الحرب الناعمة.

أهداف الدراسة:

١- استعراض لمحة عن الحرب الناعمة.

٢- دراسة استخدام الغرب لوسائل الإعلام لنشر الدعاية وتشكيل الرأي العام.

٣- توضيح دور وسائل الإعلام في مواجهة الحرب الناعمة.

٤- التعرف على دور الإعلام في معالجات تكتيكات الحرب الناعمة.

منهج الدراسة:

واقتضت الدراسة استخدام الباحث منهج البحث التاريخي لتحليل هذه الحرب ودراسة مضمونها ومعرفة نتائجها.

الدراسات السابقة:

هناك دراسات سابقة تقترب من هذه الدراسة في وجه من الاوجه، لكنها تختلف في تناولاتها لموضوع الحرب الناعمة، ومن هذه الدراسات:

ــ دراسة: **يحيى قاسم أبو عواضة**: الحرب الناعمة والمعالجات، دائرة الثقافة القرآنية، صنعاء، ط٢، ٢٠١٨م، تعد من الدراسات المهمة التي تناولت توصيف الحرب الناعمة، وهذا يجعلها تتفق مع دراستي في جانب توصيف الحرب الناعمة، واختلفت دراستي هذه عنها أنها تناولت دور الإعلام بشكل واسع ومفصل، في حين اقتصرت دراسة ابو عواضة على الاشارة لوسائل الإعلام بصورة بسيطة، ومثلها دراسة: **عبد الملك محمد الشرقي**: الحرب الناعمة وخطرها على المجتمعات الإسلامية، رابطة علماء اليمن، صنعاء، ط١، ٢٠٢١م.

ــ دراسة: **ف.س.سوندرز**: من الذي دفع للزمار ؟ الحرب الباردة الثقافية، ترجمة: طلعت الشايب،

المركز القومي للترجمة، القاهرة، ط٤، ٢٠٠٩م.اتفقت هذه الدراسة مع دراستي في استعراض جانب الغزو الثقافي وتوسعت في استعراضه، واختلفت دراستي هذه عنها في تناول دور الإعلام بشكل اوسع.

علي محمد الحاج حسن: الحرب الناعمة الأسس النظرية والتطبيقية، المركز الإسلامي للدراسات الاستراتيجية العتبة العباسية المقدسة، العراق، ٢٠١٨م.استعرضت هذه الدراسة بشكل عملي الاسس النظرية التي ادت إلي ظهور مصطلح الحرب الناعمة، واشارت إلى جانب تطبيق هذا الجانب، فألتقي دراستي مع هذه الدراسة في جانب التأسيس والية التطبيق الميداني، واختلفت دراستي هذه عنها أنها دراسة متخصصة لجانب دور الإعلام وقدرت وسائل الإعلام في التأثير في الحرب سلباً وايجاباً، وهذا الجانب حاولت دراسة علي محمد الاشارة اليه في جزئية بسيطة.

دراسة: صباح الطالقاني: الحرب الناعمة القوة والعنف بوجه آخر، تحقيق: سلام الطائي، مجلة الروضة الحسينية، العدد ١٤٧، ١٤٤٢هـ.تناولت هذه الدراسة الاشارة إلى الحرب الناعمة بطريقة بسيطة تم توضيحها على شكل مقال صحفي عابر، فاتفقت دراستي هذه معها في جانب المخاطر المترتبة على الحرب الناعمة، وفي الاشارة إلى دور القنوات التلفزيونية في تكوين قوة ناعمة للدول، في حين اختلفت دراستي عنها بأنها دراسة اكاديمية متخصصة تناولت بشكل وا سع دور الإعلام في مواجهة الحرب الناعمة والمعالجات التي يوجهها الإعلام لتوعية الجماهير من الحرب الناعمة واضرارها على المجتمع.

فرضيات الدراسة:

ـ دور الإعلام كمصدر موثوق ويلعب دوراً حاسماً في تعزيز الوعي العام حول مخاطر الحرب الناعمة من خلال تقديم معلومات دقيقة وموثوقة.

استراتيجية مواجهة فعالة إذ يعتمد الإعلام في مواجهة الحرب الناعمة على تطوير استراتيجيات إعلامية متعددة تشمل استخدام وسائل التواصل الاجتماعي والمنصات الرقمية.

التعاون بين الجهات الحكومية والإعلام إذ يمكن أن يؤدي التعاون بين الحكومة ووسائل الإعلام إلى امكانية تحسين القدرة بصورة فعالة في المواجهة من خلال التنسيق المتبادل في حملات التوعية وتبادل المعلومات.

تأثير الرسائل الإعلامية على الرسائل الإعلامية الموجهة بشكل مباشر على تشكيل الراي العام ومواجهة الدعاية السلبية الموجهة المرتبطة بالحرب الناعمة.

محتوى الدراسة:

تضمنت محاور الدراسة الاتي:

المقدمة: وتضمنت المشكلة والاهمية والاهداف.

المطلب الأول: مدخل تمهيد عن الحرب الناعمة.

المطلب الثاني: استخدام الغرب لوسائل الإعلام لنشر الدعاية وتشكيل الرأي العام.

المطلب الثالث: دور وسائل الإعلام في مواجهة الحرب الناعمة.

المطلب الرابع: المعالجات الإعلامية لتكتيكات الحرب الناعمة.

الخاتمة: وفيها النتائج التي توصلت اليها الدراسة.

المطلب الأول: مدخل تمهيد:

تعد الحرب الناعمة من الوسائل والادوات القتالية الباردة في الوقت الحاضر، نظراً لقوة تأثيرها الفعال في مشاعر الخصم، وهذا ما قامت به الولايات المتحدة الامريكية بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية، وتحديداً عام ١٩٤٧م، التي قامت بإعداد جهاز خاص ذو واجهة دعائية ثقافية هدفت من خلاله لتشويه النظام السياسي السوفيتي(١)، أما مصطلح القوة الناعمة فإنها مشتقة من القوة الناعمة: وهي القدرة للحصول على ما تريده عن طريق أساليب وأدوات مشروعة، كما روج لها جوزيف ناي(٢)، الذي روج بمهارة لتوظيف ثنائية الصلب والناعم بشكل استراتيجي للمشاريع الامريكية(٣)، في مختلف بلدان العالم بأسلوب سهل وبسيط لا يسمع فيه اي صوت لمدفع، أو قذيفة بل توغل فكري ثقافي يعمل على تحسين صورة أمريكا وخدمة اجندتها ومصالحها (٤)، في عيون الآخرين ولأمريكا الكثير من القوة الناعمة منذ زمن طويل فكَروا في تأثير الحريات وفي الشباب وتلبية حاجاتهم النفسية والشخصية وعوامل الإغراء، فالإغراء أكثر فاعلية من الإرغام على الدوام وكما قال الجنرال ويسي كلارك ،فإن القوة الناعمة قد أعطتنا تأثيرا أبعد بكثير من الحافة الصلبة لسياسات ميزان القوة التقليدية، ولكن الجاذبية يمكن أن تنقلب إلى نفور إذا تصرفنا بغطرسة وعدم فهم الواقع والمجتمع ولعا أميركا أقوى دولة منذ الامبراطورية الرومانية، ولكن أميركا مثل روما ليست قوة لا تقهر ولا هي عديمة التعرض للعطب والانكشاف فروما لم تخضع لنشوء إمبراطورية أخرى ولكنها تداعت أمام موجه من هجمات البرابرة والارهابيون المستخدمون للتقنيات لخوض صراع مع الارهاب يتضح بشكل متزايد إن

---

(١) ف.س.سوندرز: من الذي دفع للزمار ؟ الحرب الباردة الثقافية، ترجمة: طلعت الشايب، المركز القومي للترجمة، القاهرة، ط٤، ٢٠٠٩م، ص ١٣.

(٢) جوزيف ناي: هو البروفيسور جوزيف ناي نائب وزير الدفاع الامريكي السابق، ومدير مجلس المخابرات الوطني الامريكي، وعميد كلية الدراسات الحكومية في جامعة هارفرد، ويعد أحد أهم المخططين الاستراتيجيين الأمريكيين. https: / /ar.wikipedia.org /wiki /

(٣) الإمام علي خامنئي: رؤية الإمام الخامنئي في مواجهة الحرب الناعمة، مركز قيم للدراسات، بيروت، ٢٠١١م، ص١٧.

(٤) الإمام علي خامنئي: الدليل التطبيقي لمقاومة الحرب الناعمة طبقًا لخطابات الامام الخامنئي، مركز قيم، بيروت، ٢٠١١م، ص ٣.

عوامل كثيرة تقع خارج السيطرة الأميركية فالولايات الأميركية لا تستطيع وحدها أن تصطاد كل مشتبه به من قادة القاعدة يختفي في أصقاع الدنيا النائية ولا تستطيع أن تشنَ حربا كلما رغبت دون أن تنفر بلدانا أخرى وتخسر التعاون الذي يحتاج إليه لكسب السلام (١).

تنقسم القوة الناعمة إلى ثلاثة أقسام مهمة هي:

أولاً: القوة الاقتصادية: ويقصد بها قوة الاقتصاد الامريكي وهيمنته العالمية، إذ تستطيع امريكا من خلال اقتصادها فرض العقوبات الاقتصادية، على البلدان التي لا تدور في فلكها ومن ابرز هذه الدول الجمهورية الإسلامية الايرانية (٢).

ثانياً: القوة الصلبة العسكرية: ويقصد به قوة الجيش الامريكي الذي يمتلك القوة والعتاد والتقنية، وهذه قوة صلبه تمنحه الهيمنة المطلقة في العالم.

ثالثاً: القوة الناعمة: وتمثل هذه القوة الطبقة السياسية الحاكمة التي تحاول جني الارباح من وراء القوتين السابقتين، وهذه التقسيمات الثلاثة تمنح امريكا القوة والتفوق والهيمنة والسيطرة في السياسة الدولية دون منازع (٣).

تعد كثير من الدول العربية، في مواجهة حقيقية مع تحدي لا سابقة له وهو الجانب المظلم من العولمة وخصخصة الحبر التي راحت ترافق التكنولوجيات الجديدة وخاصة الإعلام المرئي وهذا هو التركيز المناسب لاستراتيجيتنا الجديدة في العالم حول أدوات الحرب الناعمة وقد رأينا أنفا أن القوة الناعمة تنمو من اعلامنا وثقافتنا وسياساتنا المحلية ومن سياستنا الخارجية وكثير من آثار ثقافتنا سواء كانت نحو الأفضل أم نحو الأسو وهي خارجة سيطرة الحكومة ولكن ما يبقى على الحكومات هو القدرة على فعل تحسين العمل الدبلوماسي وتحسين قدراتنا الاذاعية بشكل كبير وكذلك استخدام سياسة الانترنت بشكل أفضل وقد كتب نيوت غرينغريتش أن تأثير نجاح استراتيجية اتصال أميركية جديدة ينبغي قياسه باستمرار بطريقة تقوم على أخذ كل بلد على حدة فينبغي أن تقوم مؤسسة مستقلة للشؤون العامة بالتواصل مع جميع الخطوط العالمية لمعرفة الايجابيات والسلبيات المتعلقة في التغير السياسي والاجتماعي، وكثير من المشاكل السياسية والاجتماعية التي تشكو منها الدول العربية والإسلامية أتت بعد الحداثة وأكثر من ذلك إننا لا زلنا محافظين على قوة الانفتاح والحريات المدنية والديمقراطية التي تعجب الآخرين وتنشأ المشاكل

---

(١) جوزيف نأي: القوة الناعمة وسيلة النجاح السياسي، مكتبة العبيكان، الرياض، ط١، ٢٠٠٧م، ص ١٢-٢٧.

(٢) جيمس غلاسمان؛ مايكل دوران: حل القوة الناعمة في إيران، ترجمة: علي الحارس، مقال منشور في صحيفة وول ستريت جورنال، بتاريخ ٢١ يناير ٢٠١٠م، ص ٣.

(٣) الإمام علي خامنئي: رؤية الإمام الخامنئي في مواجهة الحرب الناعمة، ص١٨.

من قوتنا الناعمة عندما لا نرتفع في ممارساتنا إلى مستوى مقاييسنا ذاتها وعندما نكافح للعثور على التوازن الصحيح بين الحرية والأمن في المعركة ضد الاعداء فإن من المهم أن نتذكر الآخرين يراقبوننا كذلك، وعندما نستخدم قوتنا الصلبة فعلينا ان ننتبه أكثر لجعلها أقل تكلفة لقوتنا الناعمة وذلك عن طريق أقامه ائتلافات عريضة في فهم الواقع والابعاد المستقبلية لأي عمل يقوم به جهة أو طرف سياسي لديه أهداف وغايات تغيرية[1].

المطلب الثاني: استخدام الغرب لوسائل الإعلام لنشر الدعاية وتشكيل الرأي العام.

تعد الحرب الناعمة من الحروب الباردة التي لا يعلن عنها بشكل ر سمي، ولا تخضع هذه الحرب لقوانين الحرب المتعارف عليها، في القانون الدولي، كما أن أصوات مدافعها لا تسمع، ومعاركها، لا ترى بالعين، وبالتالي فخسائرها لا يمكن تقديرها، ولا حصرها، فجميع وسائل الإعلام لا تنقلها، أو تنقل أثار ها، فالأول مرة تصبح الثقافة، ووسائلها وادواتها، من إعلام، ووسائل اتصال وتواصل، وتعليم ومشاريع تنمية وتدريب وتأهيل مجرد ادوات استراتيجية تستخدمها الدول الكبرى لتغيير الأنظمة والجمعات في ا لدول الضعيفة[2]، إذ تعمل الولا يات المتحدة الامريكية، على الاستفادة من الدعم الذي تقدمه، لبعض البلدان الضعيفة من أجل التدخل في شؤونها تحت شعارات استراتيجية معززة لخلق ميدان جديد تستطيع أن تلعب من خلاله بأوراقها السياسية، في هذا البلد، من خلال استخدام عبارات الديمقراطية وغيرها من المسارات التي تستخدمها بغرض التدخل المباشر، في البلدان وتسويق هذا التد خل تحت شعارات التنسيق والتعاون، وهذه الشعارات ظلت مدخل منا سب لتوغل التدخلات الامريكية في شؤون الدول بصورة غير مباشرة، حتى لا تفقد مصداقيتها السياسية كدولة ترعى المسار الديمقراطي وتدافع عنه في جميع المحافل الدولية، لكنها في الواقع تناقض كل هذا الادعاء بتدخلها في شؤون الدول وتمنعها من حقها في التطور والتقدم والازدهار[3].

محتوى العينة المضلل:

حاولت الولايات المتحدة الامريكية ايجاد وسائل أكثر نعومة، في تدخلاتها في شؤون الدول الأخرى، وهذا الامر ليس بجديد أن تقوم دولة بممارسة سياسة التأثير والنفوذ بمختلف أشكاله، على غيرها من الدول والشعوب، فهذا ديدن الدول منذ فجر التاريخ ونشوء الدول، فقد يكون التدخل عن طريق السفارات، أو القنصليات، أو عبر و سائل دبلوما سية

(١) جوزيف نأي: المصدر السابق، ص ٢٥-٣٣.

(٢) الإمام علي خامنئي: الدليل التطبيقي لمقاومة الحرب، ص ٣.

(٣) تقرير مجموعة الدراسات في معهد السلام الامريكي: سعياً للديمقراطية والأمن في الشرق الأوسط الكبير، معهد السلام الامريكي، واشنطن؛ ٢٠١٠م، ص ٣.

أخرى، كالبعثات الثقافية، أو الإعلامية، المختلفة، وهذا العمل من أجل القيام بالتأثير السياسي، وقد يكون إطار التأثير من خلال ممارسة بعض الشركات العاملة في النطاق الاقتصادي، أو التجاري، كما تمارس هذه الوظيفة وسائل الإعلام المختلفة، وقد يصل الامر، إلى استخدام علاقة الافراد الشخصية والاجتماعية بهدف التأثير السياسي، وهذا الاتجاه يشبه في اتجاهاته وأهدافه ما تقوم به بعض الجيوش والدول من ممارسة الحرب النفسية، والدعاية ضد اعدائها المفترضين، بهدف ادخال الخوف والرعب في نفوسهم، تمهيداً للسيطرة عليهم تحت أي مبرر، و قد يكون ذلك تحت شعار المساعدة في البناء والتطور، ودعم مجالات التنمية المختلفة في اي بلد، وهذا يعد من أهم المبررات وأكثرها قبولاً [١].

يتضح من خلال ما سبق أن هذا النوع من الحروب النفسية بهدف ادخال الاحباط والهزيمة في نفوس الشعوب تمهيداً للقضاء عليها، وابلغ صور هذه المشاهد ما يقوم به الكيان الغاصب اليوم، بعد استهدافه لسماحة السيد حسن نصر الله الامين العام لحزب الله في بيروت، بهدف تحقيق الاهداف المتمثلة في كسر محور المقاومة وهزيمته.

تملكت الامريكيين رغبة جامحة، في البقاء على رأس هرم الهيمنة العالمية من خلال الشروع نحو تحقيق انتصارات حاسمة بدون استخدام القوة الصلبة (الجيش) ، وحدها وهذا الامر في اعتقادهم أصبح من الماضي، لاسيما أن الانفتاح وقوة وسائل الاتصال والتواصل والبرمجيات، قد تعيق الولايات المتحدة الامريكية، في أي حرب ترغب في شنها على أي بلد، وعليه فأن الخيار الانسب لهم، في هذا الميدان استخدام وسيلة تأثير أكثر نجاحاً تعتمد استراتيجية الحرب الناعمة، لضمان وجود حلفاء كثر، ليس من الحكام فقط، بل ايضاً من ابناء شعوب المنطقة التي ترغب أمريكا في فرض السيطرة والهيمنة عليها بشكل من الاشكال المناسبة التي لا تكلف فيها نفسها لتحريك اساطيلها البحرية وقواتها العسكرية اليها، لتحقيق هذا الغرض الذي قد يكون تحقيقه بالقوة الصلبة يحمل خسائر وصعوبات لا ترغب بها [٢].

تمكن الامريكيين من ايجاد محاور رئيسية تقوم من خلالها التأثير على الدول والشعوب الأخرى بغرض السيطرة عليها، وهذه المحاور تنقسم إلى ثلاثة أقسام رئيسية هي:

المحور الأول: الرسالة الإعلامية:

تقوم على تعزيز القيم والمؤسسات الأمريكية واضعاف موارد منافسيها وأعدائها لتتمكن بمفردها من الاستفراد بهذه الدول والشعوب.

---

(١) علي محمد الحاج حسن: الحرب الناعمة الأسس النظرية والتطبيقية، المركز الإسلامي للدراسات الاستراتيجية العتبة العباسية المقدسة، العراق، ٢٠١٨م، ص ٩.

(٢) صباح الطالقاني: الحرب الناعمة القوة والعنف بوجه آخر، تحقيق: سلام الطائي، مجلة الروضة الحسينية، العدد ١٤٧، ١٤٤٢هـ، ص ١٥.

المحور الثاني: البرامج التلفزيونية:

توسيع مساحة وجاذبية الرموز الثقافية والتجارية والإعلامية والعلمية الأمريكية وتقليص نفوذ منافسيها، وأعدائها، من خلال الترويج لرموزها.

المحور الثالث: الإعلانات الموجهة:

العمل على بسط وتحسين وتلميع جاذبية أمريكا وتحسين صورتها، وتثبيت شرعية سياسته الخارجية، من خلال ابراز مصداقية تعاملاتها، والترويج لسلوكها الدولي، وضرب كل من يقف أمام توجهاتها(١).

تحليل الاستجابة:

هز الثقة داخل الشباب المسلم:

يلجأ العدوا إلى الحرب الناعمة لتخريب مجتمعاتنا، لا سيما بعد أن وجد صعوبة في اختراقها، فعمل بكل جهد، على ايجاد قيم جديدة سعى لتأسيسها بهدف ضرب قيم المجتمعات العربية، ومع هذا نجد أن هناك العديد من الشباب المسلم المندفع وراء هذه القيم، وتصديقها والتسليم بها، وتنفيذها بصورة طبيعية، فتتأثر تعاملاتهم وسلوكهم تبعًا لهذه القيم الدخيلة، التي تحول معتنقها إلى تابع ومقلد، بعد أن كان مستقل، وصاحب قرار، وما ادركه المغرر به أنها قيم فا ضلة ليست إلا قوة هدم أخلاقية قيمية ناعمة لا يستفيد منها إلا من روج لها، وكان وراء ادخالها في مجتمعاتنا الا سلامية المحافظة على القيم والفضيلة، لضربها بهدف ابعاد مجتمعاتنا ــــ بصورة أو بأخرى ـ عن الدين الإسلامي ورموزه ومقدساته، واستبدالها، بهويات ورموز ومؤثرات بصرية إعلامية وثقافية، واكاديمية، وبحثية، وتجارية، وعلاقات عامة، ودبلوماسية، ونظراً للفارق المهول في الوسائل والامكانيات نجد انفسنا تابعين لا نستطيع الانفكاك عنها نتيجة الهوس التي أوصلها الاخر لنا لنكون من خلالها خاضعين له، بحجة الحداثة والتقدم، وما سواها مجرد تخلف قاتم، وهذا بحد ذاته يعد ابلغ وسائل الحرب الناعمة ذات الابعاد الخطيرة لضرب نفسياتنا، لنكون مجرد خاضعين منقادين لها، واغواءنا وجذبنا نحوها دون أن ندركها أمامنا، ودون أن تترك أثر لبصماتها، أو نستشعر بوجودها، فالجميع أصبح في مستنقع التبعية التي لا يمكن الانفكاك منها، بقصد أو بدون قصد، ولا سبيل لنا في الخلاص منها إلا الوعي التام، بمخاطر السير في فلك الغرب الذي يسعى بكل جهد لتحطيم هويتنا وقيمنا الخالدة(٢).

ضرب قيم الاخوة في الدين الإسلامي:

يتجلى هذا المسار، بشكل واضح بعد ظهور حركة المقاومة الإسلامية في لبنان التي دعت منذ الوهلة الأولى لانطلاقها، إلى الوحدة بين المسلمين على اختلاف اتجاهاتهم، ومذاهبهم، باعتبار ذلك السبيل الوحيد للأمة لتحرير بيت المقدس، من الاحتلال

---

(١) إدارة التحرير: الحرب الناعمة، مجلة مع الشباب، العدد ٥، ٢٠١٩م، ص ٥٠.

(٢) مجلة مع الشباب، المصدر السابق، ص ٥١.

الصهيوني، ونتيجة لهذه الدعوة السليمة تنبه الامريكيين لمخاطرها مبكراً، وسعوا جاهدين نحو تأسيس صراع مستدام داخل العالم العربي والإسلامي، ضربوا من خلاله المسلمين بعضهم بعض، بهدف تقليص شعبية المقاومة الشيعية لدى اخوانهم السنة، والعكس(١).

حاول الامريكان تغذية السردية التي تغذي استمرار دائرة العنف بشكل أكبر، وصورة اوسع بهدف تغذية العنف الطائفي الذي يستحيل معه امكانية استماع المسلمين لبعضهم بعض، ويستحيل معه توقف دائرة العنف، و ما يؤكد أن الامريكان من خلال هذا الامر ضالعين في صراع القوة الناعمة أي القدرة على الحصول، على الا هداف التي يريدون تحقيقها من خلال ا ستخدام ادوات الحرب الناعمة عامل الجذب بدلاً عن الاكراه، والقدرة على الجمع بين القوة الناعمة والصلبة، وهذه استراتيجية اعتمدها الامريكان في المنطقة العربية يستطيع من خلالها تحقيق الفوز، من خلال استخدام اساليب ذكية لإيقاع الخصوم، في مستنقعات لا يستطيعوا الخروج منها، وهذا الامر بهدف اشغال قوى المقاومة عن تحقيق هدفها تحرير فلسطين(٢).

دور الإعلام في مواجهة الإعلام المضلل:

تعد الحرب الناعمة قبل اي شي هدف تخريبي يضرب المجتمعات بشكل عنيف، ولا سبيل امام هذه الحرب الا المواجهة، ونظراً لتعدد اساليب الحرب الناعمة فلابد من ايجاد وسائل واساليب مواجهة ترتكز على نوعين هما:

أولاً: تجهيز وسائل توعية تعمل على تحصين المجتمع والفرد من هذه الحرب بصورة كبيرة لمنع العدوا من تحقيق اي اختراق.

ثانياً: زيادة اليقظة والحذر والعمل ليل ونهار من اجل تتبع خطط العدوا وافشالها من خلال الكشف عنها وايجاد طريقة اكثر نجاعة في طريقة الرد عليه(٣).

يتضح من خلال ما سبق أن امريكا حاولت جاهد تحقيق الاتي:

١- ضرب أي خطوات وحدوية جادة بين المسلمين والعمل على تعميق الانقسام بينهما بشكل يستحيل ايجاد اي مشتركات تعمل على توحيد الأمة.

٢- إذكاء الصراع السياسي بين أفراد الأمة واشغالهم بحرب أهلية تمنعهم من التوجه نحو تحرير فلسطين من اليهود الغاصبين.

٣- استخدام وسائل متطورة ومختلفة تمنح أمريكا

---

(1) Theinnercirle site Joseph S.Nye Jr's explanation of (Smart Power) in the Middle East, 15-7-2009.

(٢) الحرب الأمريكية الناعمة على حزب الله، مركز الحرب الناعمة للدراسات، دار المعارف الإسلامية الثقافية، بيروت، ط١، ٢٠١٨م، ص ٥٢.

(٣) مجلة مع الشباب، المصدر السابق، ص ٥١.

قوة ومصداقية أكبر داخل الشعوب العربية والإسلامية تعيق من خلالها ـ بصورة أو بأخرى ـ اي تقارب بين المسلمين مستقبلاً.

المطلب الثالث: دور وسائل الإعلام في مواجهة الحرب الناعمة:

تعد وسائل الإعلام المختلفة، من أهم التحديات الراهنة، في منطقة الشرق الاوسط، إذ توضح ملامح الوضع السياسي والثقافي، والإعلامي العربي، في هذه اللحظة الراهنة مدى عمق الاختلاف، فضلاً عن تمزق الخارطة الجيوسياسية العربية والإسلامية، فيتبادر إلى الذهن سؤال جوهري: كيف جرى هذا التمزق؟ وكيف وصلنا إلى هذه النقطة الحرجة والخطيرة؟ والاهم كيف نقاوم ذلك؟

تجدر الاشارة أن المنظومة العربية الثقافية والإعلامية داخل المجتمع العربي، هي عبارة عن طبقات رسوبية متراكمة عبر الزمن الطويل من القيم والمعارف والتاريخ، والعادات والتقاليد، تشكل بها المسار المعرفي العام لأفراد المجتمع بمختلف فئاته وطبقاته، وعليه فإن عملية تغييره تمثل صعوبة كبيرة، لإعادة تشكيله، فالأمر برمته يحتاج لفترة زمنية طويلة لإعادة تشكيلة، بما يخدم اجندات امريكا والكيان الصهيوني اللذان حاولا جاهدين تحقيق اختراق واسع للمنطقة لتطويعها وفق اجنداتها السياسية، وتعد مصر ابلغ مثال لمثل هكذا محاولات[١]، إذ لعب الإعلام دوراً بارزاً في تطويع بعض البلدان العربية بالحرب الناعمة، نظراً لقوة التأثير العالية التي تلعبه وسائل الإعلام، فعلى سبيل المثال لا الحصر شكلت قناة الجزيرة مصدر القوة الناعمة لدولة قطر، إذ واكبت الاحداث السياسية التي تدور في المنطقة، وابرزها الحرب الامريكية على العراق، حيث بثت القناة مشاهد مروعة للجرائم التي ارتكبها الامريكيين في العراق، وهذه الفضائع ولدت تعاطف واسع مع العراق وحقد كبير على امريكا ومصالحها في العالم العربي والإسلامي، وهذا الاهتمام الإعلامي جعل الامريكيين يفكروا في ايجاد وسائل أكثر نعومة في تحقيق الانتصار عوضاً استخدام القوة الصلبة لديهم كون الاخيرة أصبحت بالنسبة لهم مكلفة جداً، ولا تلبي الاهداف والطموحات المراد تحقيقها من وراء الدخول في حرب ساخنة كون الاوراق اصبحت مكشوفة، بفضل الإعلام ووسائل التواصل الاجتماعي المختلفة [٢].

يشكل الإعلام حجر الزاوية، في مواجهة الحرب الناعمة، لاسيما أن وسائل الإعلام في الوقت الحاضر اضحت سلاحاً فعال جداً، في المواجهة واخذت

---

(١) عبد الخالق فاروق: الحرب الناعمة ومحاولات الاختراق الصهيوني للعقل العربي، مقال منشور عبر موقع قناة الميادين بتاريخ ١٦ ابريل عام ٢٠٢٢م، على الرابط: https://mdn.tv/6xos.

(٢) صباح الطالقاني: المصدر السابق، ص ١٥.

تلعب دوراً أساسياً ومؤثر فالعدوا يعتمد عليها بشكل رئيسي، في نشر انشطته الهدامة والتضليلية، في كل المستويات وعلى مختلف الاصعدة، منها استهداف الناس في الجانب الثقافي والفكري من خلال توجيه القنوات الفضائية ذات رسائل دينية، لكنها في حقيقة الامر تلبس الحق بالباطل وتحاوز بث سموم ثقافية وفكرية منحرفة بهدف مسخ هوية المجتمع وتجرد الانسان من قيمه الفطرية، من خلال ضرب المنظومة الاخلاقية وبث الافلام والمسلسلات الخادشة للحياء بهدف نشر الفاحشة والرذيلة في المجتمع، وتنشر قيم الفساد الاخلاقي التي يؤدي إلى تدنيس النفوس، فضلاً عن قيام وسائل الإعلام بتزييف الحقائق والأحداث وتضليل الراي العام بالترويج للباطل، وهذا لا يقتصر على افساد الشباب بل هناك قنوات تستهدف الاطفال وفطرتهم السليمة لإفسادهم مبكراً من اجل بناء جيل فاسد لا تهمه مقدساته ولاهم لديه إلا التسلية والترويح عن النفس[1].

تعد الحرب الناعمة كأي حرب لها استراتيجياتها وتكتيكاتها وأسلحتها بمعنى أنها ليست فكرة أو مذهبا أو مخططا تجريديا، ولذلك أداة الحرب الناعمة الاستراتيجية يتمحور حول الإعلام المرئي لما له من تأثرات كبيرة على المستوى الفكري والثقافي وقد حاولنا جمعها وتلخيصها من مصادرها الرسمية وهي منقولة بصورة حرفية وشبه حرفية عن وثائق ومستندات أمريكية تم أعدادها لتكون جاهزة للتنفيد على ارض الواقع كي تؤتي النتائج السياسية المرجوة منها دون أن تظهر ضجيج تجاه تنفيذ هذه السياسات[2]، ومن أهم الأسباب والأسرار في الحرب الناعمة عن طريق الإعلام المرئي الفعال هي:

١- الاستنزاف المتواصل لطاقات الخصم -خصم الدول المعادية لأمريكا والغرب، وسلب حيويته واشعاعه وبالعموم ضرب وأضعاف موارده الناعمة.

٢- الضغط والتشهير المتواصل على مرتكزات ورموز وملامح ونفسية وعقل الخصم بدون أي توقف؛ بهدف تحقيق الإرهاق والإرباك وخلخلة الأركان.

٣- الدعم العلني لتيار على حساب تيار آخر وهذا ما نلاحظه في إعلامنا العربي والاقليمي وخاصة في السنوات الأخيرة التي حدثت فيها الانتفاضات العربية، والتقييم الفئوي لساحة الخصم؛ بهدف خلق بيئة من الاتهامات المتبادلة، وايجاد فرز واستقطاب يسمح بالدخول على الخط والتلاعب.

٤- استغلال نقاط الضعف في بعض الشخصيات القيادية في جبهة الخصم لخلق توترات وحساسيات، وعداوات مع الشخصيات المنافسة وتسعير حمى الصراع على المواقع عبر تسريب الاشاعات والأخبار، وتضخيم صورة بعض الشخصيات

---

(١) يحيى قاسم أبو عواضة: الحرب الناعمة والمعالجات، دائرة الثقافة القرأنية، صنعاء، ط٢، ٢٠١٨م، ص ٢٤-٢٥.

(٢) جوزيف نأي: المصدر السابق، ص ٣٣.

وخاصـة المعارضـة وصـناعة نجوميتها الإعلامية والجماهيرية.

٥- خلق بيئة سياسية وشعبية وإعلامية متوترة من خلال الجدل والمناقشة في قضايا وموضوعات فكرية وسياسية حساسة، تؤدي إلى أحداث تناقضات وحساسيات بين الفصائل المختلفة.(في إيران مثلا يتم التركيز على موضوع ولاية الفقيه ومواصفات وصلاحيات الولي ومصدر شرعيته، ومدى أهلية الولي الحالي الإمام السيد علي الخامنئي للقيادة)

٦- استدراج التيارات الإسلامية إلى الملفات السياسية العامة بما يؤدي إلى توريطها بأزمات سياسية مع غيرها من التيارات وأبعادها عن هدفها المركزي في مواجهة الغرب، ولأثبات فشل وقصور نظم الحكم والإدارة الإسلامية عن تلبية الاحتياجات والمتطلبات الدولية والسياسية المعاصرة [1].

٧- ضرب وتشويه صورة علماء الدين والمؤسسات الدينية وهذا ما شاهدناه في بعض القنوات العربية؛ بهدف تقليص دورهم، ولأجل العمل على إدخال تعديلات على المناهج الدينية وأضعاف الفكر الديني.

٨- تعديل وظيفة المساجد وتحويلها من قواعد دعم للفكري الإسلامي إلى قواعد لبث التسامح والاعتدال من وجهة نظر أمريكا والغرب تحت مسمى 'العلمانية الوطنية أو العلمانية الحرة'.

٩- إبراز مخالفة النظم والحركات الإسلامية لمواثيق ومقررات الأمم المتحدة ومنظومات الأمن والسلم الدوليين ومقتضيات حقوق الإنسان وقيم التسامح الديني وتبنيها للعنف والإرهاب كمنهج واستراتيجية وهذا المنهج رأيناه في قناتي الجزيرة والعربية من ظهور سياساتهم المكشوفة أمام المثقفين والباحثين.

١٠-دعم تيار ما يسمى بالإسلام المدني المعتدل، وايجاد شبكة إسلامية دولية مرتبطة بالغرب تعمل وفق الضوابط الأمريكية والغربية، وترويج إسلام أميركي وغربي وعرفان وتصوف مزيف تحت مسمى الإسلام السياسي.

١١- تقليص الوجود العسكري وهيكلة الجيوش الممانعة والمقاومة 'الجيش العربي السوري والجيش اليمني كنموذج لهيكلته عبر طريق الحرب الناعمة' وترويج بعض الحلقات والتقارير التي فيها بعض الممارسات الشنيعة والسيئة لبعض الجيوش، ووضع فقط ما يسمى الشرطة الأمنية والمحلية، وزيادة الوجود المدني والإعلامي والاستخباراتي في العالم الإسلامي [2].

يتضح من خلال ما سبق أن هذه أهم الأسباب التي جعلت للحرب الناعمة قوة وثبات في ترويج سياساتها وتمكينها في كثير من البرامج السياسية والثقافية، التي يتم التحكم بها من مراكز التحكم الامريكية بشكل مباشر، وفي كل الاصعدة والمستويات، وفي كل

---

(١) الإمام علي خامنئي: رؤية الإمام علي خامنئي، ص ٢٢-٢٤.

(٢) الإمام علي خامنئي: رؤية الإمام علي خامنئي، ص ٢٢-٢٤.

الجبهات الدينية منها، والاجتماعية، والسياسية والاقتصادية فالجميع تحت المراقبة[1].

المطلب الرابع: المعالجات الإعلامية لتكتيكات الحرب الناعمة:

هناك نماذج كثيرة موجودة اليوم في عالمنا العربي والإسلامي، يمكن من خلالها معالجة تكتيكات الحرب الناعمة من خلال الإعلام المرئي ومدى تأثيرها على المستوى الفكري ومن أهمها:

١- تنويع مصادر البث الإعلامي وخلق ونشر قنوات ومؤسسات إعلامية شعبية وضخها بشكل كبير في شبكة الإنترنت حيث تقل إمكانيات الرقابة الحكومية، حتى لا يتم استدراج جيل الشباب في مشاريع هدامة، ومحاربة ما سماه جارد كوهين رئيس قسم التخطيط في وزارة الخارجية الأميركية تحت مسمى قاعدة 'الديمقراطية الرقمية حيث أن الشباب والنساء في الشرق الأوسط قد أصبحوا ناضجين لتقبل تأثيرات السياسات والأفكار الامريكية من خلال بوابات ومنافذ تكنولوجيا الاتصال والإعلام"[2].

٢- زيادة مصداقية الحملات الإعلامية التي تحارب الحرب الناعمة، وتزويدها بقرائن ودلائل تقنع الجماهير، وتحارب التظليل والخداع الممول الذي تقوم به أمريكا لاستقطاب شخصيات لها نوع من التغطية والمصداقية الجماهيرية (خاصة من المعارضين والمنشقين عن النظم والحركات الإسلامية)

٣- إنشاء ودعم جمعيات ومؤسسات مدنية وشبابية ونسائية وثقافية تحت شعار قوى المجتمع المدني لإضعاف القوة المعادية، وايجاد بدائل لها على المدى القريب والبعيد لمحاربة المشروع الامريكي المنظم بموجب قانون أمريكي يدعم (المنظمات الديمقراطية الشبابية).

٤- فتح قنوات الاتصال السياسي والدبلوماسي مع الحركات الإسلامية المركزية بهدف تحقيق توافق سياسي يمنع الطريق أمام امكانية استدراجها، حتى وإن كان ذلك بالحد الأدنى لمنع انزلاقها، وتوريطها وتلطيخ سمعتها ونزع مصداقيتها في الشارع العربي والإسلامي عبر زيادة ورسم الشكوك حولها وتسعير الحساسيات مع نظرائها (تماما كما يدور الحديث الآن عن لقاءات بين الإخوان المسلمين وأميركا لعقد صفقة شاملة لتسليمها الحكم في العالم العربي)[3].

٥- تركيز الضوء الإعلامي على قيم الفضيلة والاخاء والتسامح، والتحذير من تلميع العدو للشخصيات ذات الأفكار المتطرفة بهدف بث التفرقة واشغال المذاهب والفرق الإسلامية ببعضها.

---

(١) عبد الملك محمد الشرقي: الحرب الناعمة وخطرها على المجتمعات الإسلامية، رابطة علماء اليمن، صنعاء، ط١، ٢٠٢١م، ص ٣.

(٢) مقالة تحت عنوان: لانتخابات الإيرانية وأمن الطاقة، سكوت ريتر، منشورة في موقع شام برس www.chambres.net

(٣) عبدالملك محمد الشرقي: المصدر السابق، ص ١٨٦-١٨٩.

٦- التوسـع في العمل المقاوم والسـعي لاسـتقطاب شـخصيات اسـلامية وازنه – ذات الافكار الوحدوية الجامعة – ودعمها بهدف إضـعاف تأثير التدخل الامريكي المباشر في الحركات الإسلامية المناهضة للقيم والسياسات الغربية.

٧- تدريب أفراد وشبكات ومؤسسات للتحرك على شـبكة الانترنت بهدف رفد القنوات الإعلامية العربية والاسـلامية بالمادة المطلوبة – لنشـر قيم الفضيلة والتسامح – لمواجهة القوانين الامريكية التي صدرت من الكونغرس الأميركي لتقديم الدعم لضـحايا الرقابة على شبكات الانترنت.

٨- توسيع الفرص الاقتصادية بين الشعوب الإسلامية وفتح الفرص أمام ابناء الأمة واستقطاب العقول المهاجرة وتقديم المنح الدراسية لاجتذاب الشباب المسلم نحو المال والاعمال والتخصصات العلمية وصـرفه عن الالتحاق بالشبكات والمجموعات الجهادية التي تسعى من خلاله امريكا لتشويه شباب الامة.

٩- زيادة برامج تدريب الضـباط المسـلمين وتفعيل العلاقات مع قادة الجيوش الإسلامية.

١٠- تفعيل شبكة العلاقات مع أبناء الجاليات المسلمة والمغتربين المسـلمين المقيميين في الغرب بهدف اشراكهم في برامج لزيادة التأثير في شعوبهم ودولهم [1].

تعد الماسونية وادواتها المختلفة من أهم الوسائل في نشـر الثقافات والسياسـات المنحرفة، لضـرب قيم المجتمعات الإسـلامية، فهي الحرب الناعمة التي تتخلل فيها الكثير من الأسـرار في نشـر معتقداتها وترويج فكرها للعالم حتى تستطيع أن تسيطر على الأديان السماوية، ويكون لها قصب السبق في تثبيت ودعم البنية السياسية للأفكار التي تنشرها الماسونية من خلال محافلها وأعلامها الممنهج في العالم، وهذه الحركة الماسونية لا تنحصر مهماتها في إنشاء محافل فحسـب بل هناك مهمات أخرى لا بد من اتباعها وصولا للهدف المطلوب ومنها إثارة المنازعات وزرع بذور الخلافات والمحافل الماسـونية المنتشـرة في كل ارجاء العالم تعمل في الخفاء لتحقيق أغراض الشـعب الوحيد القادر على توجيه المشـاريع الماسـونية وكون الشـعب الوحيد الذي يعرف كيف يوجهها هو ما يمسـى بشـعب الله المختار (اليهودية) [2].

انعكسـت التحولات السـياسـية الأمريكية بداية في مشهد الخطاب السياسي الهادف بصورة ما إلى كسب معركة في خانة التأثير الثقافي ومحاولة السيطرة مجددا على عقول وقلوب المسـلمين، ففي الخطاب المحدث يتم اختيار المفردات التي تعنى بالإسـلام ومحو الظلام وبناء كوكب الأرض عبر اسـتخدام الطاقة الأمنية، وفي عناوين الخطاب الجديد منعطفات

(١) عبدالملك محمد الشرقي: المصدر السابق، ص ١٨٦-١٨٩.

(٢) رائين إسـماعيل: الماسـونية في جلبات العولمة، ترجمة: سالم الاطرقجي، بغداد، ط١، ٢٠١٢م، ص ١٦.

يصعب تصديقها حول بناء شراكات جديدة مزعومة مع شعوب البلدان النامية التي أغدق عليها بالوعود المتعلقة بنشر التعليم وتحقيق الديمقراطية والعدالة الدولية أي جملة الأساليب التي تدعو إلى ترجيح كفة سياسة القوة الناعمة وتجنب استخدام القوة العسكرية الصلبة لحل الصراعات الدولية أو الدفاع عن المصالح الأمريكية الدولية إذا صح التعبير، فقد حدثت أثناء ولاية جورج بوش فجوة واسعة طالت كيفية النظر إلى أمريكا من خلال شعبها وكيفية نظر بلدان العالم غير الأمريكي لها إذ يحاول الرئيس أوباما حاليا عبور هذه الفجوة إلا أن النجاح لن يكون سهلا لأنه يتطلب اعادة تقويم في ضوء المصلحة القومية بعيدا عن المبالغة والاستثناءات المزعومة[(١)]، وبالإجمال ترتكز القوة الناعمة على كل المؤثرات والرموز البصرية والإعلامية والثقافية والأكاديمية والبحثية والتجارية والعلاقات العامة والدبلوماسية، وكل مورد أو مفردة أو أداة لا تدخل ضمن القدرات والإمكانات والأدوات العسكرية المصنفة ضمن القوة الصلبة[(٢)].

وبناء عليه فكل مورد للقوة وكل مصدر للقوة لدى الخصم يصبح هدفا في إطار الحرب الناعمة، ويجب على هذا الأساس اعتبار "الطلاب ورجال الأعمال ورجال الإعلام والكتاب والشباب والطلاب ورواد الإنترنت وعلماء الدين وبالعموم كافة نخب وفئات المجتمع والرأي العام أهدافا محتملة للحرب الناعمة "...هذا ما توصل إليه العميد يحي رحيم صفوي مستشار قائد الثورة للشؤون العسكرية[(٣)].

تكنولوجيا الاتصال والإعلام حولت الحرب النفسية إلى ناعمة:

تشن الحرب الناعمة للتأثير والدعاية والتلاعب بالرأي العام والإقناع السياسي ولو بدون توفّر أدلة ذات صدقية كما كان يعرفها قسم الحرب النفسية والدعاية في وكالة المخابرات المركزية الأمريكية CIA أثناء الحرب الباردة فهذه من وظائف الدعاية الكلاسيكية التي انتهت صلاحيتها ولم تعد تجدي نفعا في عصر العولمة والمعلومات كما صرح جوزيف ناي، لأن توسع وسائل الإعلام وانتشارها بين أيدي الجميع وظهور لاعبين من غير الدول عدل مفهوم المصداقية في الخطاب السياسي للدول، ومنع احتكار الدول لسلطة المصداقية هذه، ما أدى إلى القفز نحو اتجاهات ووظائف جديدة أنتجت الحرب الناعمة بحيث أصبحت وظائفها تقوم على "تشكيل التصورات العامة" و"بناء البيئة السياسية الملائمة لترسيخ قواعد السياسات المطلوب تثبيتها وتمريرها والتسويق لها" و "نزع الشرعية والمشروعية

---

(١) الحرب الناعمة مقومات الهيمنة وإشكالية الممانعة، مركز قيم للدراسات، بيروت، ط١، ٢٠١١م، ص ١٤.

(٢) جوزيف نأي: المصدر السابق، ص ٣٣.

(٣) ـــ تصريح للجنرال يحيى رحيم صفوي: منشور في وكالة الطاهر للأنباء على الرابط: www.altahera.net

والصـدقية عن الخصـم" و "تغيير شـخصـية النظام والقيادة لدى الخصـم" و "قلب الحقائق وتحويل نقاط القوة إلى نقاط ضعف ومن فرص إلى تهديدات" وكـل هـذه الوظـائف لم تكن معهودة بهـذا التركيز والتكثيف كما هي اليوم، وهنا تفترق الدعاية والحرب النفسية عن الحرب الناعمة [1].

يمكن القول أجمالاً أن الولايات المتحدة الامريكية سـعـت من خلال الحرب الـناعـمة لتحقيق تفوقها وتحكمها، ومع ذلك لاتزال هناك شـعوب مقاومة ترفض الهيمنة الامريكية، علي الرغم من عدم وجود مقارنة في الامكانيات بين امريكا وهذه الشـعوب المقاومة التي أدركت أن الحرب الناعمة سلاح خفي ناتج عن الثورة التكنلوجية يمكن توضيحه في الاتي:

١- أن الحرب الناعمة لا تعد منهجا جديدا في مناهج الحرب النفسـية والدعاية، بل هي تطور في الوظائف ناجم عن التطور الكمي والنوعي الهائل في وسـائل ووسائط الاتصال والإعلام، بل يمكن اعتبار الحرب الناعمة إفرازا طبيعيا وحتميا مرتبطا بسـعة انتشـار وتوسع الجيل الرابع من وسائط تكنولوجيا الاتصال والإعلام (الفضـائيات / أجهزة الاتصـال الخليوية الرقمية / مواقع وصـفحات الإنترنت / شـبكات التواصل الاجتماعي).

٢- أن الحرب النفسـية والدعاية تشـترك مع الحرب الناعمة في الهدف لجهة قصد تطويع إرادة الخصم أو العـدو (الـدول والنظم والرأي العـام والمنظمـات والجمـاعـات) ولكنهمـا يختلفان ويتعـاكسـان في الأساليب والوسائل.

٣- أن اسـاليب الحرب الناعمة تركز على الاسـتمالة والإغواء والجذب بدون أن تظهر للعيان وبدون أن تترك أي بصـمات، في حين ترتكز الحرب النفسـية والدعاية على إرغام العدو وتدمير إرادته ومعنوياته بصورة شبه مباشرة وعلنية، وأن عملية التأثير ليست مجرد أياما أو أشهرا- فتكتيكات وأساليب الاتصال الاسـتراتيجي غير المباشـر أي بواسـطة الوسـائل الإعلامية والالكترونية والدبلوماسـية والخفية للتأثير في جدول الأعمال السـياسـي لبلد آخر تحتاج إلى تطوير مجموعة من المواضـيع والشـعـارات على طريقة الحملات الإعلانية والانتخابية والسـياسـية في الغرب، ويستلزم ذلك تخطيطا وأحداثا رمزية وظرفية ومد اتصـالات وبناء علاقات على مدى سـنوات لا تقل عن سـنة - كي نتمكن من إبراز هذه الشـعارات والمواضـيع المركزية والدفع بالسياسة المطلوبة من قبل أمريكا - قدما إلى الإمام" [2]، إذ يعد تشـكيل

---

(١) تقرير بعنوان: حقـائق وفصـول من الحرب الامريكية الناعمة على حزب الله منشـور منشـور على: موقع تلفزيون المنار على الانترنت www.almanartv.com.lb.

(٢) مقالة في صـحيفة وول سـتريت جورنال ٢١ يناير ٢٠١٠ منشـورة على صـفحات موقع عراق المستقبل، وهو موقع ذا توجه أمريكي بريطاني www.iraqfuture.net. ترجم المقالة علي الحارس.

التصورات العامة والبيئة السياسية لساحة الخصم يتهيأ المسرح للكثير من الأحداث والأعمال والإجراءات اللاحقة من قبل الوكالات الأمنية والاستخباراتية والعسكرية والسياسية وتبدأ النتائج بالظهور عادة خلال المناسبات والأحداث المؤثرة كالانتخابات مثلا حيث نشهد انعكاسات هذه التأثيرات والعمليات، لأن العدو لن يجد أفضل منها فرصة لاستغلالها والنفوذ من خلالها لتحريك عملائه وقواعده وسياساته وأجهزته، فالقاعدة التي تعمل عليها فلسفة الحرب الناعمة هي القدرة على اجتذاب الناس نحو البيئة والسياق والفخ السياسي المستهدف في إطار وغلاف وظرف ديمقراطي أو تحت شعار مطلبي أو إصلاحي ملائم و هذا أسهل من إرغام الناس على تنفيذ التوجيهات المباشرة بصورة فجة وصريحة وكخلاصة "إدارة دفة الأحداث بأسلوب ناعم وبدون أي بصمات" [1]، وهذا الامر أفصح عنه مؤخرا وزير الدفاع الأمريكي الجديد والمدير السابق لوكالة الاستخبارات الأمريكية ليون بانيتا في مقابلة تلفزيونية خلاله تعليقه على سؤال حول موضوع دعم أمريكا للمعارضة والثورات المضادة في العالم العربي والإسلامي "ينبغي أن نحاول اتخاذ كل خطوة ممكنة لدعم تلك الجهود، لكن في الوقت نفسه علينا أن نحلل كل موقف للتأكد من أننا لا نفعل شيئا يثير ردود أفعال سلبية أو يقوض تلك الجهود" [2].

الخاتمة:

خرجت الدراسة بالنتائج الاتية:

١- تعد الحرب الناعمة خلاصة افكار كبار النخب الامريكية وضعوها من اجل استمرار التفوق والهيمنة الامريكية بطريقة اقل كلفة من استخدام القوة الصلبة في تحقيق المصالح الامريكية في المنطقة، وهذا الامر جعل الحرب الناعمة من الوسائل الحربية الحديثة، كونها من أهم أسرار السياسة العالمية في تنفيذ وتخطيط المشاريع والخطط على المستوى السياسي والثقافي والفكري، هي الحرب الناعمة التي تدخل بأساليب وطرق خفية تجعل من نفسها لونا يضاهي العيون ويصعب في كشفها مدارك العقول،

٢- شكل الإعلام وسيله مهمة واداة من ادوات الحرب الناعمة نظراً لقوة تأثيره الكبير، في اوساط المجتمعات العربية والإسلامية بهدف ضرب الثقافة والافكار والقيم في العالم العربي والإسلامي، إذ حاولت امريكا بكل السبل أن تمحي الثقافة الإسلامية وتجعل الفكر الغربي والعلماني هو الفكر الأساسي والمسيطر لجميع شعوب العالم، وقد أثبتت الدراسات الاستراتيجية أن الحرب الناعمة نجحت

---

(١) محمد ثروت: منظمة وأتبور الصربية تتحرك بأجندة أمريكية، مقالة منشورة في موقع حزب الوفد المصري. www.alwafd.org.

(٢) خبر لوكالة رويترز للأنباء: منشور في جريدة الاخبار اللبنانية بتاريخ ٧/ ٩/ ٢٠١١م.

بشكل كبير على المستويات السياسية والثقافية والفكرية في العالم الإسلامي وتجاوزت الكثير من التحديات واستطاعت أن تدخل إلى كل عقل وإلى كل قلب، وأيضا استطاعت أن تغير الأفكار والثقافات وأن تصنع بيئة جديدة لا علاقة لها بالإسلام ولا المبادئ ولا القيم.

١- تساهم وسائل الإعلام المرئية والمسموعة والبرامج التلفزيون والمسلسلات والأفلام وغيرها في مواجهة طرق واساليب الحرب الناعمة التي يشنها الغرب على المجتمعات الإسلامي، كون الإعلام يعد من الأدوات المؤثرة في مواجهة الحرب الناعمة من خلال ضرب الافكار والدعاية التي يحاول الغرب الترويج لها داخل المجتمعات الإسلامية باعتبار الغرب اداه لنشر الفضيلة من خلال الاغراء التي تشتغل عليها المنظمات الدولية والغربية في نشر سياسة الماسونية بهدف التأثير المباشر على الثقافة الإسلامية،وطمسها في الشعوب العربية وإبدال هذه الثقافة بثقافة ومبادئ الغرب.

٣- تلعب وسائل الإعلام المختلفة دوراً مهم في معالجة تكتيكات الحرب الناعمة لقدرتها على التأثير المباشر على الثقافة والفكر، إذ انه تعمل على تدمير الفكر والثقافة والمنهاج الصحيح وجعلت الفكر الغربي المستورد هو المسيطر على العقول، وكلما كانت الثقافة ضعيفة وبسيطة كان التأثير قويا ومُجدّا في نشر الثقافة العلمانية والماركسية التي تنادى بشعارات رنانة لا أصل لها ولا معنى، والمنظمات الغربية تدير هذه الحرب بحنكة وبأسلوب ذكي أستطاع أن يجذب الكثير من الجماهير في العالم وأن يروج لثقافته وبرامجه على المستوى الثقافي والفكري.

المصادر والمراجع:

٢- ف.س.سوندرز: من الذي دفع للزمار ؟ الحرب الباردة الثقافية، ترجمة: طلعت الشايب، المركز القومي للترجمة، القاهرة، ط٤، ٢٠٠٩م.

٣- Https://ar.wikipedia.org/wiki

٤- الإمام علي خامنئي: رؤية الإمام الخامنئي في مواجهة الحرب الناعمة، مركز قيم للدراسات، بيروت، ٢٠١١م.

٥- الإمام علي خامنئي: الدليل التطبيقي لمقاومة الحرب الناعمة طبقاً لخطابات الامام الخامنئي، مركز قيم، بيروت، ٢٠١١م.

٦- جوزيف نأي: القوة الناعمة وسيلة النجاح السياسي، مكتبة العبيكان، الرياض، ط١، ٢٠٠٧م.

٧- جيمس غلاسمان؛ مايكل دوران: حل القوة الناعمة في إيران، ترجمة: علي الحارس، مقال منشور في صحيفة وول ستريت جورنال، بتاريخ ٢١ يناير ٢٠١٠م.

٨- تقرير مجموعة الدراسات في معهد السلام الامريكي: سعياً للديمقراطية والأمن في الشرق الأوسط الكبير، معهد السلام الامريكي، واشنطن؛ ٢٠١٠م.

٩- علي محمد الحاج حسن: الحرب الناعمة الأسس النظرية والتطبيقية، المركز الإسلامي

للدراسات الاستراتيجية العتبة العباسية المقدسة، العراق، ٢٠١٨م.

١٠- صباح الطالقاني: الحرب الناعمة القوة والعنف بوجه آخر، تحقيق: سلام الطائي، مجلة الروضة الحسينية، العدد ١٤٧، ١٤٤٢هـ.

١١- إدارة التحرير: الحرب الناعمة، مجلة مع الشباب، العدد ٥، ٢٠١٩م.

١٢- Theinnercirle site, Joseph S.Nye Jr's explanation of (Smart Power) in the Middle East, 15-7-2009.

١٣- الحرب الأمريكية الناعمة على حزب الله، مركز الحرب الناعمة للدراسات، دار المعارف الإسلامية الثقافية، بيروت، ط١، ٢٠١٨م.

١٤- عبد الخالق فاروق: الحرب الناعمة ومحاولات الاختراق الصهيوني للعقل العربي، مقال منشور عبر موقع قناة الميادين بتاريخ ١٦ ابريل عام ٢٠٢٢م، على الرابط: .https://mdn.tv/6xos

١٥- يحيى قاسم أبو عواضة: الحرب الناعمة والمعالجات، دائرة الثقافة القرآنية، صنعاء، ط٢، ٢٠١٨م.

١٦- عبد الملك محمد الشرقي: الحرب الناعمة وخطرها على المجتمعات الإسلامية، رابطة علماء اليمن، صنعاء، ط١، ٢٠٢١م.

١٧- مقالة تحت عنوان: لانتخابات الإيرانية وأمن الطاقة، سكوت ريتر، منشورة في موقع شام برس www.chambres,net

١٨- رائين إسماعيل: الماسونية في جلبات العولمة، ترجمة: سالم الاطرقجي، بغداد، ط١، ٢٠١٢م.

١٩- الحرب الناعمة مقومات الهيمنة وإشكالية الممانعة، مركز قيم للدراسات، بيروت، ط١، ٢٠١١م.

٢٠- تصريح للجنرال يحيى رحيم صفوي: منشور في وكالة الطاهر للأنباء على الرابط: **www.altahera.net**

٢١- تقرير بعنوان: حقائق وفصول من الحرب الامريكية الناعمة على حزب الله منشور منشور على: موقع تلفزيون المنار على الانترنت .www.almanartv.com.lb

٢٢- مقالة في صحيفة وول ستريت جورنال ٢١ يناير ٢٠١٠ منشورة على صفحات موقع عراق المستقبل، وهو موقع ذا توجه أمريكي بريطاني .www.iraqfuture.net

ترجم المقالة علي الحارس.

٢٣- محمد ثروت: منظمة وأتبور الصربية تتحرك بأجندة أمريكية، مقالة منشورة في موقع حزب الوفد المصري.www.alwafd.org.خبر لوكالة رويترز للأنباء: منشور في جريدة الاخبار اللبنانية بتاريخ ٧/ ٩/ ٢٠١١م.

الكشف
عن البلدات والقرى السريانية
التي ضمّتها الجغرافية التاريخية لتكريت حاضرة المفريانية

الباحث في التاريخ والتراث

إبراهيم فاضل الناصري

alnasry641@gmail.com\Tikrit

ملخص البحث

ربما قرأتم عن مدن وقرى من فجر المدنية، كانت قد مسحتها النوازل الارضية، وأضحت بقايا آكام، تروي حكايات آثرة لملل وأقوام، مدن وقرى لها مكانة وأهمية، وكانت ترفل بالإزهار والحيوية، ولكن ضريبة الوجود قد جعلتها من المدن المتلاشيّة؛ فمنها من دمرتها ضروب الغزوات والحروب، ومنها من دهتها النوازل ودثرتها الخطوب. فصارت في عداد المدن التاريخية وكثيرة هي المدن التاريخية، وعديدة هي مواقع تراث الانسانية، من التي لفظتها نواميس تجدد المدنية.

لقد اخترت مضمار تاريخ المدنية بما ينطوي عليه من أدوار، كفضاء بحثي لمشاركتي في مجلتكم السديدة، ولكي تكون إسهامتي ذات قبول، فلقد آل لي ان اختار تجربة حضرية معينة في دور حضاري معين، فأحاول ان أسقط عليها ما تقدم من كلام. وهكذا تجيء إسهامتي في التجربة الحضرية لأسلاف السريان في زمان تمكينهم وإزهارهم الذي كان في أزهر الازمان للإنسانية في محيط وعلى تخوم مدينة تكريت التي كانت تعد مركز مرجعيتهم الدينية المسمى بالمفريانية فيكون مبرزا تراثيا وشاهد عيان لشواهد مادية من فجر التحضر للسريان في مدار(takreetan).

انه التحقق العيني لباقة من المدن والقرى القديمة التي تصادفنا أسماؤها في كتب التراث والتاريخ، وانه التحري عن مدن قد باتت لا تحمل أسماؤها الخرائط الحديثة، ولا يوجد لها عرق نابض بالحياة بين المدنية المعاصرة، وعن بلدات لعبت أدوارا في تاريخ بلاد ما بين النهرين، ومدن عاشت فيها أجيال، وتعاقبت عليها أحوال، ومرت على وجودها الحضري حقب ومراحل، ومدن توقفت عند بعضها المظان التاريخية، وتردد ذكر بعضها عند أكثر من مؤرخ مخلدا بذلك

ذكرها وكاشــفا عما كان يشــكّله وجودها من أهمية على المستوى السياسي أو الاجتماعي أو التجاري أو الديني، ومدن اندثرت وبقيت أســماؤها، وبلدات انتقلت بأســمائها إلى مواقع أخر، أو بعثت من جديد فوق مطمورها القديم بمسميات جديدة. وإذا ما كانت حياض أعـالي نهر دجلة غنية بتـاريخها وتراثها وبرصـيدها الحضـاري، الشــاهدة عليه مواقع كثيرة ومتنوعـة، فهناك جزء كبير من هـذا الرصــيد لازال مجهولا، وما تزال شــواهده مطمورة في العديد من المواضـع التي تصـدح كتب الإخبار بالإشـارة إليها، وباســتعراض الأحداث المهمة والحوادث الملمّة التي مرت عليها. مثلما إن هذا البحث هو بغايته انما يجســد الحالة الموضــوعية المطلوبة لطمر الهوة الكبيرة التي تنخر جسم القراءة التاريخية في جنس هذا الموضــوع بســبب انه يعـالج المبرزات المـادية الملموســة لما هو مذكور تاريخيا وخالد أثريا. ســيما وإن الكتـابة عن مدن قد انـدثرت معـالمها وزالـت شــواهدها التاريخية، بل وطمســت أدنى الدلالات المكانية لها هي للتذكير الداعي إلى العظة والتدبر والتأســي، على قاعدة ان الذي لم يمحى خبره ولم يندثر أثره لم ينته أمره، ولن يزول نفعه، ولا مناص من استحضاره. خاصة إذا ما كانت حالته تساعد على فهم الحاضـر واستشـراف المستقبل. فان القيمة المعنوية والثقـافية لهـذه المدن بـالنسـبة للباحثين المهتمين بتاريخ منطقة البحث، تفرض الاقتراب منها وإثارة الانتباه إليها. هذا لأن هذه المدن المعنية انما تختزن في تـاريخهـا الكثير من الأحـداث المليئة بـالعظات والملهمـات التي يمكنهـا ان تعـد مصـــادر إلهـام للتطلعات النهضـوية المسـتقبلية بمختلف الأجناس التعبيرية الأدبية والفنية، بل إن فيها للتصور الحضري المـعـاصـــر خزانـا هـائلا من الأفكـار والـخلق والجمالية. كذلك إن من بين الأســباب لهذا البحث، هو إثارة الانتباه إلى مواقع هذه المدن التي ما يزال الكثير منهـا مطمورا تحـت التراب، والقليـل منهـا معروف كأســماء راقدة في المصــادر التاريخية، أو متواترة الـذكر بين الحكـايات كـأســطرة في حين أن الكثير من الإشــارات على نـدرتهـا تؤكـد وجودهـا التاريخي. ومن ناحية أخرى نجد النزر القليل منها متداولـــة أســماؤه محليا، والتي اشــتهرت بفضـل الأبحاث الأركيولوجية التي تمت خلال فترة الماضي القريب، في حين أن مدنا مندثرة كثيرة غيرها، من التي تصـدح بالإشـارة إلى أسـمائها العديد من المصـادر والمراجع التاريخية، ما تزال مطمورة مندثرة مجهولة الموقع معدومة الملامح. فضـلا عن إنني أؤسس بهذا البحث التاريخي لأرضية معرفية ومعلوماتية للباحثين المحدثين في علم الاجتماع والمجتمعات. إذ إن الكم المذكور من المدن الدارسة والقرى المندثرة، يفرض طرح تساؤلات جوهرية وأسـاسـية وإعداد دراسـات اجتمـاعيـة: حول ذلـك المصـير الـذي انتهـت إليه مدنيات، وحول زوال الحياة الحضـرية، وتلاشـي

التمدن من مواقع هي اليوم إما بقايا آكام فوق اديم الأرض، أو دفائن ماتزال مطمورة تحت طياتها.وقبل هذا وذاك فإنني عندما اضع هذا البحث فإنني أريد أن اثبت إن تاريخ بلاد تكريت او لنقل الجغرافية التاريخية لتكريت وخاصة في زمان تمكين السريان في المكان مازال يحتاج إلى إعادة نبش وإعادة قراءة وتشكيل إذ لا يزال الكثير من تراث السريان في هذه البلاد مدثورا تحت الأنقاض، ونعتقد انه لو تم الكشف الاثري والتاريخي لجميع آثار السريان في مناطق معينة من بلاد ما بين النهرين لقلبت وجهة التاريخ رأسا على عقب.

عنوان البحث: جاء البحث تحت عنوان (الكشف عن البلدات والقرى العصرية السريانية التي ضمّتها الجغرافية التاريخية لتكريت-حاضرة المفريانية). **هدف البحث**: يهدف البحث الى الكشف عن البلدات والقرى السريانية التي احضنتها جغرافية تكريت المدنية، خلال شوط طويل من أدوارها التاريخية، وتبيان أثرها الحضري ودورها المدني. **أهمية البحث**: تكمن أهمية البحث في تناوله لنماذج مدنية وتجارب بلدانية كانت قد اهملتها حركة البحث التاريخي وغفلت عن وجودها في سالف الازمان حركة توثيق التراث الثقافي الحضاري. **منهجية البحث**: اعتمد الباحث في تناوله للموضوع على المنهج الوصفي التاريخي والحضاري، وهو الذي يأخذ في الاعتبار العلاقة ما بين الظواهر الحضرية المدروسة وبين البيئة الجغرافية والثقافية التي تحتضنها او التي أدت الى نشوئها او التي رعت ازدهارها فهو في محتواه الموضوعي يؤرخ للحالة الحضرية والظاهرة المدنية للبلدات والقرى السريانية التي احضنتها الجغرافية التاريخية لتكريت القلعة التاريخية والحاضرة المفريانية وهي؛ (جبلتا، اوينة، حطارا، باحرين، السودقانية، ريشا، قرونتا، كرمي، كروم، الخصاصة، نرسيباد، الطيرهان).

حدود البحث: ان حدود البحث المكانية هي الحدود التي تعيّنها الجغرافيا التاريخية لحاضرة المفريانية السريانية (تكريت) والتي كانت لها امتدادات في طبوغرافية المنطقة الوسطى لأرض ما بين النهرين، اما الحدود الزمانية للبحث فهي القرون التي تشمخت بها تكريت كعاصمة للمشرق السرياني والتي تمتد من سنة ٥٥٩م زمان تسيم القديس مار احودامه أسقفا على تكريت وحتى منتصف القرن الثاني عشر الميلادي حيث هجر السريان قراهم وبلداتهم في محيط تكريت.ولعل من نافلة الاشارة والايضاح بان الباحث وهو يقدم مادة البحث لا يجزم على انه قد احاط بكل المدنيات (البلدات والقرى العصرية) للسريان من التي احضنتها ارض تكريت المباركة في المرحلة المعينة من سالف الازمان، ولكنه يؤكد على انه تمكّن في تسليط الضوء ما ثقفه منها.

الكلمات المفتاحية: مدن سريانية داثرة، قرى سريانية دارسة، تكريت حاضرة المفريانية.

متن البحث

إشراقة مكانية

(هنالك على ضفاف دجلة، ذلك النهر العدني العذب الجليل، حيث يتحقق اول عناق للجرف الحصوي مع سهم انطلاق جريانه الازلي من فوهات ينابيع تدفقه في سفوح الجبال الارمينية، حيث ينسل مارقا كخيط مفضض من خيوط البركات من بين رسوم العظائم الحضارية الخالدة والمنعطفات التاريخية التالدة، وحيث يتدفق كفيض حياة، عذب فرات، فيحيي سهولا رطيبة، ويختلج خلجان خصيبة، قد عرفت منذ طفولة الحضارة بلاد تكريت الازلية فتبسم له وتفرش امامه بسطها الخضراء الفتانة فينساب بشيراً بالرخاء ونذيراً بالثراء ثم ما يفتأ ان يواصل انسياحه تيها وغنجا ودلالاً من تحت أبراج قلعتها التاريخية المهيبة، وقد علا وجهه السكون هيبة لتلك العظمة الخالدة التي ما برحت تمتلكها تلك القلعة العصية، واحتراماً واجلالا لرفات العشرات من القديسين والاحبار من الذين ثووا ولحدوا في سفحها فنقشوا اسماءهم السرمدية بحروف أبدية على بقايا الآكام الخالدة لتكريت حاضرة النبيط الزاهرة ومبعث الشرف السرياني ومحط رحال مجد الكنيسة الشرقية ومنطلق حماة المشعل المقدس، فينساب من بين حناياها بمروره وجلا هيابا تعظيما وتهيبا لبقايا مقدسة كانت قد تعفرت اطوارها بذرات ترابها النقي الذي شرفته امجاد ابناءها الصيد من التكارتة السريان مناغيا شيوخ آرام الذين يحكي أمرهم مجد صرحها المهيب الذي قد ضفّرت يمناه بإكليل الشرف العتيق ودبّجت محيّاه اشراقات مآثر ومفاخر من كانوا بعدهم واقاموا في مدار ومحيط مدينتهم الجليلة العتيقة عدة بلدات كانت لها أدوار واخبار ومآثر وآثار).

محطات في تاريخ تكريت العتيقة

تعد تكريت، مدينة رافدينية ضاربة الجذور في التاريخ المدني، حيث ان الدكتور طه باقر يقول بإن اسمها من تراث لغوي لقوم سبقوا السومريين ويطلق عليهم الجزريون او الفراتيون الأوائل[1].

ولقد ورد نصا كيف أنها قد مرت بأدوار حضارية متنوعة، وأنها قد تقلبت عليها الأيادي، وأن آثار العمر والصروح التي شيدت فيها لتنطق بعظم بناتها كما وتشهد على رقي ورفاه اهلها[2]

ثم كانت إبان العهود الوسيطة للآشوريين والبابليين

---

(١) الدكتور باقر، طه، من تراثنا اللغوي القديم، لندن، دار الوراق، ٢٠١٠م، ص١٩٨

(٢) الراهب الكرملي، انستاس ماري، خلاصة تاريخ العراق، ١٩١٩م، ص٥٤ الالوسي، عبد الكريم عبد الوهاب وحسين الكافلي، تكريت في التاريخ والأدب، بغداد ١٩٧١، ص٦٩.

موقعا مدنيا بذات الاسم (تكري- ايتا).[١] ولعل أقدم نص كتابي قد وردت فيه تكريت كمدينة هو النص الذي يعود إلى منتصف الألف الثاني قبل الميلاد وتحديدا يعود إلى عام (١٥٥٠ق.م) [٢].أما أقدم نص كتابي ذكر تكريت بصفتها حصن عرف في النصوص المسمارية باسم (بيرتو-birtu) كما وعرف في السجلات الملكية كدالة على تكريت بصفتها مدينة قلاعية فهو النص الذي يعود للحقبة الآشورية المحصورة ما بين (١٣٠٧-١٢٧٥قبل الميلاد) وتحديدا إلى عهد العاهل الاشوري الملك أدد نيراري الأول[٣].

وفي ازمان الظهور الارامي في بلاد ما بين النهرين، أسس الاراميون الاوائل في الحياض التي تقوم فيها مدينة تكريت كـ(قلعة) إحدى مشيخاتهم (إماراتهم) التي اشتهرت فيما بعد باسم (الاتوعايا) أو باسم (بيرتايا) نسبة إلى قلعة بيرته (birta او birtu) وهي قلعة تكريت، ولقد عدت هذه القبائل كما جاءت الأخبار عنها من القبائل الآرامية الشديدة المراس والقوية الشكيمة[٤].

ثم عندما دخلت إليها الديانة المسيحية في منتصف القرن الأول الميلادي[٥].على يد الحواري المار توما الرسول اول رئيس لكهنة المشرق[٦] فإنها سرعان ما تفاعلت معها، الامر الذي هيأ لها ان تلعب دورا في احتضان مشعل دعوتها في أيام القديس يعقوب البرادعي[٧] ثم ان تكون الشوكة في عيون كل الهرطقات التي ظهرت في المكان[٨] ثم ما تفتا لان تكون محور الدعوة لأمرها السماوي في الانحاء المحيطة على يد القديس مار احودامه وعلى يد الاسقف كرماي[٩] ثم لتصبح فيما تلى العاصمة الدينية للسريان المشرقيين قاطبة، بعد أن آل أمر الجثلقة الشرقية للقديس مار

---

(١) الدكتور باقر، طه والدكتور فؤاد سفر، المرشد إلى مواطن الآثار، الرحلة الثانية، بغداد، ١٩٦٢، ص٢٦.

(٢) الدكتور الراوي، فاروق ناصر، نصوص الاخبار التاريخية القديمة شاهد على مكانة تكريت الحضارية، موسوعة مدينة تكريت،١٩٩٥، مج١، ص١٢٥.

(٣) الدكتور الدوري، رياض عبد الرحمن، التنقيب في قلعة تكريت، موسوعة مدينة تكريت، دار الحرية، بغداد١٩٩٥، مج١، ص١٨٧.

(٤) وايزمان، دي، جي، أخبار الملوك الكلدين، لندن١٩٥٦، ص٥٤-٦٥.

(٥) الملفان بهنام، بولص، المجلة البطريركية السريانية، مجلد ٦، القدس ١٩٣٩، ص٢١٣.

(٦) العلامة ابن العبري، غريغوريوس، التاريخ الكنسي، تعريب المطران صليبا شمعون، ج٢، الخاص بسير المفارنة والجثالقة، دار المشرق دهوك، ٢٠١٢م، ص١

(٧) العلامة عمرو بن متي، اخبار فطاركة كرسي المشرق من كتاب المجدل، تحقيق د.لويس صليبا، ص٩٠

(٨) العلامة ابن العبري، التاريخ الكنسي، ج٢، ص١٤

(٩) مار ميخائيل السرياني، تاريخ مار ميخائيل الكبير، ج٣، ترجمة المطران صليبا شمعون، حلب، ١٩٩٦م، ص٤٧٢

ماروثا الذي عدّها مقرا لكرسيه المفرياني[1].وهكذا قد رسّخت مكانة تكريت فَكَانَتْ مَدِينَةً جليلة ذَاتَ صِيتٍ مَهِيبٍ يَنْطِقُ بِالْعَظَمَةِ وَالْمَجْدِ التليد[2].مثلما كانت ذات منزلة سامية في التاريخ الكنسي السرياني لأنها اجيالا كاملة كانت عاصمة دينية لكنيسة المشرق السامية[3].

آثار المدنيّة في (بلاد تكريت) السريانية

تنتشر في مدار مدينة تكريت التي كانت (حاضرة السريان) في أزهر الازمان مجموعة من التلول الاثرية التي هي في أصلها بقايا مدنية قد دثرتها الازمنة جاعلة منها تلاع وتلال تختلج في باطنها رفات لبلدات وقرى عصرية لم تضيء حالتها مثل اعواد الثقاب بل عاشت تناضل وهي مشرقة كمثل المشاعل لمئات السنين وتنطوي بين ضلوعها تجارب حضرية ذات أدوار حضارية أخرجت واحتضنت قديسين واحبار وكانت لها أخبار ذات اسرار وللمثل نذكر منها هنا:

قرية جبلتا:

قرية جبلتا[4]او جبيلتا ܓܒܠܬܐ او بلدة الجبيلة[5]، هي مدينة السريان الأرثوذكس[6]، في عهد الاشراق السرياني الزاهر.تقع ضمن مقاطعة بيث كرماي أو مقاطعة طيراهن[7]احدى المقاطعات الخصبة لبلاد تكريت العتيقة، وموضعها يجيء على شفة دجلة اليسرى، على مسافة ١٠ كم شمال شرقي مركز مدينة تكريت أو قبالتها من طرفها الشرقي الأعلى.وهي قرية معلّمة ويشار اليها من قبل البلدانيين المسلمين في ذكر المراحل والسكك والمحطات، ويأتي اسمها بالصيغة السريانية ذاتها(جبلتا) في مصنفات العرب والمسلمين كمثل: تاريخ الامم والملوك للطبري ونزهة المشتاق للإدريسي والمسالك والممالك لابن خرداذبة ومسالك الممالك للاصطخري.بينما ان اسمها في مراجع تاريخ السريان ومنها كتاب كلدو وآثور لأدي شير يأتي بصيغة (گبيلتا).وهي اليوم عبارة عن موقع أثري يتمثل بتل تعلوه مقبرة إسلامية، وهو بطبقاته أجده موقعا مهما، لكونه يضم بقايا العصور الحضارية التي مرت على المنطقة المتموجة من ارض النهرين ومنها العصر الآشوري لكن لوجود

---

(١) العلامة ابن العبري، غريغوريوس، التاريخ الكنسي، طبعة لوفان د.ت) ، مجلد ٣، ص٩٩؛ الاسقف ارملة، اسحق، أنباء الزمان في جثالقة المشرق ومفارنة السريان، مطبعة الآباء اليسوعيين، بيروت،١٩٢٤، ص٢٥.

(٢) الراهب الكرملي، اَنِسْتَاسْ مَارِي، خُلَاصَةُ تَارِيخِ الْعِرَاقِ، ص ٥٤

(٣) الملفان بهنام، بولس، تكريت في التاريخ، مجلة المشرق لسنة ١٩٤٦، العدد الثاني، ص٨٨

(٤) انظر الطبري، ابن جرير، تاريخ الطبري.الجزء الخامس.ص٣٢٨

(٥) الاسقف المرجى، توما.كتاب الرؤساء.تحقيق الراهب البير ابونا، بغداد، ١٩٩٠م، ص١٢٥

(٦) الاسقف المرجى، توما ـ الرؤساء، ص١٨١

(٧) الاسقف المرجى، توما.الرؤساء.ص١٨١

مقبرة حديثة لسكان المنطقة في طبقتها العليا يصعب التنقيب والتحري فيه اليوم. أما عن كلام التاريخ عنها كحاضرة فسطوره قد جاءت لتذكر بأنها كانت تعد من أشهر بلدات مقاطعة طيرهان الممتدة ما بين سامراء وبين السن في الجانب الآخر لتكريت، كما وجاءت لتذكر كيف أنها في عام ٩١٦م قد عدت مركز مالي اذ كانت تضم دار سك وضرب (العملة) [١]. كانت بلدة جبيلتا في ايامها الزاهرة تحتضن مدرسة رائدة لتعليم الموسيقا[٢] فضلا على احتضانها لكنيسة[٣]. ولقد أظهر البحث بين طوايا تراث السريان المديد، بأنها كانت مكان ولادة ونشأة ونبوغ بعض الأعلام القدماء للسريان من العلماء والحكماء أمثال؛ المعلم الحكيم ربان باباي الملفان المؤسس لمدرسة جبيلتا، والقديس الطوباوي ربان مار قرياقوس الجبيلي رئيس دير (بيث عابي) وأسقف مدينة (بلد) الموصل[٤]. والقديس ربان كوريا المعلم الشهير والعالم النحرير الذي تصدر يبث العلم في كنيسة جبيلتا والذي خلف الربان باباي الملفان في التعليم والذي تلقى على يديه المعرفة العديد من ابناءها[٥]. وبحسب الأخبار التاريخية للسريان بقيت جبيلتا عامرة حتى مجيء الخليفة المتوكل، إذ ورد انه قد استملكها في سنة ٨٦٠م لإنجاز مشروع النهر الجعفري[٦]. وبخصوص تسميتها (جبلتا) يرى العلامة المرحوم بنيامين حداد أنها تسمية آرامية وتعني (الجبيلة) (مصغر الجبل) على اعتبار أنها مبنية على مرتفع وإن الملحقة (تا) هي للتأنيث بينما يرى البحاثة المرحوم سليمان كورية بانها من الجذر جبلا الذي يفيد الخزف او الفخار. أما أنا فأجد بان هذه التسمية انما تعود لزمن أبعد وأعتق من هذا الذي احتمله العلامة حداد والبحاثة كورية فهي عندي تسمية انطوت على اسم الإله جيبل أو گيبل أو أنها حملته تيمنا وتشرفا والإله جيبل هو أحد أبرز الآلهة التي عبدت في بلاد الرافدين منذ العهود السومرية ثم الاكدية وكانت صفته في انه إله التعدين والنار والضوء، وأما الملحقة (تا) فهي تاء تأنيث ووظيفتها هنا لتأنيث اسم المدينة بحيث تأتي منعوتة به كما هي تسميات بعض المدن العراقية اليوم. وأما عن موقع هذه البلدة الأثري الباقي لحد اليوم فهو بتقديري لا يعدو إلا إن يكون موقع (تل السوق) الأثري على الطريق القديم الى مركز ناحية العلم (الخرجة) في

---

(١) المستشرق ليسترنج، كي، بلدان الخلافة الشرقية، ترجمة بشير فرنسيس وكوركيس عواد، مؤسسة الرسالة، ص١٢٠؛ الدكتور باقر، طه والدكتور فؤاد سفر، المرشد الى مواطن الاثار؛ الاب قاشا، سهيل، ص٣٥٧.

(٢) الاسقف المرجي، توما. الرؤساء، ١٥١

(٣) الاسقف المرجي، توما، الرؤساء، ص١٢٩

(٤) الاسقف المرجي، توما. الرؤساء. ص١٨١

(٥) الاسقف المرجي، توما، الرؤساء، ص١٣٠، ١٨١

(٦) الطبري، ابن جرير، تاريخ الطبري. الجزء الخامس. ص٣٢٨

شرقي تكريت عبر نهر دجلة، وان الاسم (تل السوك) الذي يحمله اليوم إن هو عندي إلا اسما محدثا كان قد تحرف عن الاسم القديم له هو (تل الشهارجة والسلق) ما يعني انه ذلك التل الذي أوردته المصادر ومنها كتاب فتوح البلدان، هذا إذا ما علمنا ان هناك إشارات جاءت تؤكد ان تكريت كانت قد وطنها الشهارجة[١].

قرية حطارا:

حطارا أو حطرا هي بلدة قديمة كانت في الطرف الجنوبي الشرقي لتكريت عبر النهر ضمن مقاطعة طيرهان[٢].جاء ذكرها في كتاب سفر التكوين ضمن قصة الصنمين نسر ونيشير بتسميتها (كالاح) الطيرهانية، لكون الاسم الثاني نيشير انما يجسد شخصية رجل كان أصله من اهلها[٣].كما وقد جاء ذكرها في التراث الاسلامي في كتاب معجم البلدان بتسميتها هاطري[٤]

ولقد عدت في كتب تواريخ السريان من أبرز بلدات مقاطعة طيرهان حتى عهد توما المرجي[٥].وهي قبل عصر السطوع السرياني وازهاره قد عرفت ارضها قيام إحدى الإمارات الآرامية المستقلة التي عرفتها بلاد ما بين النهرين إلى جانب إمارة حدياب وإمارة ميشان و قد جاء اسمها (امارة حطارا)[٦].ولقد توهم فيها الكثير من المؤرخين المحدثين فظنوا ان المقصود بها مملكة الحضر ذاتها، بينما ان كتب التواريخ السريانية ومنها كتاب كلدو واثور وكتاب مختصر الاخبار البيعية للسعردي كانت قد حددت مكانها بالقول الواضح؛ ان حطارا كانت في أطراف تكريت في طيرهان[٧]او ان حطرى على دجلة من ارض الطيرهان[٨].ولقد كان لها دور في الحرب الدائرة في سنة ١٩٤ م بين ملوك الطوائف الرومانيين.وان من الأمور التي سجلت لإمارة حطارا ; أنها وقفت في وجه الحصار الذي وقع عليها عام ١٩٨م ولم تقدر على اقتحامها[٩].ولقد أنجبت اعلام لهم دور وأثر في تاريخ السريان يأتي من بينهم القديس مطرافوليط حدياب

---

(١) انظر: الناصري، إبراهيم فاضل، مدن دائرة ومواقع دارسة، حوران، ٢٠٢٣م، ص٤١

(٢) الاسقف المرجي، توما، الرؤساء.ص١٣٢؛ المطران شير، ادي.تاريخ كلدو واثور.ج١ .ص٢٢٨

(٣) السعردي، مختصر الاخبار البيعية، تعريب بطرس حداد، بغداد، ٢٠٠٠م، ص١١٣

(٤) الحموي، ياقوت، معجم البلدان، مج ٥ ـ ص٣٨٩

(٥) الاسقف المرجي، توما، الرؤساء، ص١٣٢

(٦) المطران شير، ادي، تاريخ كلدو واثور، ج١، ص ٢١٠و ص ٢٢٨؛ الناصري ابراهام فاضل، تاريخ الازمان، عمان، ٢٠٢١م.

(٧) المطران شير، ادي، تاريخ كلدو واثور، ج١، ص ٢٢٨

(٨) السعردي، مختصر الاخبار البيعية، ص١١٣

(٩) المطران شير، ادي، تاريخ كلدو واثور، ج١ .ص٢٢٨

والمعلم المهاب مارن عمه الحطاري[1].ولقد جاء حولها في كتاب شرائع البلدان لبرديصان[2]؛ ان من الاعراف التي سادت ان السريان الذين في حطارا لا يرجمون اللصوص[3].مثلما ورد ذكرها في عدد من كتب البلدانيين العرب ومنها كتاب معجم البلدان لياقوت الذي جاء فيه نص القول: (هاطري قرية بينها وبين الجعفري الذي عند سامراء ثلاثة فراسخ وهي دون تكريت) [4].ولقد خربت ثم اندثرت في نهايات العصر العباسي، اذ اورد توما المرجي انها في عهده (٨٥٠م) قد كانت خراب[5].وأما موقعها اليوم فهو لا يعدو عندي إلا أن يكون (تلول هاطرى) الأثرية الواقعة بأسفل من تكريت في الجانب الأيسر لدجلة، في جنوبي قرية البو عجيل.ولقد توهم في أمرها العديد من الباحثين فخلطوا بالإشارة بينها وبين مدينة الحضر[6].واما عن اسمها فبالاستفادة من المعاجم اللغوية السريانية فاسمها عندي انما يعني (الرحا) وهو مشتق من كلمة الهطر التي تفيد الضرب والطحن[7].ولعل ذلك متأتي من وظيفتها العامة في كونها مكان تركز مطاحن طحن الحبوب.

قرية أوينة:

اوينا او اوانا هي قرية واقعة في جنوبي قصبة تكريت مباشرة، ضمن منطقة او مقاطعة طيرهان الخصبة التي هي جزء من بيث كرماي[8].أنجبت عددا من أعلام السريانية الفخام أمثال؛ ربان مار سبريشوع من مواليد مقتبل القرن السابع[9] مؤسس دير او عمر بيث قوقا على الزاب الكبير في السنة ٦٢٨م[10].والعالم اللغوي الحسن ابن بهلول[11] او بار بهلول الطيرهاني[12] صاحب المعجم السرياني الشهير[13] والمكين الارخن كاتب الجيوش المملوكية جرجس بن العميد بن قروينة

(١) الاسقف المرجي، توما، الرؤساء، ص١٣٢

(٢) ان المؤلف لكتاب الشرائع هو فيلبس أحد تلاميذ القديس برديصان.

(٣) الراهب البير ابونا، تاريخ الكنيسة السريانية، ج١ـ ص ١٨؛ المطران ادي، شير، تاريخ كلدو واثور، مج٢، ص٢٧؛

(٤) الحموي، ياقوت، معجم البلدان، مج٨، ص ٤٦٥ .

(٥) الدومنيكي فييه، جان، اشور المسيحية ـ مج٣ـ ص ١٥٠

(٦) انظر: الناصري إبراهيم فاضل.مدن دائرة ومواقع دارسة.ص٤٢

(٧) الدومنيكي فييه، اشور المسيحية، ج٣، ص ١٥٠

(٨) الاسقف المرجي، توما، الرؤساء، ص٩٧

(٩) القس نصري، بطرس، ذخيرة الاذهان، الموصل؟، مطبعة الإباء الدومنيكان ١٩٠٥م، ص٢٥٥

(١٠) المرجي، توما، الرؤساء، ص٢٢؛ المطران شير، ادي، تاريخ كلدو واثور، ج٢، ص٢٩٢؛ الدومنيكي جان فييه، كتاب القديسون السريان، لبنان، ٢٠٠٥، ص١٥٥

(١١) هو لغوي سرياني عاش في القرن العاشر.اشتهر بتأليفه أحد أهم المعاجم السريانية.

(١٢) الاسقف المرجي، توما، الرؤساء، ص٩٨

(١٣) العلامة ابن البهلول، حسن، معجم ابن بهلول، ترجمة دوفال ـ باريس سنة ١٨٨٨م

صاحب كتاب تاريخ العالم[1].ولقد جاء انها كانت تقوم فيها مدرسة مهمة[2].وقد خربت منذ أمد بعيد وموقعها الأثري اليوم لا يعدو عندي إلا أن يكون المنطقة التي تضم تل يعرف محليا بـ(قبر العروس) في مدخل قرية عوينات التي بمحاذاة قرية العوجة من الجنوب.وان قرية عوينات العصرية الحالية إنما اخذت تسميتها نسبة الى اوينا أو اشتقاقا من اسمها وهي تختلف عن بلدة أوانا التي كانت تابعة لأعمال دجيل وكذلك أوانا التي كانت تتبع أسكي موصل[3].

قرية نرسيباد[4]:

نرسيباد قرية قديمة أشار اليها اسحق ارملة في كونها قرية بتكريت وقال انها مكان ولادة ثم مطرنة ثم اعتزال المفريان شربيل وهو الذي يعد المفريان الرابع عشر في تسلسل المفارنة الذين تعاقبوا على كرسي تكريت اليعقوبي[5] وقبل هذا ذكرها ابن العبري في تاريخه الكنسي كونها احدى اسقفيات مدار كرسي تكريت المفرياني[6].وهي ذات الاسقفية التي اشار اليها جان فييه في كونها مركز اسقفية في القرنين الميلاديين الثامن والتاسع وان موقعها المدني كان في أراضي تكريت ودعم قوله هذا بان اسحق ارملة كان قد سبقه في تحديد مكانها ضمن أرا ضي تكريت[7].ثم هي بحسب دراستي الاثرية، تقع في أعلى تكريت أي في شمالها على الشاطئ الشرقي لدجلة.جاء اسمها كما أرى؛ تخليدا لاسم قديس سرياني يدعى مار نرساي الأبرص كاهن بلدة قرديلا باد المتوفى عام ٥٠٢م والذي ترأس مدرسة الرها ثم مدرسة نصيبين في زمانه ثم تلقب بلسان المشرق وباب الديانة.وأما موقعها الأثري اليوم فهو فلا يعدو عندي إلا ان يكون ذاته موضع قرية (تل السيباط) ، وان الاسم تل السيباط ان هو إلا تحريف قريب لاسمها نرساباد أو نرسيباد[8].

قرية قرونتا:

قرويتا أو اقرونتا[9].والتي تعني (القلعة الصغيرة) وهي بلدة عتيقة مذكورة في كتب السريان فلقد جاء

---

(١) كما أورد في كتابه المخطوط

(٢) المطران شير، ادي، تاريخ كلدو واثور، ج٢، ص٢٩٧؛ الناصري، إبراهيم فاضل، تاريخ كرسي مفريانية المشرق، عمان، ٢٠٢١ن، ص١١٨

(٣) انظر: الناصري، إبراهيم فاضل، مدن دائرة.ص٤٧

(٤) البطريرك مار افرام، اغناطيوس.لمعة في تاريخ الامة السريانية في العراق.القدس، ١٩٣٦م، ص٥

(٥) الاسقف ارملة، اسحق، انباء الزمان في جثالقة المشرق ومفارنة السريان، بيروت، ١٩٢٤م، ص٢٦

(٦) العلامة ابن العبري، التاريخ الكنسي، تعريب المطران صليبا شمعون، دهوك، ٢٠١٢م، ص٤١

(٧) الدومنيكي فييه.اشور المسيحية.الجزء الثالث.ص١١٢-١١٣

(٨) انظر: الناصري، إبراهيم الناصري.مدن داثرة.ص٤٧

(٩) البطريرك اغناطيوس.لمعة في تاريخ الامة السريانية.ص٥

ذكرها في كتاب تاريخ الافسسي وفي كتاب التاريخ الكنسي: أنها قرية محاذية لتكريت.كما جاء ذكرها في كتاب (تاريخ نصارى العرق لروفائيل بأبو اسحق) [١] كونها تعد مركز أسقفية(أبرشية) أي ولاية كنسية وقال عنها: أنها تقع على الدجلة بنواحي تكريت.ايضا جاء عنها في كتاب آشور المسيحية للأب حنا فييه أنها قرية كبيرة تقع بالقرب من بلدة كرمي وتحت الزاب الصغير وتضم جثمان مار احودامة وجاء أيضا في نفس الكتاب نقلا عن كتاب اللؤلؤ المنثور[٢] ان اقرونتا بلدة محاذية لتكريت واليها حمل جثمان مار احودامه بعد وفاته.كذلك قال سهيل قاشا في كتابه تكريت حاضرة الكنيسة أنها تقع شمالي كرمي وكانت تضم جثمان احودامه، واكد هذا فييه في (القديسون السريان) [٣].ولعل موقعها لا يعدو عندي إلا ان يكون موضع (القروردي) المحاذي لقصبة تكريت من الشمال، وما الاسم قرا وردي إلا تحريف لفظي للاسم قرا وينتا[٤].

مقاطعة الطيرهان:

الطيرهان[٥] هي مقاطعة حضرية كانت تشكل الشريط الساحلي الايسر لتكريت عبر النهر [٦] وهي في عهود ما قبل الإسلام منطقة وجود وتركز الآراميين ثم خلائفهم من السريان و صقعها الخصب يعرف باسم بيت كرماي وهي تتكون من عدة بلدات حضرية وقرى زراعية أبرزها بلدة جبلتا وقريتا الخصاصة وبلدة كرمي وهي بحدودها الحضرية تمتد ما بين تكريت وما بين السن أي بارمان وما بين سامراء وتكريت.ولقد أصبحت مركز أسقفية يعقوبية في عهد ترؤس مدينة تكريت التاريخية لكنائس المشرق السرياني إذ أسست أسقفيتها في سنة ٦٢٨ ميلادية[٧].وقبل هذا كانت اسقفية من اسقفيات كرسي الجثلقة في المدائن[٨] وكان من أبرز اساقفتها الساليقيين؛ الاسقف برنون[٩].والاسقف ابراهام[١٠] والسقف بيروز[١١] والاسقف ميليس الذي أصبح فيما تلي من الايام أحد النواب البطريركيين[١٢].والاسقف

(١) الاب روفائيل، بابو إسحاق.تاريخ نصارى العراق.ص١٩٠

(٢).البطريرك، اغناطيوس، افرام، اللؤلؤ المنثور.ص٥١٨

(٣) الدومنيكي، فييه، كتاب القديسون السريان، بيروت، ٢٠٠٥م، ص٢٤

(٤) انظر: الناصري إبراهيم فاضل.مدن دائرة.ص٤٥

(٥) الاسقف المرجى.كتاب الرؤساء.ص٩٧

(٦) البطريرك اغناطيوس.لمعة في تاريخ الامة السريانية.ص٥؛ انظر الناصري، تاريخ الازمان، ص٤٧

(٧) انظر: براهيم فاضل الناصري.مدن دائرة.ص٤٥

(٨) السعردي، مختصر الاخبار البيعية، ترجمة بطرس حداد، ص ١٢٣؛ المطران شير، ادي، تاريخ كلدو واثور-ج٢، ص ١١

(٩) المطران شير، ادي، تاريخ كلدو واثور، ج٢، ص٢٣١

(١٠) المطران شير، ادي، تاريخ كلدو واثور، ج٢، ص٢٣١

(١١) المطران شير، ادي-تاريخ كلدو واثور، ج٢، ص٢٤٧

(١٢) الدومنيكي فييه، اشور المسيحية، ج٣، ص١٣٩

شهدوست الكاتب الشهير الذي صارت في عهده الطيرهان تلعب دورها المهم[1] اما المطارنة الذين جلسوا على كرسي الطيرهان فنجد اسم المطران صليوا زخا الذين كانت له صلات تعاون وتفاهم مع مفريان اليعاقبة في تكريت دنحا الثاني الى الحد الذي حصل على رخصة لتشييد كنيسة للنساطرة في قلب تكريت عاصمة الكرسي اليعقوبي[2] ثم فيما تلا في العقود نجد اسم المطران قيوما الذي تولى كرسي الطيرهان الاسقفي في النصف الثاني من القرن التاسع وقيوما هذا قد كان تلميذا للبطريرك سركيس او سرجيس (٨٦٠-٨٧٢) ثم اصبح في قابل الايام مترابوليتا لنصيبين. واسم المطران يوحنان الطبيب الذي كان خلفا للمطران قيوما في تسيم كرسي الطيرهان والذي تسيمه كان في عهد البطريرك سيرجيس المذكور. واسم المطران بختيشوع المعاصر لتنصيب البطريرك يوحنان بن مرتا (عام ٩٠٠). واسم المطران إيليا من كرخ جدان الذي أصبح فيما بعد بطريركا. واسم المطران جبرائيل بن ركاوا الذي رقاه البطريرك سوريشوع الثالث زنبور الى منصب مترابوليت الموصل. واسم المطران القنكايا مكيخا بن سليمان الذي اضحى في قابل الأيام بطريركا والذي كان عهده في الطيرهان عهدا متميزا اذ يشير ماري في نصوصه بالقول ان السنوات العشرون التي قضاها مكيخا في الطيرهان قد تميزت بالإدارة الجيدة لشؤون رعيته واسقفيته[3]. واسم المطران عوديشو الذين كانت ابرشية الطيرهان في عهده تابعة لأبرشية البطريركية. واسم المطران نرساي الذي حضر تنصيب البطريرك سبريشوع الرابع. واسم المطران شمعون الذي كان أحد المشاركين في عقد مجمع عام ١٣١٨م. ولقد كانت أشهر بلدات الطيرهان كموضع جغرافي فهي حطارا وجبلتا وآوانا على ما يقول ادي شير[4].

قريتا الخصاصة:

بلدتان صغيرتان متجاورتان تقعان في شرقي تكريت من الجهة اليسرى للنهر اطلق على الجنوبية منها الخصاصة السفلى واطلق على الشمالية منها الخصاصة العليا، وموضعهما هو أسفل موقع بلدة كرمي وفوق موقع بلدة حطارا (هاطري). وقد كانتا تشتهران بزراعة الكروم واسميهما بحسب رأيي مأخوذ من خصاصة الكرم. ولقد عدّت إولاهما وهي (الخصاصة السفلى) في عهد ما قبل الإسلام مركز أسقفية، وكان لها سبق في تبني المذهب المنوفستي لكونها ناصرت دعوة القديس يعقوب البراذعي منذ عام ٥٤٣م ومالت الى قوله كما يذكر ماري بن

---

(١) الدومنيكي فييه، اشور المسيحية، ج٣، ١٣٩

(٢) الدومنيكي فييه، اشور المسيحية، ج٣، ص١٤٤

(٣) الحبر بن سليمان، ماري، اخبار فطاركة كرسي المشرق من كتاب المجدل، ج١، تحقيق هنري جيسموند، لبنان، ٢٠٠٥م، ص١٣٧

(٤) المطران شير، ادي. تاريخ كلدو واثور. ج٢. ص١١

سليمان[١] جاءت الإشارة اليها في التاريخ الكنسي بأنها في عهد المفريان اثناسـوس كانت بلدة ذات نزعة مخالفة للتقليد البطريركي السـائد وانها ترنوا للانشـقاق[٢] ولقد اسـتمرت كبلدة إلى عهد الخليفة العباسـي المتوكل إذ وردها ذكر افولها في أخبار ٨٦٠م، حيث قد تم اخذها من قبل الخليفة المتوكل لصالح شق نهر فاجبر أهلها على بيع منازلهم وهجر بلدتهم[٣]. قال عنها بابو إسـحاق في تاريخ نصـارى العراق: انها بلدة قديمة بقرب تكريت، عرف أسـقفها متي الراعي في حوالي القرن العاشـر[٤]. وموقع البلدة الأولى الاثري (السفلى) حسبما أرى فهو مقبرة قرية ألبو عجيل الحالية، أما موقع البلدة الثانية الاثري (العليا) فإنما هو عندي (تل نصيف) والذي موقعه في قلب منطقة البو عجيل الحالية[٥].

قرية كرمي:

كرمي بلدة سـريانية مذكورة في كتب الأقدمين من العرب والسـريان[٦]. تقع في أطراف تكريت، مقابلها أو تتقدمها قليلا في الجانب الشـرقي من نهر دجلة، وموضـعها هو بين موقع قرية الخصاصـة العليا وبين بلدة جبلتا. سـكنها السـريان. جاء عنها انها وقعت فيها حادثة قتل برصـوما حيث تم القتل على يد راهبة قضـت عليه بضـربات بمفتاح صـومعة[٧]. وجاء عن كرمي في كتاب اخبار فطاركة كرسـي المشـرق انها ناصـرت دعوة يعقوب البرادعي ومالت اليه[٨]. ويقول عنها كتاب تاريخ نصـارى العراق: انها صـارت مركز أسقفية أي أبرشية او اسقفية يعقوبية في السنة ٦٢٨م[٩] وهي بذلك تعد احدى الابرشـيات الاثنتي عشـر التي أقر ان ترتبط بتكريت واقترن اسـمها مع اسم دجلة اذ كانت الأبرشية التي تشكلها يطلق عليها ابرشية دجلة وكرمي[١٠]. وقبل هذا كانت تعد اسـقفية من اسـقفيات كرسـي المدائن سـاليق[١١]. ويذكر ان أحد اسـاقفتها في عهد الجاثليق بابوي والذي زامن أيام حكم الملك فيروز قد كان اسمه الاسقف دانيال (٤٨٦-٤٩٧)[١٢] كما وان من اسـاقفتها في زمن كسـرى انوشـروان؛

(١) الحبر سـليمان، ماري، اخبار فطاركة كرسـي المشـرق، ج١، ص٤٨

(٢) العلامة ابن العبري، التاريخ الكنسي، ج٢، ص٤٩

(٣) الطبري، ابن جرير. تاريخ الطبري. الجزء الخامس. ص٣٢٨

(٤) الاب روفائيل، بابو اسحق. تاريخ نصارى العراق. ص١٩٠

(٥) انظر: الناصري ابراهيم فاضل. مدن داثرة. ص٤٤

(٦) البطريرك اغناطيوس. لمعة في تاريخ الامة السريانية. ص٣

(٧) الراهب البير ابونا، تاريخ الكنيسة الشرقية، ج١، ص١٠٨

(٨) الحبر سليمان، ماري، اخبار فطاركة كرسي المشرق، ص٤٨

(٩) الدومنيكي، جان فييه، اشور المسيحية، ج٣، ص١٤٢-١٤٣

(١٠) الاب بـابـو اسـحـق، روفـائـيـل، تـاريـخ نصـارى العراق. ص١٨٨؛ المطران شـير، ادي، تاريخ كلدو واثور، ج٢، ص٢٧٢؛ الراهـب البير ابونـا، تـاريخ الكنيسـة الشـرقيـة، ج١، ص١٤٤

(١١) ادي شير، كلدو واثور، ج٢، ص١١

(١٢) الراهب البير ابونا، تاريخ الكنيسـة الشـرقية، الجزء الأول، ص٧٩

الاسقف برنون او برنابي (٥٥٤)[١]، والمطران كبريل (٦١٦)[٢] اما في ظل الكرسي الاسقفي الغربي، فيأتي ذكر المطران يوحنان (٧٠٠) كأول مطارنة كرمي مثلما يأتي ذكر المطران باسيليوس (١٢٦٤) كأحد مطارنتها[٣].جاء ذكرها كبلدة قديمة في كتب البلدانيين المسلمين ومنها معجم البلدان ومراصد الاطلاع، كما وجاء عنها في أخبار السريان في القرن العاشر الميلادي بأنها كانت تمتلك برجا يقيم فيه المتروبولتيان مار شربل أسقف تكريت.وموضعها اليوم لا يعدو عندي إلا ان يكون (تل أبو كدور) عند أول منطقة البو عجيل.أما معنى اسمها فأجده ينطوي على اسم أحد حكام بيث كرماي الذي كان اسمه كرمي والذي جاء تعيينه حاكما بأمر من سردينابال الملك[٤].ذكر ميخائيل في تاريخه (ان كرمى كانت في عام ٤٨٦م مكان اغتيال القديس النسطوري مار برصوما النصيبي الذي قتل بضربات من راهبة ارثوذكسية على رأسه)[٥].ولقد بقيت كرمي قائمة حتى عهد المتوكل، الذي استملكها[٦].

قرية ريشا:

قرية قديمة في مقاطعة بيث كرماي، ربما اسمها نسبة الى اسم القديس ريشا[٧].خرج منها ربان يعقوب رئيس دير بيث ايشوعياب وهي تختلف عن ريشا (الجبل)[٨].اسمها من ريش والتي تعني (رئيس)، بقيت عامرة حتى العصر العباسي الثاني.ولقد تلاشت فيما بعد ذلك لهجرها من قبل ساكنيها من السريان الآراميين.أما موقعها اليوم فلا يعدو عندي إلا أن يكون الخربة المعروفة بـ(قلعة رياش) التي تشرف على ضفة دجلة الغربية في شمالي تكريت والتي هي بحسب تصنيف دائرة الآثار تعد موقع أثري يؤول لعصور ما قبل الإسلام.أما اليوم فهي مقبرة إسلامية[٩].

بلدة باحرين:

باحرين، Bahrin بلدة قديمة[١٠]، كانت قد تعرفت على الديانة النصرانية وهي في ألقها ثم واكبت نشأة الابرشيات (الاسقفيات) اليعقوبية وصارت مركز اسقفية – ابرشية[١١]، اذ كانت تعد مركز أبرشية الجزيرة

---

(١) المطران ادي شير، تاريخ كلدو واثور، ج٢، ص ٢٢٠

(٢) الدومنيكي فييه، اشور المسيحية، ج٣، ص١٤٨

(٣) الدومنيكي فييه، اشور المسيحية، ج٣، ص١٤٨

(٤) انظر: الناصري، ابراهيم فاضل.مدن داثرة.ص٤٤

(٥) الدومنيكي فييه، جان، اشور المسيحية.ج٣.ص ١٤٧؛ الراهب البير ابونا، تاريخ الكنيسة الشرقية، ج١، ص٨١

(٦) انظر؛ الطبري، تاريخ الطبري.الجزء الخامس.ص٣٢٨

(٧) الدومنيكي فييه، جان، القديسون السريان، ص١٢٥

(٨) الاسقف المرجى.توما، كتاب الرؤساء.ص٦٤

(٩) انظر: الناصري، إبراهيم فاضل، مدن داثرة.ص٤٨

(١٠) الدومنيكي فييه، جان، اشور المسيحية، ج٣، ص٣٨

(١١) الدومنيكي فييه.جان، آشور المسيحية.الجزء الثالث، ص ٣٨و١٨٤

أو الأبرشية السابعة لجثلقة الإقليم الشرقي[1] التي ورد بشـأنها أنها تقع الى جوار أبرشـية كرمي.وتعد من بلدات مقاطعة الطيرهان اسـتنادا على خبر مجاورتها لبـلـدة كـرمـي.وان مـن اسـاقـفـتـهـا هـو الاسـقـف جاورجي[2].وعن معنى اسـمها المذكور فهو لا يعدو عندي ان يكون ينطوي على صـناعاتها للأدوات الخزفية والفخارية، إذا ما علمنا أن الصيغة الاسمية باحرّين كانت قد جاءت من الجذر السـرياني باحرّا الذي يعني بيت الطين الحرّي والذي جمعه باحرّان (بيوت الحري) [3].أما عن موقعها الأثري فهو لا يعدو عندي إلا أن يكون تلول (أبو جعلات) والتي موقعها في الأرض البوار لقرية الناعمة في شرقي قرية البو عجيل عبر النهر.

قرية كروم:

كروم او جروم بلدة من نواحي تكريت.ذكرت كمركز أسقفية او ابرشية (أي ولاية كنسية) بأكثر من مصدر[4] ولكن سكتت المراجع عن تعيين موضعها الجغرافي، بيد إنني أجد ان موضـعها يتطابق وموقع (جريم) الأثري الـذي جـاءت تسـميته من قبـل الرحـالـة المستشرقين بـ(أبو خلخلان) والذي كشفت التنقيبات الأثرية فيه انه موقع مسـيحي يعود إلى فترة ما قبل الإسلام وموضعه شمالي مركز تكريت وهو في محلّه مشـرف على شـاطيء دجلة من الغرب.أما التغيير الحاصـل في لفظة فهو متأتي من أن أهل تكريت لديهم إمـالـة في النطق فمثلا يقلبون الواو إلى يـاء فينطقون كلمة السـوق سـيق وسـور سـيغ وفوق فيق ودور ديغ فلا غرابة إذا نطقوا كروم بصيغة كريم.

قرية سودقنايا[5]

(سـودقنايا) وتسـمى من قبل البلدانيين المسـلمين بــ(السودقانية) [6]، وهي بلدة قديمة من بلدات نواحي تكريت وضـواحيها.وتعد من مدن عصـر ما قبل

(١) السعردي، التاريخ السعردي.الجزء الثاني.ص٢٢٣؛ الحبر ماري بن سـليمان، اخبار فطاركة كرسـي المشـرق من كتاب المجدل، ص٦١

(٢) العلامة ابن العبري، التاريخ الكنسي، ج٢، ص١٢

(٣) الرابي حداد، بنيامين، قاموس بيث بيتا.ج١، مادة باحري

(٤) البطريرك اغناطيوس، افرام، لمعة في تاريخ الامة السريانية في العراق.ص٥؛ بابو اسحق.تاريخ نصارى العراق.ص١٩٠

(٥) الـدو منيكي فـييـه.جـان، اشـور المسـيحية.الجزء الثالث.ص١١٠

(٦) انظر مثلا في كتاب ابن خرداذبة، المسـالك والممالك، بريل، ١٨٨٩م، ص٩٣

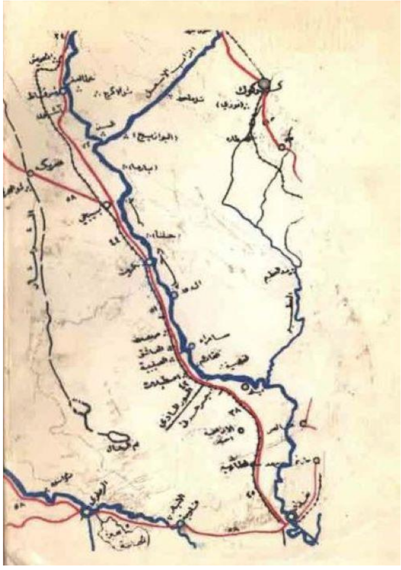

الإســلام التي بناها الآراميون ثم ورثها الســريان.اما موقعها الاثري فهو عندي لا يعدو إلا ان يكون خربة العبد بأعلى منطقتي تل السيباط والخزامية في شـرقي تكريت عبر النهر وموقعها هو مقابل لتل ابداح.حيث يو جد في المكان المذكور اثرا لبلدة قديمة مندرســة تشـرف على شـاطي الدجلة وبقايا ركامها انما هي من كسـر الحجر المهندم وكسـر الخزف والفخار.اما عن معنى اســمها فهو يعني محل تجمع الصــقور إذا ما علمنا ان التأصـيل اللغوي لكلمة سـودقانيا في العربية انما هو يعني محل الصقور.

مكانة المتصوفة ودورها السياسي والاقتصادي والاجتماعي أواخر الدولة المرابطية

جمال رداحي

باحث في تاريخ الغرب الإسلامي، المملكة المغربية.

Raddahi.jamal@gmail.com

ملخص:

تروم هذه الدراسة تبيان المكانة التي أصبح يحظى بها المتصوفة أواخر الدولة المرابطية، خصوصا أن المصادر التاريخية وكتب المناقب تعتبر المتصوفة، أصبحت لهم مكانة كبيرة داخل المجتمع نظير الأدوار التي أصبحوا يطلعون بها على مستويات متعددة منها السياسية والاقتصادية والاجتماعية، وكانت هذه الأدوار تزداد خلال فترة الأزمات التي يعرف المجتمع، وعندما تشتد الأزمة على الناس يتجهون إلى هذه الفئة، في محاول الاستنجاد بهم، بهدف التخفيف من معاناتهم، على اعتبار امتلاكهم لكرامات تهم مختلف مناحي الحياة، ومن هنا كان هدفنا هو الوقوف على الأدوار التي لعبها المتصوفة خلال فترة الأزمات والكوارث خصوصا إذا علمنا أن أواخر حكم المرابطين تميز بظلم وتعسف السلطة المرابطية، وبروز الأزمات داخل المجتمع مما أدى بالعامة إلى الاستنجاد بالمتصوفة كبديل عن السلطة المركزية.

الكلمات الدالة: المتصوفة، الدولة المرابطية، المجتمع

Abstract:

This study aims to show the status that Sufis gained in the late Almoravid state, especially since historical sources and books of virtues consider Sufis to have a great status within society due to the roles that they began to play on various levels, including political, economic and social.These roles increased during the period of crises that society experienced, and when the crisis intensified for people, they turned to this group, in an attempt to seek their help, with the aim of alleviating their

suffering, considering that they possess miracles that concern various aspects of life.Hence, our goal was to stand on the roles that Sufis played during the period of crises and disasters, especially if we know that the late Almoravid rule was characterized by the injustice and arbitrariness of the Almoravid authority, and the emergence of crises within society, which led the public to seek help from Sufis as an alternative to the central authority.

Keywords: Sufis, Almoravid State, the society

مقدمة:

إذا كانت المعارضة في تاريخ الإسلام عموما، وفي المغرب الأقصى على وجه الخصوص، قد عبرت عن نفسها في شكل حركات اجتماعية تخنق في الرحم، ثم تحولت إلى معارضة قوية هدفها، هو تغيير الوضع الاقتصادي والاجتماعي القائم ووضع علاقات إنتاج جديدة عوض القديمة، فإن مع المرحلة الأخيرة من العصر المرابطي برزت ظاهرة جديدة عبارة عن معارضة تجلت في ظاهرة الأولياء والمتصوفة، وقد جاء ظهورها نتيجة للأزمة التي عرت عورة المجتمع المرابطي في تلك الفترة، نظرا لما عرفته مالية الدولة من فراغ بسبب نضوب موارد اقتصاد المغازي، وكثرة المجاعات وانتشارها واشتداد الغلاء والفتن ومن هنا ظهرت المتصوفة لتقوم بمحاولة إعادة التوازن الاقتصادي والاجتماعي والسياسي"[1].

لقد عبرت المتصوفة عن نفسها في شكلين فإلى الجانب الأخلاقي والدعوة إلى القيم الدينية، وتعاليمهم الروحية، لعبوا دورا هاما كذلك كلما حل قحط أو مجاعة إذ حاولوا التخفيف عن الفقراء من عبئ الضرائب، ومساعدة اليتامى، والأرامل وإطعام الغرباء ومعاونة الدائنين، هذا فيما يخص الشكل الأول، أما الثاني فهو تعبير المتصوفة عن معارضتها من خلال نهج أسلوب العنف.

(١) القادري بوتشيش، المغرب والأندلس في عصر المرابطين، منشورات الجمعية المغربية للدراسات الأندلسية، تطوان، ط ٢، ٢٠٠٤، ص ١٢٦.

مما لا شك فيه أن المعارضة للسلطة المركزية تظهر في فترة الضعف وعدم الاستقرار الذي تعرفه دواليب الدولة المركزية، وكذلك عندما تصيب الدولة الفتن والمجاعات والكوارث والأوبئة، أي في فترة الأزمة وبما أن التصوف وظهور الأولياء هو نوع من المعارضة، فإن ظهورها وخاصة خلال الفترة المدروسة أي مع نهاية الدولة المرابطية ارتبط كذلك بالأزمات، وبذلك أصبح تدخل المتصوفة بمثابة ضرورة من أجل اعادة الأمور إلى ما كانت عليه سابقا أي اعادة التوازن داخل المجتمع.

نظرا للمكانة الكبيرة والمهمة التي أصبحت تتمتع بها فئة المتصوف في هذا العهد فقد أصبحت لها مجموعة من الأدوار على مستويات متعددة:

أولا: على المستوى السياسي

انطلاقا من علاقة النفور التي كانت تطبع السلطة المرابطية والمتصوفة أواخر الدولة، يمكن القول أن المتصوفة قد لعبوا ادوار سياسية كبيرة، وفي هذا الشأن ورد عند ابن الزيات عندما تحدث عن أبي الحسن الصائع أحد متصوفة العصر" قال يا بني أدلك قدمي والله ما مشيت بها قط في مظلمة ولا إلى باب السلطان، وهكذا فعلت بقدمي شيخي أبو بكر"[1]؛ وهذا القول يؤكد علاقة النفور والتباعد بين السلطة وبين المتصوفة، وقد وصلت درجة وشدة النفور بين الطرفين، حتى أصبح المتصوفة يوصون أتباعهم بالابتعاد عن السلطان والتعفف من تقلد المناصب، ويتضح ذلك من قول ابن الزيات الذي وجد (أبو محمد بن العزيز التونسي) تلامذته قد نالوا الخطط والمراتب بما تعلموه منه[2].

وقد حملت الكرامات الصوفية خطابا سياسيا واضح المعالم، كانت غالبيته دعوات لمناهضة الظلم والطغيان، الذي أصبح يمارسه سواء الأمراء المرابطون أو عمالهم، وجاء كتاب التشوف مليئًا بالكرامات التي كان يوظفها المتصوفة لإظهار الظلم والفساد الذي وصل إليه المجتمع المرابطي في أواخر عهده، حيث أصبحت الكرامات توظف للانتصار على هذا الظلم، إما بواسطة الدعاء بالهلاك كما فعل أبو الفضل لما قدم سجلماسة ومنع من تدريس أصول الدين

(١) التادلي أبو يعقوب يوسف يحيى (ابن الزيات)، التشوف إلى رجال التصوف وأخبار أبي العباس السبتي، تحقيق احمد التوفيق، منشورات كلية الآداب بالرباط، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، ط ٢،١٩٩٧، ص ٢٩٧.

(٢) نفسه، ص ٩٣.

وأصول الفقه في أحد المساجد، فدعى على الوالي الذي منعه فقتل بالرماح[1]، وكذلك عن طريق التهديد بالرؤى والأحلام، أو عن طريق تسليط بعض القوى الخارقة كالجن على المستبعد.

على العموم فإن انتقاد السلطة كان موجها بالدرجة الأولى إلى الأمراء وولاة المدن أو القضاة ورؤساء النواحي[2].

وبما أن التصوف يعتبر نوعا من المعارضة للسلطة المرابطية، فإنها حاولت منذ البداية فرض الرقابة على المتصوفة، وذلك برصد كل تحركاتهم والمراسلات فيما بينهم، ولم تكتف بالمراقبة فقط بل أقدمت على سجنهم وتعذيبهم، ومن النماذج التي يمكن إدراجها في هذا الشأن المتصوف أبو الحسن علي ابن حرزهم، الذي تم حمله إلى السجن بفاس[3]، وكتاب التشوف يزخر بمجموعة من أسماء المتصوفة الذين تعرضوا للسجن والتعذيب من طرف السلطة المرابطية، وما يمكن استخلاصه هو أن الكرامات الصوفية كانت تضم في ثناياها خطابا سياسيا، يحاول من خلالها المتصوفة التخفيف على العامة، وذلك بالدعاء على الأمراء وعمالهم، أي أن المتصوفة كانت إلى جانب العامة، وهذا ما يفسر علاقة السلطة المرابطية بالمتصوفة، إذ كانت في أغلبها علاقة تنافر وتباعد ومواجهة، وحتى الطرق التي سلكتها السلطة في التعامل مع المتصوفة، يوضح أن هذا التيار أصبح يشكل خطورة كبيرة على الدولة المرابطية في أواخر عهدها.

ثانياً: على المستوى الاقتصادي والاجتماعي

بما أن دور المتصوفة يظهر ويتنامى بشكل جلي خلال الأزمات والأوقات العصيبة، من أجل خلق نوعا من التوازن داخل المجتمع. فقد ظهر دورهم على المستوى الاقتصادي والاجتماعي أواخر الدولة المرابطية، خاصة أن المجاعات اقترنت زمنيا بهذه الفترة وهو ما يفسر ظهور الفتن وتعدد المغارم والمكوس، وما يؤكد الأزمة التي وصلت إليها الدولة المرابطية في أواخرها من الناحية الاقتصادية والاجتماعية قول الإدريسي المعاصر لهذه الفترة "وأهل مراكش يأكلون الجراد، ويباع منه كل يوم الثلاثون حملا فما دونها فوقها بقبالة عليه، وكانت أكثر الصنع بمدينة مراكش متقبلة، عليها مال لازم مثل سوق الدخان والصابون الصفر والمغازل وكانت القبالة على كل شيء يباع دق اوجل كل شيء على قدره"[4].

---

(١) ابن الزيات، التشوف، م س، ص ٩٨ - ٩٩.

(٢) القادري بوتشيش، المغرب والأندلس، م س، ص ١٤٥

(٣) ابن الزيات، التشوف، م س، ص ١٧١.

(٤) الإدريسي الشريف، نزهة المشتاق في اختراق الأفاق، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، د ط، ٢٠٠٢م، ص ٢٣٥.

بالإضافة إلى ذلك كان المتصوفة يلعبون أدواراً مهمة إبان المجاعات والأوبئة والكوارث الطبيعية، فحسب ابن الزيات انه ضربت مجاعة بمراكش فجمع أبو زكرياء يحي بن محمد ابن عبد الرحمن التادلي المتصوف الفقراء بجامع علي بن يوسف، فأخرج قمحا وسمنا كان عنده، ففرقه عليهم حتى لم يبق منه شيء[1].

وحتى الناس عندما تشتد عليهم المجاعات يلجؤون إلى المتصوفة للتخفيف عنهم، فقد شهدت مدينة فاس جفافا، فاستغاث أهلها بأبي يعزى وشكوله احتباس المطر عنهم فاخذ في البكاء والتضرع إلى أن غيمت السماء وهملت بالأمطار[2].

الملاحظ هنا هو ذلك التعاطف الموجود بين المتصوفة وفئة العامة، ويتجلى ذلك على جميع المستويات فالأولياء لم يمتنعوا عن مساعدة وإعانة المحتاجين و مد يد العون للفقراء، فأبو العباس احمد بن يوسف كان ذا مال فتصدق بجميعه[3]، وأصبح الناس يقصدون المتصوفة لعلاجهم من الأمراض المستعصية.

يبدو من الخطاب الكرامي – الوارد في كتاب التشوف لابن الزيات – للمتصوفة في أواخر الدولة المرابطية – وهو ما سنلاحظه كذلك في الدولة الموحدية– أن الكرامات همت جميع ميادين الحياة وأصبحت القاموس المتداول، وكتاب التادلي مليء بالأدوار التي أصبح يلعبها المتصوفة خلال هذا العصر من مساعدة المحتاجين والتخفيف عنهم في السنوات العجاف، وكذلك علاجهم من الأمراض المستعصية.

إن جميع كتب المناقب تجعل الأولياء (المتصوفة) في خدمة مصالح الناس ورهن إشارتهم في كل ما يحتاجون إليه، وبالتالي فان هدف الولي حسب هذه الكتب هو تحقيق رغبات الناس وتطلعاتهم، مع التركيز على مسألة شفاء الأمراض وعلاجها خصوصا الأمراض الفتاكة المزمنة والمستعصية في طرق علاجها، يفعلون ذلك بالدعاء مثل ابي الحسن علي ابن حرزهم[4]، أو لمسا باليد مثل أبي إبراهيم إسماعيل بن وجماتن الرجراجي[5]، ولا ينقطع دور الولي

---

(١) ابن الزيات، التشوف، م س، ص ٢٤٦.

(٢) نفسه، ص ٢١٨.

(٣) نفسه، ص ١٦٥.

(٤) ابن الزيات، التشوف، م س، ص ١٣٢-١٤٤.

(٥) التميمي أبو عبد الله محمد بن عبد الكريم الفاسي، المستفاد في مناقب العباد بمدينة فاس وما يليها من البلاد، دراسة وتحقيق محمد الشريف، ج ١، منشورات كلية

الاستشفائي بموته، بل إن تراب قبره يصبح ترياقا للأمراض، فقد أكثر التادلي من استعمال جملة "يستشفى الناس بتراب قبره "[١]، وبالإضافة الى الاستشفاء نجد كرامات خاصة بالاستسقاء وهي كثيرة، وهذا ما نجده في تعاقب سنوات الجفاف والقحط وارتكاز حياة الناس على الزراعة والرعي سببا مباشرا يدفعهم إلى اللجوء إلى من يضنون بهم خيرا ولهم القدرة على جلب الغيث من الله.إذ تشير كرامة تنسب لأبي يعزى إلى أن أهل البلد لجأوا إليه بعد أن عانوا من قلة التساقطات.وبمجرد أن انتهى أبو يعزى من دعائه غيمت السماء وتهاطلت الأمطار[٢].ونتوفر على إشارات متعددة لتدخل الأولياء في مراحل الأزمة هذه بكراماتهم لتخفيف المشاكل المترتبة عن الجفاف إما بالاستسقاء[٣]، وإما بتخفيف الضرر الحاصل من شدة الفقر ونقص الموارد وظهور المجاعة[٤].

من خلال ما سبق، يتبين أن للولي مكانة كبيرة في المجتمع المغربي خلال العصر الوسيط، حيث يعد بمثابة الملجأ الذي يقصده الناس لحل مشاكلهم المادية والصحية والأسرية وغيرها، اعتقادا منهم في علو مكانته عند الله مما يؤهله لذلك، وهذا ما أدى إلى اجتماع قلوب البشرية على محبة الولي والالتفاف حوله والنظر إليه بعين الاحترام والوقار وصلت لدرجة التقديس.

أصبح التصوف خلال العصر الوسيط خاصة في أواخر الدولة المرابطية عنصرا أساسيا في البنية الاجتماعية، فقد تعددت أسباب ظهوره وتطوره خلال هذه المرحلة ومنها ما يتعلق بالأسباب الاقتصادية والاجتماعية وحتى السياسية، أي كل التحولات التي عرفها المجتمع المرابطي، فظاهرة التصوف والمتصوفة لم تكن نتاجا ارتبط بما هو غيبي لاهوتي، بقدر ما هو نتاج اجتماعي أفرزته شروط تاريخية واجتماعية بدأت تظهر من خلال التناقضات التي بدأ يعرفها المجتمع المغربي في تلك الفترة.

ففي المرحلة الأخيرة من العصر المرابطي برزت ظاهرة جديدة عبارة عن معارضة تجلت في ظاهرة الأولياء والمتصوفة، وقد جاء ظهورها نتيجة للأزمة التي عرت عورة

الآداب والعلوم الإنسانية، تطوان، الطبعة الأولى، ٢٠٠٢، ص ٣٢.

(١) ابن الزيات، التشوف، م س، ص١٧.

(٢) نفسه، ص ٢١٨.

(٣) نفسه، ص ١٢٤-١٣٨-١٤٠-١٤١.

(٤) نفسه، ص ١٥٣.

المجتمع المرابطي في تلك الفترة، وكثرة المجاعات وانتشارها وا شتداد الغلاء والفتن فكان أن ظهرت المتصوفة لتقوم بمحاولة إعادة التوازن الاقتصادي والاجتماعي والسياسي، وبالتي ظهرت كبديل للسلطة المركزية، وقدمت مجموعة من الأشياء منها ما هو متعلق بالجانب الاقتصادي والسياسي، ولكن ما قدمته هم الجانب الاجتماعي بشكل أساسي على اعتبار أنه لامس عواطف الفئات التي أصبحت تعاني من الظلم وتعسف السلطة، خصوصا أن الدولة قد تخلت عن مشروعها الإصلاحي التي نادت به في البداية، كإلغاء الضرائب ثم العودة إليها بعدما توسعت الدولة وعصفت المجاعات وعم الغلاء.

كما حملت الكرامات الصوفية خطابا سياسيا واضح المعالم، كانت غالبيته دعوات لمناهضة الظلم والطغيان، الذي أصبح يمارسه الأمراء وعمالهم، وجاء كتاب التشوف مليئًا بالكرامات التي كان يوظفها المتصوفة لإظهار الظلم والفساد الذي وصل إليه المجتمع في المغرب الأقصى خلال العصر الوسيط، حيت أصبحت الكرامات توظف للانتصار على هذا الظلم، إما بواسطة الدعاء بالهلاك وكذلك الكشف عن الغيب وشفاء المرض وتسخير الحيوان وترويضه، والمشي في الهواء، وغيرها من الكرامات التي لا يمكن حصرها، وقد تجاوز الخطاب الكرامي إلى أبعد من الحياة اليومية، إلى حدود أن الإنسان حتى وإن توفي وفارق الحياة الدنيا فإن كرامته لا تنتهي بل يصبح شفيعا لأصحابه في الآخرة.

انطلاقا مما جاء في كتاب التشوف لابن الزيات يتبين أن الكرامات لم تترك جانبا من الحياة اليومية إلا وتطرقت إليه، وأصبحت قاموسا متداولا في هذا العصر فارتبطت بالواقع المعاش خاصة لفئة العامة حيث ظهر تعاطف بين الأولياء وهذه الفئة، وتجلى ذلك على جميع المستويات فالأولياء لم يمتنعوا عن مساعدة وإعانة المحتاجين ومد يد العون إليهم.

خاتمة:

خلاصة القول هو أن الأوضاع أواخر الدولة المرابطية أصبحت متأزمة وأن الناس أصبحوا يتطلعون إلى منقذ من هذه الأوضاع، يتضح ذلك من خلال ما ذكره ابن عبدون، " إن الناس قد فسدت أديانهم وإنما الدنيا الفانية والزمان على أخره وخلاف هذه الأشياء هو ابتهاج وداعية الفساد وانتقادهم العالم، ولا

صلح هذه الأمور إلى نبي بإذن الله"(١).

من هنا ظهر المتصوفة، كبديل للسلطة المركزية، وقدمت مجموعة من الأشياء منها ما هو متعلق بالجانب الاقتصادي والسياسي، ولكن ما قدمته هم الجانب الاجتماعي على اعتبار انه لامس عواطف الفئات التي أصبحت تعاني من الظلم وتعسف السلطة المرابطية، خصوصا أن الدولة قد تخلت عن مشروعها الإصلاحي التي نادت به في البداية، كإلغاء الضرائب ثم العودة إليها بعدما توسعت الدولة وعصفت المجاعات وعم والغلاء.

(١) القادري بوتشيش، المغرب والأندلس، م س، ص ١٢٨.

نشأة مجال المهاذبة في العصر الوسيط المتأخر
من خلال نسخة أولى لوثيقة حبس

د.سلمى اللاّفي
المعهد العالي لأصول الدّين، جامعة الزّيتونة

د.رشدي بلمبروك
كليّة العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة تونس

ملخّص

نحن إزاء النّسخة الأولى للحبس الخاص بمهذب بن بلقاسم التي يعود نصّها الأصلي المنسوخ إلى القرن الثّامن بتاريخ أوائل رمضان سنة ٧١٧ هجري.وقد تمّ رصد عديد المعطيات الطّبّونوميّة والتّاريخية الهامّة للعديد من المناطق المحدّدة للمجال المُحَبَّس.كما يُبيّن نصّ الحُبس تقاطع سُلطة القبيلة وسُلطة الدّولة وسُلطة الوليّ وهو ما يعكس أسا سا علاقة السّلطة والقبيلة والوليّ في ظلّ الظّرفية المتأزّمة التي تعيشها إفريقيّة في بداية القرن الثّامن للهجرة من ضعف السّلطان أبي يحي زكرياء الحفصي تاسع الخلفاء الحفصيين وعدم قدرته السّيطرة على القبائل التي تقوّت، وعلى هالة المقدّس (الوليّ) في المجتمع.وتسمح دراسة هذه الوثيقة بتتبّع طريقة التّحبيس وتكوّن مجال الوليّ مهذّب بن بلقاسم.

الكلمات المفاتيح: مهذّب بن بلقاسم، بوعلاّم الشّريف، المهاذبة، المثاليث، زكريّاء الحفصي، صفاقس.

Abstract

This is a second-hand copy of a private *habous*, a vast territory located south of Sfax, known as the *Habous of Sidi Mehaddeb*.This document is dated to the early days of Ramadan in the year 717 H (corresponding to the 8th century CE) , during the Hafsid era.It reports that the wali, Mehaddeb Ben Belgacem, nicknamed Bou 'Allem Chérif, held supreme authority over the tribes in this region.

This act, originating from the Hafsid period, provides valuable toponymic and historical information, such as the concept of *METHALITH*, the names of the

habous boundaries, tribal dominance, the sanctity of the wali, and the crises experienced by the Hafsid state under the rule of Abou Yahya Zakaria El-Hafsi.

The study of this document allows us to trace the stages of the *habous* formation and to analyze the process of establishing the territory of the Mehadba.

Keywords: Mehaddeb Ben Belgacem, Bou ‘Allem Chérif, MEHADHBA, Abou Yahya Zakaria El-Hafsi, Sfax.

مقدّمة

تُعتبر وثائق الأرشيف الخاصّة بالأحباس ذات أهميّة بالغة بحكم أنها تعيد تركيب المشاهد الجغرافيّة والاجتماعيّة بإفريقيّة(١) وتُفسّر بعض ما ورد في المصادر أو الذي غاب فيها من معطيات حول المجال أو التّركيبة الاجتماعيّة.كما أنّها تعدّ من الوثائق القادرة على تسليط الضّوء على عناصر بشريّة داخل القبائل وفي علاقة بالسّلطة.ويطرح حبس مهذّب بن بلقاسم شيخ المهاذبة وهو من الأحباس الخاصة، جدلا في العديد من المسائل الأساسيّة أوّلها حقيقة عقد التّحبيس وثانيها مسألة الحدود والأراضي التّابعة له باعتباره حُبُسًا مُمتدّا شمِل تجمّعات قبليّة مستوطنة في المجال قبل عمليّة التّحبيس، كذلك موقف القبائل المستوطنة داخل الحُبُس.

كما يطرح النّص الحُبُسي مسألة تقاطع سلطة القبيلة وسلطة الدّولة وسلطة الوليّ وهو ما يعكس أسا سا علاقة السّلطة والقبيلة والوليّ في ظلّ الظّرفية المتأزّمة التي تعيشها إفريقيّة في بداية القرن الثّامن للهجرة من ضعف السّلطان وتقوّي القبيلة وهالة المُقدّس (الوليّ) ودور الزّاوية في المجتمع.

و قد توفّرت لدينا النّسخة الأولى للحُبُس الخاصّ بمهذّب بن بلقاسم ومن خلالها تبينّا عدّة مسائل هامّة تقتضي الشّرح والتّعقيب عليها.وبعد الاطّلاع على هذه النّسخة وبعض المصادر ووثائق الأرشيف وما أورده الضّبّاط الفرنسيّون في القرن التّاسع عشر وبداية القرن

(١) الباهي(أحمد) والبرهومي(عثمان)، "سيدي ناصر بن وافي وجهة أمّ العرايس من خلال عقد بيع أرض مؤرّخ بنهاية العصر الحفصي (٩٤٣ه/ ١٥٣٦م) "، أنماط العيش ببلاد المغرب في العصور القديمة والوسيطة، أعمال النّدوة الدّوليّة الرّابعة، سوسة ٢٠١٧، ص.١٦٢.

العشرين وما قدّمه بعض الباحثين، تمكّنّا من رصد كامل حدود حبس مهذّب بن بلقاسم الشّاسع والذي يعدّ أضخم الأحباس بإفريقية/ البلاد التّونسية.

الفصل الأوّل: تشكّل مجال المهاذبة

I- نسخة الحبس

١- المحتوى والظّرفية العامّة

وثيقة الحُبُس التي لدينا هي نسخة أولى للوثيقة الأصليّة[١]، وهي تتألّف من 41 سطرا.وإمضاءي العدلين مصطفى بن عثمان الدّقّاشي وأبو بكر بن بلقاسم بن عمر البكري الدّقّاشي.وقد نسخت عن الأصل في ١٥ رجب من سنة ١٣٠٨ هجري الموافق لـ١٨٩٠ ميلادي بطلب من الشّيخ يوسف بن عبد الله بن عون قاضي توزر[٢] بعد رسالته المؤرّخة في ١٣ رجب سنة ١٣٠٨ هجري.وقام بكتابة النّص مصطفى بن عثمان الدّقاشي وأبو بكر بن بلقاسم بن عمر البكري الدّقّاشي.وبأعلى الوثيقة يوجد رقم الصحيفة ٥٩ دفتر ثاني شهيديه بالوديان[٣] ومعلوم النّسخ ثمانية ريالات.

الشّكل رقم ١: الوديان[٤]

---

(١) مدّنا الدّكتور نبيل بلمبروك بصورة من النّسخة الأولى لعقد حبس مهذّب بن بلقاسم وسمح بنشرها، وقد أشار إلى الحدود وأهمّية الحبس في إطار انجاز شهادة الدّراسات المعمّقة.أنظر، Nabil BELMABROUK, la région de Sebkhet-en-Nouail dans l'antiquité: Etude de l'occupation du sol d'après les feuilles mehamla et la Skhira au 1 :100000, Mémoire de D.E.A, sous la direction de A.Mrabet, f.s.h.s.t, 2005, p190.,et extrait du contrat de la fondation de habous, hors texte, pl.VI.

كما أشار إلى نسخة هذا العقد الأستاذ توفيق البشروش، انظر:

-BACHROUCH Taoufik, Le Saint et le Prince en Tunisie, université de Tunis, 1989, p.232.

-OTHMAN, A., SAINTS DE LA REGION DE SFAX, Des hommes et des monuments, CAEU Med Ali Editions, Avril 2017, pp 61-62.

(٢) يوسف بن عبد الله بن عون، شغل خطّة القضاء بدقّاش.رصيد رسوم أحباس جمعيّة الأوقاف.سلسلة G، حافظة ٣١، ملف ٥٥.

(٣) الوديان، مجال بالجريد منطقة بدقاش.

(4) *Touzer*, XXI, 1894.France.Service géographique de l'armée, ISBN : B24_068_1925a."Travaux de terrain de

أمّا الوثيقة الأصليّة فتعود كتابتها إلى سنة ٧١٧ هجري / ١٣١٧ ميلادي وتحتوي على أسماء أعلام وأسماء المواقع التي تُشكّل حدودا. وتتحدّث أيضا عن طبيعة الحُبس وأصله والمنتفع به، ومن حضر وشهد على إبرام عقد التّحبيس وهم ثلاثة عدول: الأوّل عبد الله أو عليّ القابسي والثّاني محمّد بن علي والثّالث أحمد بن محمّد السّفاقسي وبحضور أرباب الملك الخمسة من المثاليث والمنتفع الجديد محمّد النّويقس ومهذّب بن بلقاسم المتصدّق له. وينصّ العقد على أنّ خمسة إخوة من المثاليث وهم عليّ ومعلّى ومراح وبطاح وأحمد أبناء عبد الله تصدّقوا بأراضي قابلة للحرث وأراضي زيتون وكرم على مهذّب بن بلقاسم المعروف بأبي علاّم الشريف.

محتوى نص الحبس

الحمد لله هذه نسخة من رسم حبس نقلت هنا لمن له حق فيها عن اذن من يجب اعزه الله تعالى قاضيا بتوزر وعملها في الشيخ العلامة الحاج منفذ الأحكام أبي المحاسن الشيخ سيدي يوسف بن عبد الله بن عون بواسطة مراسلته المباركة المؤرخة بالثالث عشر من شهر التاريخ نصّها الحمد لله بعدما تصدق المكرم علي بن عبد الله وأخيه معلى وأخيه مراح وأخيه بطاح وأخيه أحمد على الشيخ المزار الولي الصالح سيدي مهذب بن بلقاسم عرف بو علام الشريف والمتصدقين أخوة من المثاليث بجميع الصدقة أرضا وشجر زيتون بوطن المثاليث بإزاء قابس يحد جميع ذلك قبلة غميق البحر وهنشير الصياد وعرق المعرض إلى وادي الطرفاوي إلى بياض الرمل إلى هنشير الكبير إلى مقسم البقر إلى خشم العرثومة إلى الطلح إلى الدووارة إلى مرافق أولاد ابراهيم إلى حميلة البيوش إلى الفجيجات إلى جبل الرمان إلى حمر الذراع إلى طرف الماء إلى الصمار إلى واد العكاريت وقام على الشيخ المذكور بعد حوزه لذلك السيد الأكرم السلطان زكرياء سلطان مدينة تونس ونزع منه جميع ذلك وامتنع منها الشيخ المذكور وبعده رجع لله تعالى لما عاين من كرامات الشيخ المذكور ورد له جميع الملك كله وبعد ذلك اشهد الشيخ المذكور على نفسه انه حبس جميع الأملاك المذكورة كلها أرضا للحرث وشجرا زيتونا وكرما وغيرهما على ابنه و صلبه السيد

1903 ; Tirage de Décembre 1925", Série : Tunisie, Topographie, 1:100 000, 1897-1961,94 feuilles, Collection : Aix-en-Provence, Maison méditerranéenne des sciences de l'homme, MMSH - CTMD, CartoMundi.

محمد بن السيد مهذب المذكور وعلى بنيه وبني بنيه وأبنائهم وبني أبنائهم ما تناسلوا في الإسلام طبقة بعد طبقة وجيلا بعد جيل وعلى أعقابهم وأعقاب أعقابهم ما تناسلوا وامتدت فروعهم في الإسلام حبسا مؤبدا حرا مسرمدا ووقفا حراما لا يباع ولا يوهب ولا يورث إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين فان انقرض العقب كله رجع الحبس على بيت الله الحرام لمسجد الرسول صلى الله عليه وسلم واذن الشيخ المذكور لابنه المذكور أن يحوز عنه الحبس فحازه حوزا تاما ورفع الشيخ المذكور يده بعد حوز ابنه ذلك واذن المحبس المذكور لا تدخل الطبقة السفلى مع العليا وسلم والده لابنه التسليم التام و حازه ابنه عنه جميعه لنفسه حوزا تامتا و لمن يتزايد بعده من ولد ذكر و أنثى إلى ابد الأبد مدة الليالي والأيام لا يبدل على حاله ولا يغير عن سبيله مو صى لمن يتولى ذلك بعد بتقوى الله العظيم والاجتهاد في طاعة مولاه فمن بدله بعد ما سمعه فإنما إثمه على الذين يبدلونه إنّ الله سميع عليم وحضروا أرباب الملك المتصدقون به المذكورون أعلاه وأجازوا التحبيس في ذلك من الشيخ المذكور ومعترفين له بالصدقة قبل والله لا يضيع أجر المحسنين شهد على إشهاد المحبس ومن حبس عليه وعرف الجميع والأملاك و عاين حوزها وهم في الحالة الكاملة في ذلك ومعرفة الجميع تامة بتاريخ أوائل شهر رمضان من عام سبعة عشر بعد مضي السبعماية بعد الهجرة منعقد بشهادة ثلاثة عدول الأوّل عبد الله أو علي القابسي والثاني محمد بن علي والثالث احمد بن محمد السفاقسي.وبأمام حمدلته أثر طابع وبأسفله تصحيح ونصّه نظرت في صحة الحبس ووجدته صحيحا وحكمت بصحته وأنا فقير ربه محمد بن أحمد قاضي قابس وفقه الله.آمين.وعلى حمدلته إثر طابع ونظرته تصحيح أيضا نصه الحمد لله تأملت حبس الشيخ أمامه رحمه الله فألفيته صحيحا وحكمت بصحته وأنا فقير ربه محمد بن أحمد مفتي سفاقس فهذه نسخة ذلك كذلك فمن قابلها بأصلها وجدها حرفا بحرف نصا سواء وذلك بتاريخ اليوم الخامس عشر من رجب الفرد عام ١٣٠٨ ثمانية وثلاثمائة وألف وأجر كتبه ثمانية ريالات ومقحم بأوّل السطر العاشر حرف راء من لفظ الدوارة مصلح بالسطر الثالث والعشرين لفظ وأذن وأنا الفقير إلى ربه المنان.

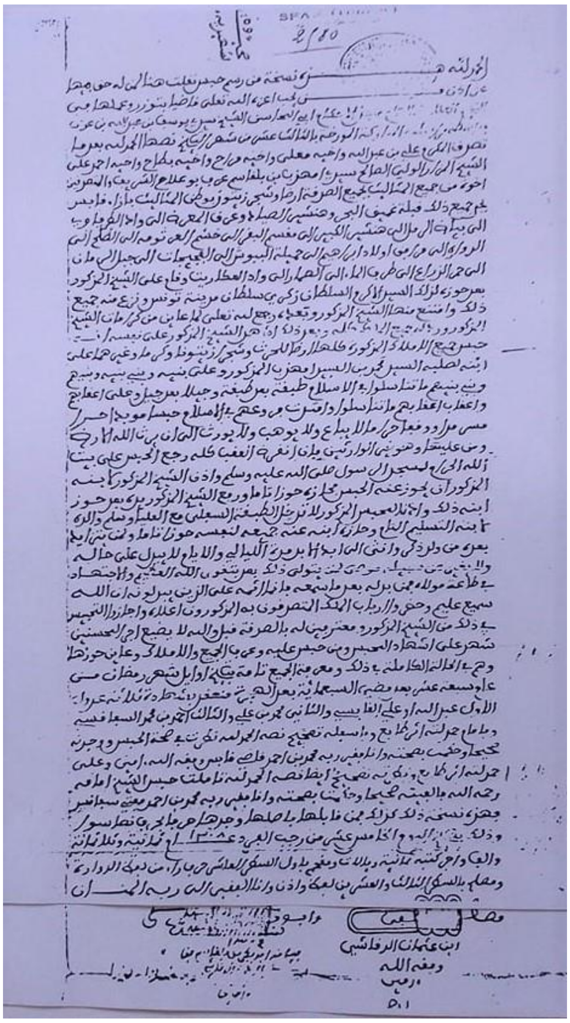

الصّورة رقم ١: نسخة رسم الحبس

١- ظرفية التحبيس

يعود التّحبيس إلى أوائل شهر رمضان سنة ٧١٧ هجري الموافق لسنة ١٣١٧ ميلادية وهي فترة مضطربة من تاريخ إفريقيّة في العهد الحفصي، حيث غلب عليها الصّراع على السّلطة داخل الأسرة الحاكمة، كما كان لتدخّل شيوخ الموحّدين في تنصيب الحاكم الذي يرضونه من الحفصيّين تأثير كبير في اضطراب الأحوال بإفريقيّة. فعدم الاستقرار السّياسي ينعكس سلبا على المجتمع الذي تغلبه في بعض الأحيان سلطة القبيلة وكذلك تقوّي شوكة القبائل من ذلك قبيلة أبي اللّيل من الكعوب. ولعلّ تقديم المثاليث وهم من قبيلة بني علي، صدقة من مجالهم بهذا الحجم من المساحة التي تعادل تقريبا نصف مجالهم أو أكثر، يعكس تغلّب القبيلة على السّلطان ويطرح عدة تساؤلات أهمّها دوافع التّصدق بمجال ضخم. كما أنّ الظّرفية سادها انتشار ظاهرة الأولياء والمتصوّفة الوافدين على إفريقيّة، التي أصبحت تشكّل منطقة جذب واستقطاب النّخب الصّوفية من المغرب والأندلس(١). ويظهر الوليّ كحامٍ للمجال في ظلّ تسلّط القبائل وضعف السّلطان.

٢- حدود الحبس

شكّلت حدود أحباس مهذّب بن بلقاسم اختلافا كبيرا في ظلّ غياب العقد الأصلي. ولكن قمنا بتتبّع الحدود المذكورة في نسخة الحبس الأولى على الخرائط الطّبوغرافية بمقاييس مختلفة وما وجدناه من خرائط للمحرس في الأرشيف الوطني التّونسي. وينحصر مجال المهاذبة حسب

---

(١) العامري) سلامة نلّي) ، التّصوف بإفريقية في العصر الوسيط، دار كونتراست للنّشر، أفريل ٢٠٠٩، ص١٠٣.

نسخة وثيقة الحبس في الحدود التّالية:

- غَمِيقُ البَحْرِ: مصطلح محلّي يعني مساحة بحريّة قِبلة الحُبس ممتدّة، وتشير الرّواية الشّفوية إلى أنّ "غميق البحر" يعادل مدى البصر في الأفق.كما أعلمنا الشّيخ الهادي السّعداوي[1] بأنّ الغميق الذي يتحدّث عنه المهاذبة يعادل ٧ كلم.وهو تغيّر لون ماء البحر انطلاقا من السّاحل في المدى المنظور حتى تشتد الزّرقة[2].والحُبس البحري ينطلق من "طرف الماء" جنوبا إلى "وادي المالح" شمالا بالمحرس يعني أنّ المسافة تصل إلى ٦٧ كلم وتعادل مساحة الإقطاع البحري ٤٦٩ كلم٢.

الشّكل رقم ٢: الحدود البحريّة للحبس[3]

- هنشير الصَّيَّادْ: 34°26'35.92" شمالا، 10°19'47.38 شرقا، المقصود به هنا صيّادة[4] وهي منطقة قريبة من البحر تمتد من جنوب المحرس إلى دلتا وادران[5].

الشّكل رقم ٣: هنشير الصّياد

- عِرْقُ المَعْرَضْ: "34°31'32.43 شمالا، "10°22'31.87 شرقا، وردت في إحدى الخرائط الخاصّة بالمحرس تحت تسمية هنشير "عروق المعرض"[6] وهي النّقطة الموجودة "بهواشتيّة عوران" اليوم غرب المحرس وهم من المثاليث، وتبقى هذه النّقطة الحدوديّة جنوب مقام الوليّ سيدي بوغريب، ويطلق عليه اليوم من طرف الأهالي عرق الرمل.

---

(١) الشيخ الهادي بن الحاج علي السّعداوي وهو أحد المستغلّين لأراضي الشّيخ مهذّب بن بلقاسم عن طريق الكراء مقابل خمس المحصول، وهو أحد العارفين بالمجال.

(٢) معلومة أفادنا بها الأستاذ رشيد بوزيد السعداوي.

(٣) انجاز رشدي بلمبروك

(٤) نفسه.وانظر خريطة المحرس ١:٥٠٠٠٠ وخريطة الحشيشينة ١:٥٠٠٠٠.

(٥) خريطة المحرس ١:٥٠٠٠٠.

(٦) خريطة المحرس ١:٢٠٠٠٠٠، الأرشيف الوطني صندوق C-69-4.

الشّكل رقم ٤: هنشير عروق المعرض[١]

- <u>وَادِي الطَّرْفَاوِي</u>[٢] : "34°33'42.51 شمالا،"10°21'41.85 شرقا .يقع هذا الوادي شمال عرق المعرض، على مستوى منطقة تسمى "الطّرفاوي" وهي الحدّ الفاصل بين أراضي المهاذبة وهنشير الشّعال.

الشّكل رقم ٥: الطّرفاوي

- <u>بَيَاضْ الرَّمْلْ</u>: وردت في وثيقة النّسخة الأولى للحبس "بياض الرّمل" ووثيقة حجّة المهاذبة تتحدّث عن وادي "بياض الرّمل".لم نتمكّن من رصد هذا الوادي أو هذه التّسمية على الخريطة الطّبوغرافية ولكن توجد منطقة غرب المحرس قريبة من وادي الطّرفاوي على مستوى قرية المصادقة تغلب عليها الرّمال[٣].

- <u>هِنْشِيرْ الكِبِيرْ</u>:"34°42'19.88 شمالا، "10°14'27.10 شرقا يقصد به هنشير الشّعال[٤] وهو يتوسّط منطقة بياض الرّمل جنوبا و"بلاد المَقْسِم" شمالا التي تتبّع اليوم مجال "الحاج قاسم" ووردت بإحدى وثائق الأرشيف باسم "زيتون الشّعال".

- <u>مَقْسِمْ البَقَرْ</u>:"34°54'28.03 شمالا، "10°13'51.56 شرقا، هذه النّقطة قريبة من مجال "الحاج قاسم" حيث يوجد تسميات "المَقْسِم" و"وادي المَقْسِم" و"بلاد المَقْسِم" وهو الحدّ الفاصل بين حُبس سيدي مهذّب وحُبس الحاج قاسم، وقد أشارت وثيقة الأرشيف إلى هذه الحدود أو التّسميات[٥].ويوافق هنا ما يسمّى هنشير

---

(١) خريطة المحرس ١:٢٠٠٠٠٠، الأرشيف الوطني.

(2) Despois (J.) , La Tunisie Orientale Sahel et Basse steppe, étude géographique, PUF ,1955, pp59-175.

(٣) هذه التّسمية لم نتمكن من العثور عليها في الخرائط.وزيتون الشّعال حدّ من حدود المجال بين واد الطرفاوي وهنشير الكبير.

(٤) الأرشيف الوطني C-69-4 وردت منطقة زيتون الشعال في وثيقة أرشيف حجة المهاذبة ١٣٠٤.

(٥) نفسه.حمايد باطة تفصل بين زيتون مهذّب بن بلقاسم

سيدي مهذب الذي يُعرف في جزء منه بـــ"تراب العجلة"(١) ويكون علي يسارها "هنشير العركة"(٢).

- خَشْمِ العَرْثُومَةْ: 34°33'42.51 شمالا، "10°21'41.85 شرقا، "جبل العرثومة" أو "خشم العرثومة" أو "جبل الخشم"(٣) يبلغ من الارتفاع ٦٦٤م، ويمثل النّقطة الأخيرة من الجبل ويقابلها "قصور الإخوة" جنوب "سبخة مشيقيق".

الصورة رقم ٢: جبل الخشم

- الطَّلْحْ: "٣٠,٣٣ ' ٢٣ °٣٤ شمالا، "925'4.13° شرقا وهي منطقة تسمّى "الطّلح" جنوب "جبل بوهدمة"(٤) تكثر بها شجرة الطّلح.

الشّكل رقم ٦: الطّلح

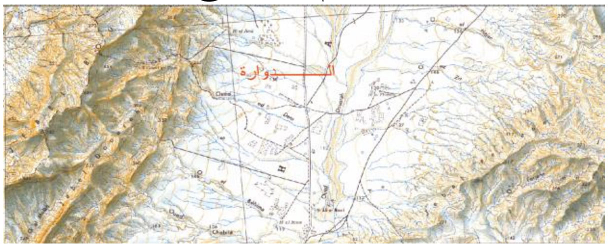

الشّكل رقم ٧: الدّوّارة

- الدَّوَّارَةْ: "٣٨,٣٤'٣٩,٩٠° شمالا، "٥٤ ٩°٣٨'١٧ شرقا، تقع شمال "جبل الدّوارة" وهي نقطة تنحصر بين "الطّلح" و"مرافق أولاد إبراهيم". وهي أيضا شمال شرق المكناسي وجنوب "وادي اللّبن"(٥) وهو من أهمّ الرّوافد المائيّة في المجال ويتحوّل في تسميته إلى "وادي ودران" في الجهة الشّرقية.

- مُرَافِقْ أَوْلَادْ إِبْرَاهِيمْ: "٣٤° ٤٩'٢٢.٨١ شمالا و"٩ °٣١'٣٩,٩٢ شرقا. تحتوي خريطة "جبل الميلوسي" تسمية "أولاد

وزيتون الحاج قاسم وتراب الجّلاص.

(١) نفسه. وثيقة مؤرّخة في ١٦ ديسمبر ١٩١٤. خريطة ١:١٠٠٠٠٠ خاصة بهنشير العجلة. خريطة ترياقة ١:٥٠٠٠٠.

(٢) لعلّه الهنشير الذي شهد معركة دمويّة بين المهاذبة وفطناسة.

(٣) خريطة الخشم ١:٥٠٠٠٠.

(٤) خريطة بوهدمة ١:٥٠٠٠٠.

(٥) خريطة المكناسي ١:٥٠٠٠٠.

إبراهيم" وتقابلها تسمية "المرافق"[1] من الجهة الشّرقية وخلصنا بذلك الى أنّها النّقطة الحدوديّة المعنيّة مرافق أولاد إبراهيم.

الشّكل رقم ٨: مرافق أولاد إبراهيم

- حْمِيلَةْ البَبُّوشْ: "١٣'٥٥,٥٥ °٣٤ شمالا و"٤١'٨٩,٥٥.°٩ شرقا.أرض منبسطة تقع جنوب "سبخة نوال" وهي ممتدة[2].يحدّها من الجهة الغربيّة "أولاد سيدي منصور" و"سبخة سيدي منصور"، ومن الجهة الجنوبيّة "بلاد أكحل الزّيت" وبقيّة المجال ضمن أحباس الولي منها سبخة نوال من الشّمال.

الشّكل رقم ٩: مجال حميلة الببّوش[3]

- الفِجِيجَاتْ: "٤'٨٤,٣١ °٣٤ شمالا، "٥١'١٨,٥٧ °٩ شرقا.الأرجح هي "الفجيج" التي تقع شمال قصر الفجاج وقريب من جبل الرّمانة (٥) وجبل الفجيج الذي يبقى شرقيّها وجنوب حميلة الببّوش[4].وتحتوي الخريطة على تسميات لمواقع تدلّ على الفجيجات منها قرعة الفجيج (١) وجبل الفجيج الكبير (٢) وجبل الفجيج الصغير (٣) وبرج/ قصر الفجيج (٤).

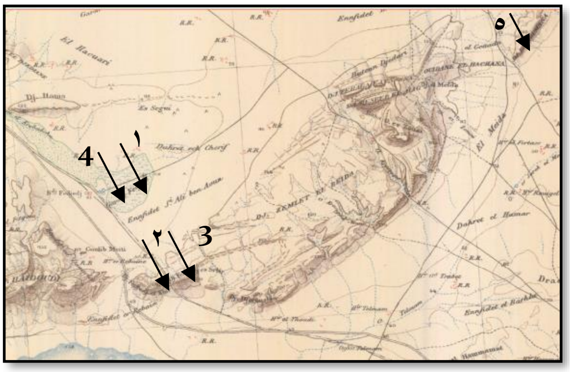

الشكل رقم ١٠: الفجيجات[5]

- جبَلْ الرُّمَّانَةْ: "34° 7'47.21 شمالا، "9°56'22.13 شرقا ويرتفع ١٦٦ متر، يقع

---

(١) جبل الميلوسي ١:٥٠٠٠٠.

(٢) خريطة شط سبخة النوال ١:٥٠٠٠٠.

(3) Feuille *Mehamla* ; LXVIII ; 1925 ; France.Service géographique de l'armée, ISBN : B24_068_1925a."Travaux de terrain de 1903 ; Tirage de Décembre 1925", Série : Tunisie, Topographie, 1:100 000, 1897-1961, 94 feuilles, Collection : Aix-en-Provence, Maison méditerranéenne des sciences de l'homme, MMSH - CTMD, CartoMundi.

(٤) فجوج النّعام أو الفجيج وردت في حجّة المهاذبة لسنة ١٣٠٤.

(5) Feuille *Mehamla* ; LXVIII ; 1925 ;

هذا الجبل جنوب- شرق منطقة "حميلة الببّوش"، وهو امتداد لـ"جبل الزّمالة" و"جبل فطناسة".

- حُمْرُ الذِّرَاعْ: "٣٤ ١'٤٧,٣٤° شمالا و"٩٥٨'٨٢,٥٣° شرقا، تم رصد تسميتين على مستوى "وذرف" في خريطة "المطويّة" وهما متقاربتان إحداها "**حمر وذرف**" والأخرى "**ذراع وذرف**" ممّا يعكس أنّ حمر الذّراع شمال معتمديّة وذرف.

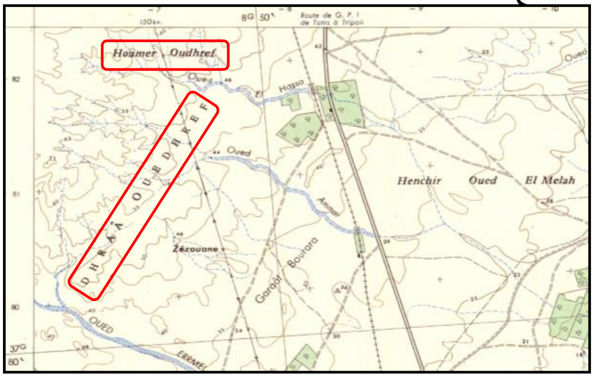

الشّكل رقم ١١: حمر الذّراع

- طَرْفُ المَاءْ: "34° 5'27.96 شمالا، °10 1'31.89" شرقا، تقع على مسافة أربعة كيلو مترات[1] جنوب "وادي العكاريت" وشمال "وادي المالح" و"حمر الذّراع بوذرف[2]، وتمثّل نقطة "**طَرْفُ المَاءْ**"[3] الحدّ الأقصى الجنوبي لحُبس مهذّب بن بلقاسم.

الصّورة رقم ٣: صورة جوّية لموقع طرف الماء الشّكل رقم ١٢: خريطة خليج قابس[4]

- الصّمَارْ: "34°11'9.87 شمالا، °10 0'25.14" شرقا، منطقة قريبة من البحر وتأكّدنا من خلال وثيقة أرشيف[5] بها شكاية أن "الصّمار" هي "الهيشة" اليوم حيث رسمت في الشّكاية "هيشة السّمار" ويؤكّد المشتكون أنّ هذه المنطقة تابعة لحبس

France.Service géographique de l'armée, ISBN : B24_068_1925a."Travaux de terrain de 1903 ; Tirage de Décembre 1925", Série: Tunisie, Topographie, 1:100 000, 1897-1961, 94 feuilles, Collection : Aix-en-Provence, Maison méditerranéenne des sciences de l'homme, MMSH - CTMD, CartoMundi.

(1) Servonnet et Lafitte, le golf de gabes en 1888, ecosud,2000, p186.

(٢) خريطة المطوية ١:٢٥٠٠٠ (SO)

(3) Despois (J.) , La Tunisie Orientale Sahel et Basse steppe, étude géographique, PUF,1955, p.466.

(4) Servonnet et Lafitte, *ibid*.

(٥) الأرشيف الوطني صندوق C-69-4، وثيقة ١٦٤ تعود الى سنة ١٣١٥ هـ/ ١٨٩٧م، تذكر هذه الوثيقة أرضا «بعين الرّشادة و منافع العكاريت (...) أنّ لنا أرضا مجاورة لها تُسمّى بهيشة السّمار بشطّ البحر» .

سيدي مهذّب.

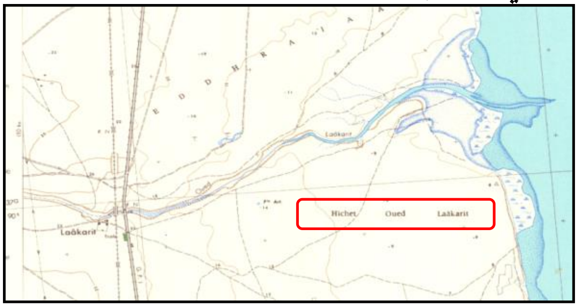

الشّكل رقم ١٣ : هيشة وادي العكاريت

- وَادْ العكَارِيتْ:"34° 7'26.40 شمالا، "10° 1'1.47 شرقا، وهي نقطة معروفة جدّا وتعدّ حدّا طبيعيّا بين مجال قابس وصفاقس متمثلة في وادي يصبّ في البحر(١).وينبع هذا الوادي من "جبل الفجيج"(٢) جنوب "جبل الرّمانة".

لم يكن امتداد مجال المهاذبة المُحبَّس من طرف "بو علام الشّريف" لابنه محمّد النّويقص ضئيلا وهو ما تؤكّده هذه الحدود فالمجال يتميّز بشساعته.وتكوّن مجال المهاذبة على حساب العديد من القبائل التي توجد بداخله من ذلك قبيلة نفّات وقبيلة فطناسة(٣).

والملاحظ أنّ مساحة الحُبُس تفوق بكثير ما قُدِّم من أرقام باعتبارها لم تشمل مجال "وذرف" في الجنوب ومسافة ٧ كلم داخل البحر ممتدّة من "طرف الماء" إلى "هنشير الصّيّاد"، "وادي المالح" جنوب المحرس.وعليه يبلغ محيط الحبس ٣٦٥ كلم وتكون المساحة قرابة ١٢,٠٢٥ كلم٢ باعتبار السِّباخ والوحدات التّضاريسيّة من الجهة الشّمالية والغربيّة أي ما يعادل 1202500 هكتار.

وعلى أساس هذه التّحديدات تبدو مساحة الوقف ضخمة تتجاوز ما قدّمه الأستاذ "الكرّاي القسنطيني"(٤) من أرقام، فالحدّ الجنوبي "طرف الماء" بوذرف وليس "وادي العكاريت"، ومن الشّمال جبل "خشم العرثومة" شمال "قصور الإخوة." ويكون جبل الخشم الحدّ الطّبيعي بين تراب "الجلاص" و"الهمامّة" وتراب "الحاج قاسم" و"المهاذبة".ومن الشّرق البحر

(١) خريطة المطويّة ١:٢٥٠٠٠ (NO) خريطة الصّخيرة ١:١٠٠٠٠٠، خريطة البلاد التّونسية: 200000: 1

(2) Guérin) V.), Voyage archéologique dans la Régence de Tunis / exécuté et publié par V.Guérin, 1862.p182.

(٣) قبيلة توجد على مستوى "خشم العرثومة" داخل مجال المهاذبة تعتبر نفسها من أحفاد مهذّب بن بلقاسم وما فتئت تستولي على أراضي الحُبس (أرض الرّويبطة مثال) أنظر صندوق C-69-4.

(٤) القسنطيني (الكراي) ، الأرياف المحلّية والرّأسمال الاستعماري: ظهير صفاقس ١٨٩٢- ١٩٢٩، منشورات كلّية الآداب منّوبة ١٩٩٢، ص.١٥١.

بمقدار "غميق" على مدّ البصر ومن الغرب تكون أقصى نقطة "مرافق أولاد إبراهيم". وتكون الجبال الغربية هي الحد الفاصل بين المهاذبة والهمامة وهي حدّ طبيعي.

مصداقيّة الوثيقة

يتطلّب التّعامل مع مثل هذه الوثائق الحذر في ظلّ غياب النّص الأصلي، ولا يمكن التّسليم بصحّة معطياتها التي تبقى بين اليقين والشّك. ومن جهة أولى لاحظنا أنّ هذا العقد يبدو أنّه يتوافق مع التّاريخ الذي أبرم فيه ٧١٧ ه/ ١٣١٧ م اعتمادا على توفّر وثيقة إنجرار ملكيّة مؤرّخة بأوائل محرّم من عام ٩٨٠ه/ ١٥٧٢ م و قد اطّلع عليها المؤرّخ أبو بكر عبد الكافي[1]. وخلال الفترة الحديثة شدّد البايات على ملكيّة المهاذبة وأقرّوا بصحّتها من خلال الأوامر العليّة لوكلاء الحُبس وأوّلها الأمر الصّادر عن علي باي بن حسين سنة ١١٩٤ ه/ ١٧٨٠ م[2]. بالمقابل، يثير النّص المنسوخ الشّكوك في مدى صحّة بعض المعطيات منها مصطلح **"المثاليث"** الذي لم يذكر مطلقا في أبرز المصادر التي تعود إلى القرن الرّابع عشر ميلادي. كما أنّ بعض الوثائق الأخرى تشير إلى أنّ السّلطان الحفصي هو من قام بإقطاع الوليّ مهذّب بن بلقاسم مجالا ضخما وهو عكس ما ورد في النّص الذي بين أيدينا.

II – العلاقة بين السّلطة والقبيلة والوليّ من خلال نصّ التّحبيس

موقف السلطة الحفصية من الصدقة.

أصبح وضع السّلطة الحفصيّة خلال النّصف الأوّل من القرن الثّامن عامّة، يشوبه الاضطراب والوهن وهي فترة بدأ فيها غزو أبي يحي أبي بكر لتونس من بجاية[3]. كما أنّ الوضع السّياسي يتلخّص في صراع الأمراء على السّلطة ممّا أدّى إلى ضعف الدّولة وانقسامها إلى السّلطة الحفصيّة الشّرقية (تونس) والسّلطة الحفصيّة الغربيّة (بجاية)

---

(١) عبد الكافي (أبوبكر) ، تاريخ صفاقس، الجزء الثّالث، رجال وأعلام، التّعاضدية العمّالية للطّباعة والنّشر، ص.٢٠٧.

(٢) بنبلغيث(الشّيباني) ، حبس سيدي مهذب بين المستحقّين والمعمّرين من الاحتلال إلى الاستقلال، دار الأمل للنّشر والتّوزيع، صفاقس عاصمة للثقافة العربيّة ٢٠١٦، ص.١٧.

(٣) الزّركشي(أبو عبد الله محمد بن إبراهيم) ، تاريخ الدّولتين الموحدية والحفصيّة، تحقيق محمّد ماضور، المكتبة العتيقة، تونس، ط.١٩٦٦، ص.٦٥.

وفي المقابل تقوّي شوكة القبائل، وأصبحت إفريقيّة غير آمنة، ونستدلّ على ذلك من خلال ما ذكره العبدري والزّركشي وابن خلدون وغيرهم من أشار إلى نفوذ الأعراب وتدخّل الموحّدين في الشّأن السّياسي لإفريقية. كما أنّ إفريقيّة تعرّضت إلى الغزو من طرف النّصارى الذين سيطروا على جربة[١]، حيث جهّز أبو يحي زكريّاء بن أحمد اللّحياني العساكر في سنة ٧٠٦ هجري لكنّه قاتل لمدّة شهرين ورحل عنها إلى قابس[٢].

و يصف العبدري الوضع الذي آلت إليه السّلطة الحفصيّة خلال نهاية القرن السّابع هجري بقوله **"وهي الآن دار مملكة إفريقيّة على ضعف المملكة بها وانتهائها إلى حدّ التّلاشي"**[٣]. وأمام هذا الاضطراب أصبح الوضع العام غير آمن واتّضح أنّ سلطة الحفصيّين خلال بداية القرن الثّامن لا تتعدّى حواضر تونس وبعض أعمالها وبجاية وقسنطينة وبعض المدن السّاحلية[٤]. وأشار الزّركشي إلى أنّ **"السّلطان أبا يحي زكرياء رأى اضطراب الأحوال وافتتان العربان وظهر له خروج الأمر من يده"**[٥]. ومن خلال النّص الذي بين أيدينا سعى أبو يحي زكرياء إلى إبراز حضور الدّولة من خلال افتكاك الصّدقة الموجّهة لمهذّب بن بلقاسم.

إذن نستخلص أنّ مجال المهاذبة من أراضي حرث وزيتون وكرم لم يكن إقطاعا سلطانيّا[٦] في أوّل الأمر بل تكليف بإدارة المجال ثم صدقة من طرف المثاليث ليتحوّل إلى حُبُس بعد مصادقة السّلطان الحفصي عليه، وهذه الصّدقة قام بتحبيسها الشّيخ مهذّب على ابنه محمّد النويقس بهدف ألّا تفتكّ منه مرّة أخرى في ظلّ سلطة ضعيفة تحاول جاهدة من خلال سلطانها الفارّ أو المتخلّي أبو زكرياء[٧]، لعدم قدرته مواجهة السّلطان أبي بكر القادم من الغرب، وعلى السّيطرة على

(١) حسن (محمّد) ، المدينة والبادية بإفريقيّة في العهد الحفصي، تونس ١٩٩٩، ج.I، ص.١٢٧-١٢٨.

(٢) نفس المرجع، ص.٥٦.

(٣) العبدري الحاحي (أبو عبد الله محمّد بن محمّد) ، رحلة العبدري، تحقيق محمّد الفاسي، الرّباط، ١٩٦٨، ص.٣٧.

(٤) العامري (نيلّي) ، الولاية والمجتمع الإفريقي في العهد الحفصي، مساهمة في التّاريخ الاجتماعي والدّيني بإفريقيّة في العصر الحفصي، دار الفارابي، بيروت - لبنان ط.٢، ٢٠٠٦، صص.٥٥ - ٥٨.

(٥) الزّركشي (أبو عبد الله محمّد بن إبراهيم) ، تاريخ الدّولتين، ص.٦٣.

(٦) حسن (محمّد) ، المدينة والبادية، ج.I، ص.١٢٨.

(٧) بن عبد العزيز (حمّودة) ، الكتاب الباشي، مخطوط 4954، ورقة رقم٧٢. وابن الشّماع (أبو عبد الله محمّد بن

الوضع أمام القبائل التي غلبت على إفريقيّة.

و أشار الأستاذ محمّد حسن إلى أنّ السّلطة المخزنيّة لم يعد لها القدرة على التّحكم في المجال وفي توزيع الأراضي **"حتى اكتسى الظّهير الذي تصدره في كثير من الأحيان صبغة شكليّة، الغاية منه الاعتراف بالأمر الواقع ومحاولة كسب القبائل التي استولت على الأرض"**(١).

سلطة قبيلة "المثاليث" من خلال التّصرف في مجالها

تتجلّى سلطة قبيلة المثاليث في تقديمهم مجالا هامّا للوليّ مهذّب بن بلقاسم، دون الرّجوع إلى السّلطان الحفصي أبو زكرياء، ممّا دفع بهذا الأخير إلى افتكاك الصّدقة ومنعها عن الشّيخ الوليّ حسب ما تشير إليه الوثيقة **"وقام على الشيخ المذكور بعد حوزه لذلك السيد الأكرم السّلطان زكريّاء سلطان مدينة تونس ونزع منه جميع ذلك وامتنع منها الشّيخ المذكور"**. ويبدو هذا التّصرف من خلال الصّدقة، شكل من أشكال المبدأ الإقصائي من طرف القبيلة للدّولة التي أصابها الوهن وأصبحت تتخبّط في صراعات الأمراء على السّلطة، ومع استغلال الشّيوخ الموحّدين من جهة والأعراب من جهة أخرى، الموقف في محاولة لتثبيت من يمثّلهم في السّلطة(٢).

والجدير بالذّكر أنّ أوضاع إفريقيّة تردّت كثيرا وشابها التّسلط القبلي، ويمكن أن نبرّر وبشكل حذر، تقديم الصّدقة من قبل المثاليث إلى الولي الشّيخ المزار، كما هو مضمّن في نصّ التّحبيس في إطار المحافظة على المجال الجنوبي للمثاليث و تأمينه من غارات وحوز القبائل الأخرى المتسلّطة.

سلطة الولي مهذّب بن بلقاسم وتأسيس مجال المهاذبة

مهذّب بن بلقاسم كما جاء في وثيقة التّحبيس شيخ يُعرف بأبي علاّم الشّريف وهو شيخٌ مزارٌ وذو بركة وكرامات، وله زاوية(٣) بمجال المثاليث إزاء قابس على مستوى الصّخيرة اليوم.

وبناء على ما ورد في وثيقة موجودة بالمقام وهي نسخة من أصل شجرة نسب تعود إلى

أحمد) ، الأدلّة البيّنة النّورانيّة في مفاخر الدّولة الحفصيّة، تحقيق الطّاهر المعموري، تونس.١٩٨٤، ص.٨٦.

(١) حسن(محمّد) ، المرجع السابق، ج.١، ص.٣٢٦.

(٢) حسن(محمّد) ، المرجع نفسه، ص.٥٥.

(3) Société de géographie (France) Bulletin de la Société de géographie (Paris) 1877/07-1877/12, sixième série, Tome XIV, p267.

أواسط القرن التّاسع للهجرة مؤرّخة في رجب الفرد عام ثمانية وأربعين وثمانمائة 848 ه/ ١٤٤٤م أي بعد عقد التّحبيس بمائة وسبعة وثلاثين عاما، مختومة من طرف القاضي **"بمدينة تونس وفقير ربّه سيدي أحمد الشّريف (ففيها المدة الأشراف بمحروسة تونس...ويمناه طابعه ويمنى ذلك..) وسيدي محمّد الشّريف المختار من الأشراف بتونس وبه طابعه المفتي الحمد لله أن صحّة مضمون النّسب الكريم"**(١). وكتبت بالخطّ المغربي، وهي ترجع نسب الشّيخ إلى الأدارسة ومنها إلى بيت آل الرّسول فاطمة، وننقل باقتضاب ما جاء في الوثيقة من نسب مهذب بن بلقاسم وهو من الأشراف: "مهذّب بن بلقاسم بن أحمد بن هذيب بن أحمد بن مبروك بن علي بن سالم بن محمد بن محمد بن إبراهيم بن مسعود بن علي بن يحي بن أحمد بن محمّد بن علي بن حمزة بن عمر بن خالد بن علي بن محمد بن سليم بن إبراهيم بن علي بن يحي بن مبارك بن أحمد بن محمد بن عبد الله بن سالم بن محمد بن علي بن عيسى بن إدريس بن إدريس بن عبد الله بن محمّد بن علي بن عبد الله بن الحسن بن فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلّم"(٢).

وانطلاقا من مصطلح الشّريف وما قدّمته وثيقة شجرة النّسب وما تعرفه الرّواية الشّفوية رغم تضاربها، فهو ينسب إلى المغرب من السّاقية الحمراء وهي منطلق كل الأولياء الصالحين بإفريقيّة خاصة في العصر الوسيط المتأخّر.

ويشير الأستاذ محمّد حسن(٣) إلى أنّ أهمّ القوى الاجتماعية في العهد الحفصي (ق ٨ هـ) تنحصر في السّلطة المخزنيّة ومشائخ الأعراب ومشائخ الزّوايا، هذا العنصر الأخير يرتبط تطوّره بفترات الأزمة، وهو ما ينطبق على موضوع دراستنا. وقد أفاد برانشفيك بأنّ الطّرق الصّوفية كان يُقرأ لها حساب اجتماعيّا وسياسيّا(٤) ويصبح الوليّ بذلك الموفّق بين السّلطة والقبيلة. وتشير وثيقة الحُبس إلى أنّ الشّيخ مهذّب بن بلقاسم شيخ مزار له كرامات عاينها السّلطان الحفصي وهو الأمر

---

(١) انظر الملاحق، وثيقة شجرة النسب ملحق ٠٣.

(٢) الخالدي (عبد السلام العمراني)، الجواهر الباهرة في النّسب الشّريف وما تفرّع من آدم إلى أزمنتنا الحاضرة، دار الكتب العلميّة ٢٠٠٩. ص. ٢٦٠. أنظر العيّاشي (المريني)، الفهرس في عمود نسب الأدارسة، مؤسّسة التّغليف للطّباعة والنّشر والتّوزيع، ط. ١٩٨٦، ١.

(٣) حسن (محمّد)، المرجع السابق، ج. ٢، ص. ٦٥٤.

(٤) برانشفيك (روبار)، تاريخ إفريقيّة في العهد الحفصي من القرن ١٣ إلى نهاية القرن ١٥، نقله إلى العربيّة حمّادي السّاحلي، ج. ١، ج. I، ص. ٣٥٣.

الذي جعله يعيد إليه الصّدقة.

هذه الكرامات تعكس هالة التّقديس والسّلطة لدى الوليّ ومن خلالها تكون له القدرة على تأسيس مجال يتّصف بالتّحريم(1) يورث للأبناء والأحفاد، ويصبح غير خاضع للسّلطة ولتسلّط القبائل، وهو أمر جليّ من خلال ما ورد في العقد بقوله: **"أشهد الشّيخ المذكور على نفسه أنّه حبّس جميع الأملاك المذكورة كلّها أرضا للحرث وشجرا زيتونا وكرما وغيرهما على ابنه وصلبه السّيد محمّد بن السّيد مهذّب المذكور وعلى بنيه وبني بنيه وأبنائهم وبني أبنائهم ما تناسلوا في الإسلام طبقة بعد طبقة وجيلا بعد جيل وعلى أعقابهم وأعقاب أعقابهم ما تناسلوا وامتدّت فروعهم في الإسلام حبسا مؤبّدا حرّا مسرمدا ووقفا حراما لا يباع ولا يوهب ولا يورث"**(2).وبفضل الحرمة التي كان يسندها الضّمير الشّعبي إلى الزّوايا تستكمل الحماية(3).وعليه كان من الضّروري على السّلطان التّصالح مع الولي باعتباره قيمة روحيّة وحامية في نفس الوقت(4).كما نشير إلى أنّ الولي بوعلاّم الشّريف استوطن بأهم مسلك في إفريقيّة يربط بين القيروان وقابس وهو طريق الأعراض.إلاّ أنّ هذا الحُبس أصبح في الفترات اللاّحقة محلّ صراع بين القبائل.

الفصل الثّاني: حُبس محمّد النويقس محلّ صراع بين المهاذبة والعروش الأخرى خلال فترة الحماية.

تحظى وثيقة نصّ حُبس محمّد النّويقس بن مهذّب بن بلقاسم بأهمّية كبرى نظرا لشساعة مجاله، الذي يعتبر الأكثر تشعّبا واستمرارا في قضايا الأحباس بالبلاد التونسية، خلال فترة الحماية.ويرجع انشغال أطراف عدّة من الحكومة والقيّاد والعروش بهذا الحبس في تلك الفترة إلى خصائصه الفريدة التي أدّت إلى توتّر العلاقة بين أحفاد الولي الذين يشكّلون عرش المهاذبة وغيرهم من عروش الجوار والدّولة.ونتج عن هذا الوضع نزاعات قبليّة وقضايا مختلفة، احتوتها وثائق أرشيفيّة جُمعت في ملف ضخم، وتوثّق لأحداث زمنيّة عاشتها البلاد التّونسيّة ما بين نهاية

(1) سعيد (محمّد)، "المجال الأوليائي ضريح سيدي محرز نموذجا".أشغال الملتقى الدّولي الثّاني حول القبيلة – المدينة– المجال في العالم الإسلامي.تونس ١٠-١٢ أفريل ٢٠٠٣ ص.٢٧٧.

(3) برانشفيك، المرجع نفسه، ج.I، ص.٣٥٤.

(4) نفس المرجع، ص.٣٥٦.

القرن التّاسع عشر وبداية القرن العشرين في إحدى مناطقها التي سبق وحدّدنا مجالها. وبالنّظر في تلك الوثائق تثار إشكاليّات كبرى يمكن الاشتغال عليها من زوايا مختلفة، بسبب التّداخل فيها بين الدّيني العقائديّ، والاجتماعي، والاقتصادي، وحتّى السياسيّ.

ولّدت كثرة نزول العروش المجاورة بمجال المهاذبة في فترات الخريف لسنين عدّة، الاعتقاد لديها بحقّ تملّك الأرض والبناء على أراضي مختلفة من الجنوب والغرب، فتنوّعت مطالبها وادّعاءاتها وشكاياتها ومشاكلها، إلى حد وصولها للعراك وسفك الدّماء. ويمكن في نظرنا الجزم، بأن هذه المعطيات، شكلت مادّة مصدريّة مهمة وثريّة، خوّلت لنا الكتابة عن الصّراع حول التّعمير والنّسب والملكيّة. وقد عمّقنا بحثنا بالاستناد إلى الوثائق المتنوّعة، بما فيها المراسلات الإداريّة، ومراسلات الأهالي، الّتي حملت في طيّاتها خاصّيات أراضي العروش، وأساليب عيشهم وتعاملهم. وسيقودنا هذا العمل إلى دراسة موضوع السّلطة والقبيلة والمجال، وبعض المسائل التي تعكس الصّدام بينها، وما يتعلق بالصّور الحياتيّة للعروش التي تأرجحت بين القطيعة والتّداخل النّاتجين عن غياب النصّ الأصلي واختلاف الرّوايات والشّهادات، وهو ما ترتّب عنه التّغيير في الحدود الكبرى للحُبس، وكثرة الأطماع والنّزاعات بين العروش حول الأراضي، وبلوغ حد ادّعاء الانتساب للوليّ من قِبل أطراف عدّة، بُغية الانتماء للأرض واستحقاق ملكيّتها.

وحتّى تكون دراستنا للموضوع وافية، فقد ارتأينا تقسيم هذا الفصل إلى ثلاثة عناصر متكاملة، وهي كالتّالي:

- تبعات غياب النصّ الأصلي لعدّة عقود بديلة
- مواقف العروش داخل الحُبُس
- نحو تفتيت الحُبُس

تبعات غياب النّص الأصلي لعدّة عقود بديلة

كنّا قد عرضنا في بداية هذا العمل، النّسخة الأولى من رسم الحُبس قيد الدّراسة. وانطلاقا من توسّعنا في البحث حول النّسخ الأخرى الّتي وجدناها في ملف الأرشيف، سنؤيّد أو ننفي ما جاء في النّسخة الأولى للرّسم، وسنتحقق من الوثائق المختلفة الّتي تطرّقت للمجال بتعيين حدود مختلفة لأراضي المهاذبة.

تعدّدت النّصوص الّتي تمحورت حول موضوع النّصّ الحُبُسي، واختلفت باختلاف تاريخها ومدى صدق سندها ومتنها. وقد شدّتنا من بينها وثيقتان مهمّتان، كتبت الأولى

وهي حجة، في شعبان ١٣٠٤هـ/ ١٨٨٦م[1]، وكتبت الثّانية وهي رسم حُبس في ربيع الثّاني ١٣١٢هـ/ ١٨٩٤م[2]. وتباعدت الوثيقتان في تاريخ كتابتهما بحوالي ثماني سنوات. وبالتّحقيق في كلا النّصّين، وجدنا أنّ ما أتت به الوثيقة الثّانية ينطبق تماما مع نصّ النّسخة الأولى، وفيما يلي محاولة لدراسة كلتا النّسختين ومقارنتهما مع نصّ النّسخة الأولى من رسم الحبس.

الوثيقة الأولى هي حجّة للمهاذبة لإثبات ملكيّة وقف، وشهادة لهنشير بودران[3]، كتبت في ١٩ سطر مع حاشية من الجهة اليمنى في ستّة أسطر مؤرّخة في شعبان ١٣٠٤ للهجرة، وتتضمّن أنّ:

"شهودها ٣١٩ يشهدون بمعرفتهم الهنشير الكاين بعمل المهاذبة والمكان المشتهر بودران الكاين بوسطه ويحده قبلة شاطئ البحر وشرقا وادي الطرفاوي وزيتون الشعال وحمايد باطه بين زيتون سيدي مهذب وزيتون الحاج قاسم وتراب جلاص كل بطائفه وجوفا خشم العرثومة وغربا جبل الحفي وفجوج النعام وسمارة وادي العكاريت المتصل بالبحر ويشهدون بأنهم منذ عقلوا يسمعون سماعا باشيا بأن جميع الهنشير المذكور وقف من اوقاف الشيخ سيدي مهذب الكاين ضريحه بالجهة القبلية الغربية ويعلمون بأنه يحاز بحوز الأحباس والأجنة التي به تتصرف فيها المهاذبة ولا يعلمون خروجه عن حوزهم ولا نازعهم أحد إلى أن بلغهم في العام الفارط أن جماعة من نفات نازعوهم في قطعة منه.

كما يوجد بمعروض نازلة إدارة المال مع المهاذبة في شأن برج يونقة أن الشيخ محمّد الدّبار شيخ الزاوية قدّم نسخة من نسخه ورسم صدقة في محل الحاجة منها.

هذه نسخة تراب الشيخ الولي الصالح المزار المتبرك به الشيخ سيدي مهذب نفعنا الله به وبأمثاله أين أصدق عليه السلطان الزكي أبو يحي زكريا الحفصي صاحب ولاية تونس وآل حسين من ملاكة الأرض وهم مراح وبطاح وعلي ومعلا ويحد الأرض المذكورة وادي المالحة وباطن سحاق وبياض وادي الرمل ومقسم البقر وقصور الأخوة تارع البطُّوم وجبل الدوارة والطلح ومراقب بورزواق ويحدها جبل الحفي وذراع الببوش

(١) الأرشيف الوطني، سلسلة س ملف عدد ٦٤-٤، رقم ١.

(٢) أ.و.ت، سلسلة س، م ٦٤-٤، رقم ٢٥٠.

(٣) موقع وادران شرق زاوية محمد النويقس.

وشعاب الجراد وفجوج النعام وجبل الرمانة وسمارة العكاريت ويحد ما ذكر من الشرق البحر العميق هذا ما تصدق به المتصدقين على الشيخ المذكور جميع الأرض المذكورة بحدودها كلّها وعامة منابعها صدقة صحيحة تامة بته صرفوا ذلك عن ملكهم وأبانوه عن كسبهم وجعلوه ملكا خالصا للشيخ المذكور وحقا من حقوقه وكسبا من كسبهم وأذنوه في القبول منهم والحوز عنهم فحضر الشيخ المذكور فقبل منهم ذلك و حاز عنهم حوزا ظاهر بالمعاينة ---------وصدر الإذن العلي بإبقاء النسخة المذكورة بالوزارة لحد قام فيها من الريبة".

ذكرت هذه الحجّة في الفقرة الأولى حدود وقف هنشير ودران الكائن بعمل المهاذبة، وهو تابع لحبس جدّهم.ثمّ في الفقرة الثّانية تم ذكر نصّ الحبسيّة وحدود المجال المصّدق به على الوليّ، وهو ما يُعدُّ تأكيدا لما أتى في الفقرة الأولى من انتماء الأرض المعنيّة لحبس الولي مهذب بن بلقاسم ولا حقّ لغيرهم فيها.إلاّ أنّ هذا النّص يختلف مع النّسخة الأولى لرسم الحُبُس، ومع النّسخة من نسخة من نسخة من رسم الحبس والّتي سنقدّمها[1] ونقارن فيما بينهما.

عرضت هذه الحجّة في الفقرة الثّانية نسخة من نسخة تراب الشّيخ مهذّب كاستدلال على ما جاء في الفقرة الأولى وأثبتت انتماء الأرض المعنيّة لحبس جدّهم ولا حقّ لغيرهم فيها، إلاّ أنّ هذه الوثيقة تختلف مع ما جاء في النّسخة الأولى وأيضا الوثيقة الثّانية وهي النّسخة الثّالثة من الرّسم.

ذكرت الوثيقة الأولى أنّ السّلطان الحفصي أخذ من الإخوة مراح وبطاح وعليّ ومعلّى الأرض وأصدقها على الوليّ الصّالح، وذكرت الوثيقة الثّانية أنّ السّلطان زكريّاء افتكّ من الشيخ مهذّب الصّدقة الّتي قدّمها له الإخوة المثاليث ثمّ أعادها له لمّا رأى من كراماته ما يقدّر.كما أنّه في الأولى كان عدد هؤلاء المصدّقين أربعة أمّا في الثّانية فكان عددهم خمسة وهم عليّ ومعلى ومراح وبطاح وأحمد، وبالتّالي هناك نقص في أسماء المتصدقين، فضلا عن تغير أسماء الحدود المذكورة.وفيما يلي جدول توضيحي نقارن فيه ذكر تسلسل أسماء المناطق واختلافها أحيانا.

(١) تمّ إدراج الوثيقة في الملحق نظرا لتطابقها مع النّسخة الأولى التي سبق وقدّمناها في بداية هذا العمل.

حدود رسم الحبس	حدود حجة المهاذبة
قبلة غميق البحر وهنشير الصّياد وعرق المعرض إلى وادي الطّرفاوي إلى بياض الرّمل إلى هنشير الكبير إلى مقسم البقر إلى خشم العرثومة إلى الطّلح إلى الدّووارة إلى مرافق أولاد ابراهيم إلى حميلة الببّوش إلى الفجيجات إلى جبل الدّهان إلى حمر الذّراع إلى طرف الماء إلى الصّمار إلى واد العكاريت.	ويحدّ الأرض المذكورة وادي المالحة وباطن سحاق وبياض وادي الرّمل ومقسم البقر وقصور الأخوة تارع البطوم وجبل الدّوارة والطّلح ومراقب بورزواق ويحدها جبل الحفي وذراع الببّوش وشعاب الجراد وفجوج النّعام وجبل الرّمانة وسمارة العكاريت ويحدّ ما ذكر من الشّرق البحر العميق.

لو عدنا للسّطر الأوّل من الحجّة الأولى لوجدناه يستشهد بشهود عددهم ٣١٩ لا نجد لهم أثر توقيع واحد في الوثيقة. أمّا النّصّ الثّاني فهو نسخة من نسخة من نسخة من رسم حبس رسمي من خلال فتوتين تشهدان بصحّته، مع وجود طوابع ختم كلّ من النّائب الشّرعي بقابس، والشّيخ القاضي بتوزر وعملها، والشّيخ المفتي الصّفاقسي محمّد بن أحمد. والشيء الأهمّ أنّ هذه الحجّة وعلى عكس نسختي الرّسم لم تذكر تاريخ رسم الحبس الذّي يعود إلى أوائل شهر رمضان من عام سبعة عشر بعد مضيّ السّبعمائة بعد الهجرة الموافق لـ ١٣١٧ م.

ونستنتج من المقارنة السّابقة لكلتا الوثيقتين مع النّسخة الأولى من رسم الحبس، أنّ الوثيقة الّتي كتبت بتاريخ ربيع الثّاني سنة ١٣١٤ للهجرة هي منقولة عن النّسخة الأولى التي كتبت بتاريخ ١٥ رجب الفرد عام ١٣٠٨ هجري وذلك وفق شهود نقلوا ذلك، وهو ما ذكر بالحرف الواحد في السّطر ٢٦ و٢٧ من الوثيقة الثّانية الّتي قدّمناها: **"هذه نسخة ذلك كذلك فمن قابلها لأصلها وجدها حرف بحرف نصّا سوا وذلك بين اليوم الخامس عشر من رجب الفرد عام ثمانية وثلاثمائة وألف"**. أمّا الحجّة فما هي إلاّ وثيقة مسخّرة حسب حاجة الأطراف المعنيين بتغيير النّص الحُبُسي كما يتماشى مع مصالحهم الشّخصية للاحتجاج بها أمام الدّولة، وهو ما دفع لإعادة نسخ نصّ الحُبُس تصحيحا لما

ذكر في الحجة التي كتبها الطّامعون في الأرض لافتقادهم العقد الذي يثبت ملكيّتهم وحوزهم للأرض.

ونستخلص أنّ اختلاف الوثائق، وكثرة الكتابات في فترة معينة من تاريخ افريقية في ظل غياب العقد الأصلي لرسم الحُبُس، أدّى إلى تأويلات عدّة، تسير حسب المصالح الخاصّة، وهو ما نتج عنه تدخّل القبائل المجاورة في المجال على حساب المهاذبة. وستتعرّض لهذا الموضوع في العنصر الثّاني، من خلال الشكاوى، والرّسائل العديدة المتعلقة بالملكيّة والنّسب لأراضي الهنشير و صاحبه، وكثرة الأطماع والنّزاعات بين العروش حول حدود حبس سيدي مهذّب.

مواقف العروش داخل الحبس

قسّمنا هذه المواقف والنّزاعات إلى مجموعات حسب جهة الشّكوى، حيث دقّقنا النّظر في ملفّات الأرشيف الوطني، ولاحظنا وجود طائفة من جهة الجنوب وهم أهالي المطويّة من وطن قابس، وأيضا أولاد عبد الله ونفّات، ثمّ من جهة الغرب أهالي فطناسة من عمل الهمامّة، وهم القفاصة الظّهارة. ومنه سوف نقوم بعرض بعض الأمثلة، التي سندرجها في الملحق، لشكاوى المهاذبة والمتدخّلين في مجال حبس سيدي مهذّب من دعاوي الانتساب للولي الصّالح وحقوق ملكيّتهم للأرض، وندرسها كلّا على حدة.

قضية الانتساب للولي الصّالح بو علاّم الشريف أولاد أبو عبد الله

جاء في مكتوب من المراقب المدني بصفاقس إلى الجناب المكلّف بالسّفارة[1] يخبره فيه: **"أنّ أولاد بو عبد الله من قابس ادّعوا منذ سنين أنّهم أحفاد سيدي مهذّب، وحاولوا أخذ إدارة أملاك الزّاوية الّتي هي الآن بيد مقدّم سميّ بأمر عليّ، وبأيديهم رسوم ادّعوا أنّها مثبتة لدعواهم، وكيفما كانت صحّة هاته الرّسوم فلا يذكر أنّ خصماء أولاد عبد عبد[2] الله الجدّارة بإيديهم حوز أحباس الزّاوية. كما أنّ هنشير سيدي مهذّب هو في تصرّف المهاذبة ونفّات"**. وقصد أولاد بو عبد الله السّيّد برّي للتدخّل في نازلتهم وفصلها عن قريب، واتفقوا معه أن يرهن عنده الهنشير، وهذا الاتفاق مقرّر.

وقد جاء هذا المكتوب على هيئة مسودّة، إلاّ

(١) الأرشيف الوطني، س.س، رقم: ٣٩، م: ٦٩/ ٤ وثيقة بدون تاريخ على هيئة مسودّة.

(٢) هكذا كتبت في الوثيقة (بتكرار كلمة عبد)

أنّ نصّه مهمّ، وفيه طرح لقضيّة ادّعاء انتساب أولاد بو عبد الله من عمل قابس إلى الوليّ مهذّب، متظاهرين في ذلك بحجج رسوم ادّعوا أنّها صحيحة، يبغون من خلالها الأخذ بكلّ أملاك الزّاوية والتّحكّم فيها، وتعاونوا في ذلك بالاتّفاق مع المستعمر الفرنسي، حتّى يقوم برهن الهنشير لهم، ويتسنّى لهم ما سعوا إليه. وفي وثيقة أخرى[1] بتاريخ ٢٢ شوّال سنة ١٣١٤ه الموافق ل ٢٥ مارس سنة ١٨٩٧، بعث هؤلاء بمكتوب إلى الوزير المقيم بتونس، عرضوا فيه ما كانوا أرسلوه في مكتوب سابق مؤرّخ في ٢٣ شعبان من نفس السّنة، عرّفوا فيه بأنفسهم وبنسلهم المقرون بأحفاد الشّيخ سيدي مهذّب محتجّين في ذلك بامتلاكهم لشجرة نسب موصلة إلى جدّهم المذكور، وحبس الهنشير أيضا، ووصفوا فيه ضعف حالهم وعدم قدرتهم على دفع المال للوكيل الشّيخ محمّد بن أحمد[2] في شأن الهنشير، وقد وعدهم بلقائهم ثمّ تخلّف عن الموعد ولم يحضر، فقاموا برفع شكوى إلى المجلس الشّرعي بصفاقس، إلاّ أنّ ذلك لم يأتي بنتيجة لأنّ التّعامل معه يتطلّب دفع نقود، فوكّلوا عليه وكيلا يسمّى بن قراد ليدفع له، بيد أنّه هو الآخر تآمر معه وتواطأ له، ممّا جعل أولاد بو عبد الله يجتمعون مع المستعمر الفرنسي "مسيو برّي" ويقدّمون له ١٢ حجّة بخطّ اليد. ولمّا سمع خصماؤهم من أمثال الحاج محمّد وإخوته أغروه بدفع ١٨٠٠٠ فرنك مقابل أن يسلّمهم تلك الحجج. ولم ييأس أولاد بو عبد الله من محاولة إقناع الوزير ورفع مطلبهم إليه حتّى يستردّوا حججهم ويأخذوا حقّهم من خصمائهم.

وعليه أتى الرّد وصار الصّلح وسقطت الدّعوى عن المهاذبة الذين أخذوا على عاتقهم الدّين المالي للسّيّد بيري الذي سلّمهم حجج أولاد عبد الله، إذ حاولوا بها الدّعاء عليهم وأخذ هنشير الزّاوية من يدهم[3].

أهالي المطويّة

تعدّدت الوثائق التّي تناولت سير أحداث قضيّة "المطاوة" مع المهاذبة ونفّات بخصوص أرض "الرّويبطة" بودران وادّعاءات انتسابهم إلى الشّيخ سيدي مهذّب، وأهمّها خمس وثائق دوّنت كلّها في سنة

(١) المرجع السابق، س.س، رقم: ١١٠، م: ٦٩/ ٤ بتاريخ ٢٥ مارس ١٨٩٧.

(٢) التعريف به من خلال العودة إلى الوثيقة

(٣) الأرشيف الوطني، س.س، رقم: ٥٤، م: ٦٩/ ٤ بدون تاريخ.

١٩٠٤م/ ١٣٢٢هـ. بدأت تلك الوثائق بشكوى من المدّعي الشّيخ "الفيتوري بن خليفة بن علي بن حسين" شيخ بلد المطويّة من عمل الأعراض في حقّه وحقّ أهل بلده(١) إلى العمدة أحمد بن أبي الضّياف رئيس المجلس العدلي بصفاقس، وتلتها شكوى "لعليّ النّفطي بن منصور" و"محمود بن الجمني بن جراد" موقّعة من طرف ١٣٠ نفرا(٢) وآخرون، كلّهم يشهدون بانتسابهم للوليّ الصّالح، وبحقّهم في امتلاك الأرض المذكورة، وقد حدّدوها ووصفوها في أغلب الوثائق، وجاء ذكرها كالتّالي: **"جميع الهنشير المعروف بالرّويبطة بودران من عمل الصّخيرة من مشمولات هنشير سيدي مهذّب يحدّه قبلة هنشير بودرنّة وعقلة الزّيتونة وبعدهما النّفيضة وشرقا شرب عالي وبعده قرعات البكّ وجوفا السّماعلة وشوكات وغربا هنشير أحمد بن يوسف وبعده شبكة النّويقص"**. وجاء مطلبهم في أنّ **"جميع الهنشير المذكور أوّلا هو في حوز وتصرّف أهالي بلد المطويّة من عمل الأعراض بالحراثة والزّراعة منذ مدّة مديدة وسنين عديدة تزيد على الأربعين سنة فارطة ينسبوها لأنفسهم ونسبها النّاس إليهم من غير معارض لهم في حوزهم لها المدّة المذكورة ولا زال في حوزهم وتصرّفهم إلى الآن وحتّى الآن"**. وجاء هذا المكتوب مختوما من طرف المكلّف بالأعراض وبواسطة المكرّم الفتاوي بن مصطفى القابسي الجاري.

وتبعا لذلك، طلب رئيس المجلس العدلي بصفاقس أحمد بن أبي الضّياف في رسالة إلى مدير الأقسام العدليّة بالحكومة التّونسية، الذي كتب بدوره إلى جناب المراقب المدني بصفاقس للإستفسار والإبداء برأيه في خصوص هذه النّازلة الحوزيّة، وذلك نظرا لأهمّيتها(٣)، بيد أنّ ذلك لم يؤت جدواه. وعلى غراره بعث الوزير محمّد العزيز بوعتّور بمكتوب عدد ١١٤٨٢ مؤرّخ في ٢٧ شعبان سنة ١٣٢٢ الموافق لـ٥ نوفمبر سنة ١٩٠٤(٤) يطالب فيه بمعرفة سبب منع أهالي نفّات والمهاذبة لـ"المطاوة" من التّصرف في الأرض المذكورة وهل أنّها تابعة لوقف هنشير الشّيخ سيدي مهذّب أم خارجة عنه؟ وإذا كانت تابعة له فما موجب تصرّف أهل

---

(١) المرجع نفسه، س.س، رقم: ١٩٦، م: ٦٩/ ٤ بتاريخ ٢٠ فيفري سنة ١٩٠٤.

(٢) المرجع نفسه، رقم: ١٩٩ بتاريخ ٢٩ فيفري ١٩٠٤.

(٣) الأرشيف الوطني، رقم: ٢٠٨ بتاريخ ٢٨ أفريل سنة ١٩٠٤.

(٤) المرجع نفسه، رقم: ٢١٠ بتاريخ ٥ نوفمبر ١٩٠٤.

المطويّة فيها، و هل يؤدّون المعاليم اللاّزمة للاستخلاص عن الفلاّحة؟

أتى الجواب في مكتوب من عامل الصّخيرة عمر بن صالح بن خليفة في ٤ رمضان وفي ١٢ نوفمبر سنة ١٣٢٢ه-١٩٠٤م، جاء فيه: **"والجواب سيّدي حفظكم الله في كون أرض الرّويبطة المذكورة فهي بوسط الهنشير المذكور في شأن ما زعموه أهل المطويّة من الحوز والتّصرّف هو أنّ هؤلاء أهل البلد كانوا مع المهاذبة من قديم الزّمان بالمعرفة لبعضهم بالمصاحبة والمخالطة وعندما يقع الحرث بهنشير سيدي مهذّب ويقدمون أناسا من أهل البلد المذكور بقصد الحرث...وقد استمرّ حرثهم عدّة أعوام بالرّويبطة بجوار المهاذبة...وفي هاته الأعوام الأخيرة امتازت عروش المهاذبة به كلّ مشيخة بتراب بأرض الهنشير المذكور للحرث والمرعى فصارت الرّويبطة بيد مشيخة أولاد الحاج موسى شاملة على عرشي أولاد الشيخ وأولاد الكيلاني من المهاذبة وأحدثوا بها خدمة أرض وغراسة أشجار و لذا منعوا أهل المطويّة بدعوى حبس جدّهم وأرضهم هذا نتيجة الأمر"**[1].

وبالتّالي أُثبت الحقّ للمهاذبة في الهنشير المذكور، حيث إنّهم المتصرّفون فيه والحائزون له منذ زمن بعيد كما جاء في رسم الحبس، وأن ليس للمدّعين "المطاوة" أدنى حقّ فيه.

النّزاع بين العروش وادّعاءات الملكيّة في حبس سيدي مهذّب

أ- عرش نفّات وأراضي مختلفة من الحبس

تواصلت الخلافات بين أهالي عرش نفّات وأهالي عرش المهاذبة حول أراضي حبس سيدي مهذّب سنين طويلة متواصلة ومتقطّعة، وذلك على الرّغم من أنّ كلتى المجموعتين كانتا تقفان صفّا واحدا ضدّ بقيّة العروش.ونقرأ في مكتوب من أحفاد زاوية سيدي مهذّب من المهاذبة إلى السّيد الكاتب العام بالمملكة التّونسية[2] بتاريخ ١١ جويلية ١٩٠١ عن شكوى تذكر أنّ: **"...قد مسّنا منهم الضرّ الأكبر سابقا بالمشاغبة والتّضييق ما الله به عليم وعندما قدم السّيد المراقب المدني بصفاقس مصحوبا بأمين و نائب جمعية البلد المذكور لعين الأرض المذكورة وطاف بها وفصل الأمر على نحو ما قرر...حيث تسبب لنا في ربح أبداننا وفي أملنا بعد ما ذكر تنقص علينا مادّة الخصام والنّزاع**

(١) المرجع نفسه، رقم: ٢١١ بتاريخ ١٢ نوفمبر ١٩٠٤.

(٢) المرجع نفسه، رقم: ٢١٥ بتاريخ ١١ جويلية ١٩٠١

وجميع المشاغبة بأسرها فرأينا الآن بكلّ أسف ما يكدّر معيشتنا ويحيّر راحتنا ويرجع بنا إلى الخصام مثل ما كنّا سابقا وزيادة وسببه هو أنّ السيد عمر بن خليفة عاملنا بالمكان وإخوته عمد إلى رأس المكان المعروف بالرّويبطة الذّي هو محلّ استطاننا وأعزّ مزارعنا من قديم الزّمان ومع أنّه كائن قبلة السّكة الحديدية...زيادة عن ملكيّتنا له بالحبسيّة من جدّنا المذكور وشرع العامل المذكور حفر آبار وتعليم الأرض لغراسة الزّيتون وكما أنّه يحرّض عروش إخوته نفات بمباشرة ما ذكر مثل قبلة السكة الحديدية المذكورة في ترابنا ومزارعنا ومراعي حيواننا وقد ضيّقوا علينا في مياهنا...على هذا رفعنا أمرنا إلى سامي جنابكم طالبين من حسن عدالتكم رفع يد العامل عمّا باشره بأرضنا ونهي عرش نفّات عن ذلك ونهيهم عن أرضنا ومياهنا الّتي هي قبلة السّكة المذكور إذ أنّ الأماكن المذكورة ملك من أملاكنا وفي حوزنا وتصرّفنا من قديم الزّمان".

هذا وقد جاء في مكتوب وزيري لرئيس جمعيّة الأوقاف في ١٩ ذي القعدة وفي ٢٤ ديسمبر سنة ١٣٢٥هـ-١٩٠٧م[١]،عرض فيه الأمر عدد ٧٩٦٨ المؤرّخ في ٢٥ المحرّم سنة ١٣٠٨هـ الموافق لسنة ١٨٩٠م الصّادر على طريق القسم المدني، والّذي يعطي فيه لأهل نفّات حق النّزول في الهنشير والحرث فيه على العادة.إلاّ أنّ أهالي عرش نفّات تصرّفوا في هنشير الزّاوية و قاموا بإحداث عدد من الأبنية وغر سوا هنادي كثيرة من غير ا ستئذان ولا أداء العوض، حيث أنّ حقّ نزولهم في الأرض، الّذي صدر لهم لا يخوّلهم البناء أو الغراسة...ومنه طلب إحصاء البناءات والهنادي وبيانها كلّها في جريدة مع المبلغ المناسب توظيفه على البناءات في كلّ سنة والمطالبة بنصف قيمة غلّة الهنادي للوقف.

خلال سنة ١٣٣١هـ- ١٩١٣م أرسل كلّ من مشيخة أولاد حامد ومشيخة الرّبايع وكافة مشيخة الكراتة والكرايمة، وكلّ مستوطنين بتراب وادي وادران ونواحيه ومن قرون عديدة سلفا عن خلف، بطلب إلى عامل الصّخيرة عمر بن خليفة، حتى يتسنّى لهم زيادة الحرث والغراسات في الأرض المذكورة.ذلك ولم تقف المطالب هناك، ففي سنة ١٩١٨م قدّم أهالي عروش نفّات إلى العمدة الكاتب العام للأمر الإداري

(١) الأرشيف الوطني، رقم: ٢٢٣ بتاريخ ٢٤ ديسمبر ١٩٠٧.

بالدّولة التّونسية مكتوبا مصحّحا من طرف أعيان عروش نفّات جاء فيه[1] : "..**نحن جميع أهالي عروش نفّات من نزلاء الهنشير المذكور من جدود جدودنا خلف عن سلف من مدّة تزيد عن ثلاثمائة سنة وأسلافنا ثمّ نحن متصرّفون في بعض أراضي من الهنشير المذكور بالحرث والحصاد والمرعى وغرس بعض أشجار منها كروم الهندي والمنزل فيها بخيامنا وتصرفنا لذلك تصرف انتفاع فقط لا تصرّف تملّك كغيرنا من النّزلاء الذّين منهم البعض من أهالي الهمامة والبعض من أهالي الأعراض..**".

وبالتّالي لخّص أهالي نفّات مطلبهم في كونهم زادوا في غراسة الهندي، والقصد من ذلك التّمعّش وزيادة الأجر والانتفاع لا الامتلاك..وفي ذلك خضوع للأمر الواقع ورجوع عن المطلب الأوّل.

فريق فطناسة من عمل الهمّامة وأرض العجلة

لدينا في هذه الفقرة مادّة مصدريّة غنيّة ومتنوعة من رسائل وشكاوى اقتطفنا أهمّها لسنوات امتدت بين سنة ١٣٢٧هـ/ ١٩٠٩م وسنة ١٣٣٣هـ-١٩١٤م، وتبرز جوانب عدّة للحياة الاقتصادية والاجتماعية وعلاقاتها بالسّلطة العليا، وأيضا انطباعات حول سلوك هذه المجموعات الّتي سنراها في وثائق عديدة ضمن وصف دقيق ومفصّل.

ذلك وقد بعث عرش الهمامّة برسالة إلى السيّد الوزير الأكبر يوسف جعيّط بتاريخ ٧ ذو القعدة سنة ١٣٢٧هـ، يعرّفونه فيها بأنفسهم.وهي رسالة كُتبت ضمن ميعاد فطناسة[2] الهمامّة عمل قمّودة مراقبة قفصة، جاء فيها أنّهم عرش كبير، لهم أرض بهنشير "العجلة" قرب هنشير الحاج قاسم، يتصرّفون فيها، وهي في حوزهم مدّة مديدة وسنين عديدة منذ عهد آبائهم وأجدادهم، وأنّهم عرش ما يزيد عن عدّة بيوت، وأنّ المراقب المدني "بطرياقة" ألزمهم الرّحيل عنها، في حين أنّهم لا ملجأ لهم غيرها.وتواصل تصرّفهم فيها وتسلّطهم على أصحابها، حتّى تقدّم أهالي عرش نفّات القائمين بأرض المهاذبة وعلى رأسهم "منصور بن محمّد كريد النّفاتي السّوداني" و"سالم بن عمر بن العيد النّفاتي" و"عمر بن عطيّة النّفاتي السّوداني"، وكلّهم من فرقة السّودان من عمل الصّخيرة، بشكوى[3] إلى

(١) الأرشيف الوطني، رقم: ٣٤٣ بتاريخ ٣٠ أفريل سنة ١٩١٨.

(٢) المرجع نفسه، رقم: ٢٣٠ بتاريخ ٧ القعدة ١٣٢٧ه.

(٣) المرجع نفسه، رقم: ٢٦٩ بتاريخ ٨ ماي ١٩١٣.

الوزير الأكبر السّيد يوسف جعيّط بتاريخ ٢ جمادي - ٨ ماي من سنة ١٣٣١هـ/ ١٩١٣م، بعد أن وجّهوا دعواهم إلى عامل المهاذبة ونفّات السّيد عمر بن خليفة بما لحقهم من أذى وتسلّط من قبل فرقة فطناسة من الهمامّة بأرضهم الكائنة بعمل الصخيرة بتراب المهاذبة المعروفة "بوجه قرعات العجلة"، حيث شاغبوهم فيها بغية افتكاكها من بين أيديهم؛ على غرار ذلك وجّه الوزير الأكبر السّيد يوسف جعيّط بمكتوب وزيري عدد ٣٦١٤[1] مرفقا بشكوى أهالي نفات إلى السّيد عامل الصّخيرة-يطالبه فيها بالتّعريف بالأرض المذكورة، ويسأله إن كانت من الأراضي المشتركة أم الخاصّة. وجاء الرّد[2] بأنّها أرض غير مشتركة، وهي من مشمولات وقف الشيخ سيدي مهذّب من عمل الصّخيرة والمتصرفين فيها نفات كغيرها من الوقف المذكور. إلاّ أنّ فريق فطناسة من عمل الهمامّة الظّهارة تسلّطوا عليهم، حتّى إنّ الأمر وصل إلى وقوع معركة دمويّة بينهما علمت بها المراقبة المدنيّة بصفاقس.

لم يقع ردع الفريق المتسلّط على الأرض المذكورة وأصحابها، ممّا زاد هؤلاء المتضرّرين إصرارا في إعادة إرسال شكوى إلى الوزير الأكبر، يذكّرونه فيها ما قد عرّفوه به في شكواهم السّابقة المؤرّخة في ٨ ماي، مؤكّدين على نتيجة أمر نازلتهم تلك، وأنّ وقت الحرث قد قرب، وأنّ جماعة فطناسة يهدّدونهم بكلّ مكروه، ذلك وأنّهم أكثر منهم عددا، وبالتّالي طلبوا الرّجاء من السّيادة العليا بفضّ النّزاع، وردع أذى المشاغبين، وإيقاف كلّ منهم في تراب عمله[3].

وفي حين كان أهالي عرش نفّات يشتكون أهالي عرش فطناسة للوزير الأكبر، كانت جماعة عمل الهمّامة يبعثون بمراسيل إلى الكاتب العام للدّولة جاء فيها ما يلي: **"عرفنا بأنّ جناب الدّولة أمرت برفع أيدينا على القطعة المذكورة والارتحال عنها لكي يقع تسليمها لمربّي الأنعام...ونعرّف جنابكم أنّ القطعة المذكورة هي أعزّ أرضنا ولا يمكننا القيام بضروريّات معيشتنا بدونها لكونها القطعة الوحيدة الّتي بها مزارعنا الصّالحة ومعالم مائنا السّهلة لأنّه وإن كانت لنا أرض أخرى دونها وبها بعض آبار فإنّها غير صالحة للحراثة على الوجه الأتمّ وآبارها ينزح ماؤها بسرعة مع شدّة عمقها الّذي لا يقدر الإنسان**

(١) الأرشيف الوطني، رقم: ٢٧٣ بتاريخ ٣١ ماي سنة ١٩١٣.

(٢) المرجع نفسه، رقم: ٢٧٤ بتاريخ ١٥ جوان ١٩١٣.

(٣) المرجع نفسه، رقم: ٢٨٢ بتاريخ ٨ أكتوبر ١٩١٣.

على تحضير حبالها ودلائها إلاّ ببذل مصاريف باهضه تجحف بنا عند مباشرتنا لجلب الماء منها أواخر فصل المصيف عند اضطرارنا للنّزول قرب أهنادنا والحال أنّ غالب حيواناتنا نبقيهم بنواحي العجلة مع رعايتها لسهولة شرب الماء منها...حيث أنّ قطعة العجلة المذكورة تساوي قيمتها من حيث جودة تربتها عشرة أضعافها في الأقلّ من أحسن أرضنا الأخرى كما يطلب جميعنا بصوت واحد بمشاركة نسائنا وصبياننا الّذين لا يشكّ في ضياعهم واضمحلال حالهم بأخذ أرضهم المذكورة.."[1].

وما شدّنا في هذه الوثيقة هو الأسلوب الّذي اتبعه أهالي فطناسة لإثارة شفقة السّلطة، ومن النّاحية الأثريّة والجيولوجيّة هو نوعيّة تربة هذه الأرض وتوفّر الآبار الصّالحة للشّرب والسّقاية فيها بأسلوب وصفي دقيق يبرز أهمّية المكان وقيمة الأرض.

ثمّ نعود لأصل النّازلة القائمة بين أهالي نفّات وأهالي فطناسة حول الأرض المذكورة، إذ تواصلت المراسلات بين الوزير الأكبر وعامل الصّخيرة حول هذا الموضوع[2]، وأيضا شكاوي نفّات للسّيد يوسف جعيّط.و قد انتبهنا هنا لوثيقة على غاية من الأهمّية تذكر خروج كلّ من العاملين على أراضي الجلاص والهمامة والمثاليث ونفّات إلى الأرض المذكورة، حتّى يقف كلّ في تراب عمله بالحقّ والصّدق، ومنه اتفّق مراقب ترياقة مع عامل الهمامة على إحضار الملفات في أرض الخصم، وهم فطناسة.إلاّ أنّه تغيّب عن الموعد، ثمّ أتى إلى عين المكان في اليوم التّالي من غير حضور أصحاب الخصم، وكتب بيانا من نفسه بما يرضي أهل رعايته مخاطبا أهالي نفّات قائلا: **"...أني خصيمكم وليس فطناسة خصماكم واحسبوني فطناسي وكيف تنزلولي في الأرض فيوقع لكم قتل الأرقاب".وهنا عبّر أهالي نفّات "والله ثم والله ما أخبرناك إلاّ بالحقّ...وأمّا أصحاب الهرج والمتعرّضين والعاصين عن الشّريعة والقانون الفرنساوي..بالحكم وحاكمين بالذّراع"**[3].

وعليه خاطب الوزير الأكبر السّيد يوسف جعيّط في مكتوب وزيري تحت عدد ٤٧٥٦ إلى عامل الهمامّة السّيد محمد الطّيب

(١) المرجع نفسه، رقم: ٢٧٧ و٢٧٩ بتاريخ ٢ أكتوبر ١٩١٣.

(٢) الارشيف الوطني، رقم: ٢٨٠ بتاريخ ١٨ أكتوبر ١٩١٣.

(٣) المرجع نفسه، رقم: ٢٨٤ بتاريخ ٢٣ ذي القعدة سنة ١٣٣١ه-١٩١٣م.

المقراوي، مستخبرا عن أصل الأمر، ومنه أتى الجواب في حجّة[1] جاء فيها: "إننا حللنا بالأرض المذكورة في سادس عشر من شهر أكتوبر المنصرم، وباستفسار أعيان فطناسة عن حدودها ذكروا لنا أنها يحدها قبلة هنشير الحاج قاسم بتراب أولاد سيدي حسن بن الحاج القاسمي وشرقا طريق صفاقس المعبر عنه بطريق البياعة وجوفا طريق قابس إلى أن يتصل بذراع هنشير العركه ثم تنحرف جوفا مع الذراع المذكور الى أن يتصل بسبخة المشقيق ثم يمر الحد المذكور من الجوف مقربا مع الشاطئ المذكور إلى أن ينتهي الشاطئ المذكور وغربا انتهاء شط مشقيق آخر الحد الجوفي ويمر الحد مقبلا إلى أن يتصل بعقلة الدوالي ومن هناك يمر مقبلا بانحراف إلى الشرق حتى يتصل بهنشير الحاج قاسم الحد القبلي المبتدأ به وأن القطعة المذكورة في حوزهم التام بجميع حدودها وتصرفهم العام وأسلافهم من قبلهم يتصرفون فيها بالحرث والرعي وفي كل عام يدفعون معاليم العشر لعامل الصخيرة نظرا لكون الأرض المذكورة من مشمولات تراب عمله بمقتضى الحد المرتسم بخريطة الأعمال[2] لا كونها في حوز البعض من عرش نفات وأدلوا بعدة تنابر في العشر مختلفة التاريخ والأعداد والأعوام متعلقة بالعجلة مرسومة بأسماء أنفار من أهالي فطناسة قايلين يبن في كل عام يرفعون تنابر العشر لعامل الصخيرة من حيث دخول القطعة المذكورة في تراب عمله باعتبار الخط المرتسم خطأ بل حد العملة لا كونها في تصرف العارضين من عروش نفات التابعين للعمل المذكور حسبما أمر ذلك مشهود لدى الخاص والعام استشهاد ايؤيد صحة التنابر المذكورة التي أمكن العثور عليها من التي كانت تحت يدهم متعلقة بالعجلة المذكورة عن سنين متطاولة عديدة وتلاشت لهم بسبب امتداد الزمان ذاكرين أنهم في كل سنة يرفعون العشر بعمل الصخيرة المذكور للأسباب المشروحة ويأخذون تنابر لهم...علاوة على ذلك بالبحث الخارجي الذي أجريناه في هاته النازلة أن أهالي فطناسة حايزين للقطعة المدعى بها ومتصرفون فيها منذ مدة مديدة كيف ذكر بالأدلة القطعية من تكرار التنابر منذ عهد بعيد إلى الآن وحتى الآن بالحرث والرعي وحيث تبين ما ذكر لخصنا جملة

(١) المرجع نفسه، رقم: ٢٨٥ بتاريخ ٢ نوفمبر ١٩١٣

(٢) الأرشيف الوطني، رقم: ٣٣٠ خريطة أعمال أضيفت للملحق.ملحق ٠٧

التنابر المعروضة علينا بورقة وجهناها لجنابكم الرفيع..داحضة لدعوى القايمين الحوز والتصرف في قطعة العجلة والحالة ما شرح آنفا هذا ما تحرر في المسألة أعلمنا به جنابكم السامي".

واصل الشّاكون من أهالي نفّات إرسال مكاتيبهم. وقد بعثوا إلى جناب العمدة الكاتب العام للدّولة شكوى تذكر حدود المكان كما يلي: **"محل النزاع أرض كاينة بقراب العجلة الكائنة بالحد الجوفي من عمل الصخيرة وتحتد للجنوب الشرقي يحدها قبلة أرض وقف الحاج قاسم وشرقا طريق عام أوصل لصفاقس وجوفا قرعات العجلة التي بها عقلة الحادي جهة وفي أخرى سبخة المشقيق وغربا أرض تابعة لوقف سيدي مهذب"**[1].

وحملت هذه الرّسالة[2] حلاّ يرضي جميع الأطراف في النّازلة حول الأرض المذكورة، يتحمّل فيها من رفع عنه الحقّ كافّة المصاريف والخسائر، وذلك بتوجيه كل من عامل الصّخيرة وعامل الهمّامة فريقه لإحالة نازلته على المجلس العدلي الكائن بترابه، ثم يقع التوجه من مجلس قفصة ومن مجلس صفاقس وفصل القول بينها أمام الجميع في وقت واحد ومكان معيّن يفصل فيه الأمر بالقول الحقّ. وجاء في المكتوب وصف دقيق لأهالي قفصة من الهمامّة الظّهارة بما يتّسمون به على حسب قولهم من **"التجاسر على الغير ومن ذوي الصلابة وعدم الاكتراث من العواقب...ولو بلغ بهم الأمر ما بلغ معتمدين في ذلك على كثرة عددهم وصلابتهم المشهورة وتعصبهم الجاهلي"**.

وجمع السّيّد عمر بن خليفة عامل الصخيرة في مكتوب بتاريخ ٢٥ محرّم الحرام وفي ١٣ ديسمبر سنة ١٣٣٣ه/ ١٩١٤م، أي بعد حوالي سنة من الوثيقة السّابقة، كلّ الرّسائل والمخاطبات الّتي ارتبطت بهذه النّازلة، مؤكّدا على أنّ الأرض المعنيّة بالأمر، هي من مشمولات حبس سيدي مهذّب من عمل الصّخيرة، وغير داخلة في تراب عمل الهمامّة والمتصرّفين فيها من أهالي نفّات، وأنّ العام الفارط شاغبهم فيها أهالي فطناسة. وبعد وقوع كلّ ما ذكر في المراسلات السّابقة، طلب من السّيد الوزير الأكبر يوسف جعيّط صدور الإذن بفكّ النّزاع ووقف كلّ عند حدّه وصدّ الهمامّة من مشاغبة الفطناسى.

ويحيلنا هذا الكمّ من الوثائق على كثرة النّزاعات والمشاكل المثارة حول أراضي

---

(١) المرجع نفسه، رقم: ٢٩٢ في تاريخ ٢٩ نوفمبر ١٩١٣.

(٢) المرجع نفسه.

حبس سيدي مهذّب. وما نستخلصه من كلّ ما سبق أنّه وبغياب نصّ الرّسم الأصلي للحبس، والّذي به تحديد لكافّة حدود المجال المذكور، تطاولت أيادي عدّة من المستنفعين بالأراضي المذكورة لتحاول السّيطرة على الأماكن الّتي يتمعّشون منها لسنين عدّة هم ونسائهم وأطفالهم وحيوانهم، والنّزوع نحو تملّكها؛ وهذا ما أدّى إلى تغيّر الحدود الأصليّة، وبالتالي التّدخل في المجال من جهات مختلفة.

ويتبين لنا من كلّ ما سبق كثرة الخلافات الّتي وصلت أحيانا إلى حد النّزاعات الدّمويّة، نتيجة غياب السّلطة المركزيّة وتعدد الأطراف المتدخّلة التي تحاول إثبات صحّة رأي أهل رعايتها. الشّيء الذي أدّى إلى تسلّط بعض المواطنين على غيرهم، معتبرين أنفسهم أهل الحكم والفصل والقانون. وبالتّالي فإنّ علاقة السّلطة بالقبيلة كانت غير مباشرة، وخلّفت لدى البعض الشّعور بأحقّية القرار، خصوصا وأنّ علاقة القبيلة بالمجال كانت علاقة قويّة من الصّعب إنهاؤها حتّى وإن وصل الأمر إلى الاقتتال. فكيف إن تعلّق الأمر بأرض جدّهم الوليّ الصّالح المبارك صاحب النّسل الشّريف في نظرهم.

ولم تتوقّف النّزاعات حول الأرض عند هذا الحد، لأن الطّامعين في أراضي الحبس لم يكونوا من أصحاب العروش والقبائل فقط، بل إن الدّولة بدورها شكلت طرفا مهما في هذه الخلافات.

النّزوع نحو تفتيت الحُبس

تعاملت الدّولة بتعاون مع المنتفعين من المستعمرين، وسهّلت لهم فرصة التّعمير في البلاد. ويظهر لنا ذلك من خلال المراسلات المتبادلة بين القائمين على إدارة المجال المدروس من تونسيّين وأجانب، وبين الوزير الأكبر. ونورد في هذا المجال رسالتين مهمّتين تلخّصان الرّغبة المباشرة في انتزاع الأرض الّتي هي من شأن الحبس، وفتح المجال للمعمّرين للاستثمار فيها.

جاء في رسالة من السّيد مدير المال "دوكروكي" إلى السّيد الوزير "محمد العزيز بو عتّور" بتاريخ ٢٦ ذي الحجة ١٣٠٩هـ/ ١٨٩٢م(١) شكوى من شيخ زاوية سيدي مهذّب الّذي كان قد اشتكاه قبله المدير السّابق في غرّة شهر صفر عام ١٣٠٨هـ/ ١٨٩١م حول ثمان إجراءات في حقّ الشّيخ الّذي ادعى حقوق الحبسيّة في

---

(١) المرجع السابق، رقم: ١٤ موقّعة من مدير المالية "دوكروكي" بتاريخ سنة ١٣٠٩ه/ ١٨٩٢م.

أراضي مرسى الصّخيرة، حيث أذن لنفسه بالتّصرف في كرائها دون علم الدّولة، ممّا أدّى إلى حدوث فوضى في المكان عسّرت حركة المرور والوصول إلى المرسى المذكور، نظرا لوجود أبنية كان يجب أن تكون مدروسة ومنظّمة حسب مشروع قائم الذّات حسب تخطيط مسبق.وعليه تقدّم بهذه الشّكوى محتجّا بما سبق وقدّمه عامل المثاليث وما جاءت به تقارير الإدارات بالمكان للحكومة، فضلا عن أنّ أصول مرسى الصّخيرة كلّها **"أراضي موات غير منتفع بها ولم تكن بحوز أحد فعلا قبل جعل المرسى ومركز القمرك وبأنّ الحالة من ليس محبس شيخ مهذب أية كانت الحدود المعيّنة برسوم ملكه أدنى حقّ بالتّصرّف بالأراضي المشار إليها إذ أنّ بمقتضى الشّرع...للأمير لا غير الحقّ بأن يحيز الانتفاع بالأراضي الموات وإحيائها"**.واستشهد أيضا بالمكتوب السّابق للمدير المذكور، الذّي كان قد أشار فيه إلى الدّعوى الّتي ادعت بها عروش المهاذبة في خصوص **"أراضي موات ببرج يونقة كائنة من جهة الجوف مع انحراف"** وقد أنابت الدّولة في ذلك الوقت إدارة المال للمرافعة عنها في هذه النّازلة، وصدر الحكم على نفّات والمهاذبة بإعطاء الحق للدّولة وحدها في الأراضي الموات ببرج يونقة.

ولنفس الأسباب طالب مدير المال السّيد دوكروكي الحكومة بمنع شيخ الزّاوية من التّصرف في أراضي مرسى الصّخيرة، وإلغاء عقود الأكرية فيها، وتكليف إدارته بالتّصرف فيها وتقسيمها ضمن أشغال عامّة.وعليه أوقفت الدّولة الشّيخ المذكور، وألغت جميع العقود، وألزمته بالامتثال للدّولة، وقد قبل بذلك إلاّ أنّه أصرّ على أنّ الأراضي حول الصّخيرة حبس، ولا يجوز للقانون بيعها.حتّى إنّ عقود الأكرية التي أبرمها لم تكن سوى عقود وقتيّة.

وبالأمر الصّادر في ١٥ شوّال ١٢٩١هـ الموافق ل ٢٥ نوفمبر ١٨٧٤م، والأمر المؤرّخ في ١٣ محرّم سنة ١٣٠٣هـ الموافق ل ٢١ أكتوبر سنة ١٨٨٥م لصور التّقسيم التي جعلتها الأشغال العامّة، طالب السّيد دوكروكي الحكومة بالإسراع في إصدار الأمر، وإنهاء هذه النّازلة، للتّصرف في الأراضي المشار إليها، وجعل العقود القديمة قانونية تخوّل الحق حتى للأهالي في التّملّك من خلال الشّراء القانوني للأراضي التي هي بالأصل في يدهم، وبالتالي توفير المحلاّت اللاّزمة والاحتياجات العموميّة، وإحداث مركز لخدمة المرسى، ومحلّ يحطّ به العساكر، وإنشاء مقبرة وغيرها.هكذا كانت

محاولات الحكومة من أجل انتزاع الأرض من المهاذبة من جهة. ومن جهة أخرى دعت الدّولة إلى إحداث مشروع ميناء وقرية بالصّخيرة، وبدأ العمل على ذلك من طرف جهات مختلفة تحت دعوى إحداث مرفأ لتصدير الحلفاء، وأسواق، بعد أن أُحدث مركز العمل والبوسطة وجمرك الدّخان الذّي سعت إليه سابقا. ونظرا لكثرة التّحركات بالمنطقة، وكثرة وجود المارّة ذهابا وإيّابا، جاء في رسالة من عامل نفّات والمهاذبة القائم مقام "أحمد بن بلقاسم بن حمّادي"(١) إلى الوزير الأكبر محمّد العزيز بو عتّور بتاريخ ٩ جمادي الأولى من عام ١٣١٣هـ الموافق لـ٢٧ أكتوبر سنة ١٨٩٥م(٢) وصف دقيق لمرسى الصّخيرة، يبيّن دراسته للمكان حيث يقول فيه: **"تأمّلنا في جميع أحوالها فوجدتها ذات موقعا حسنا حيث أنّها على شاطئ البحر وقريبة منه جدّا وفي الغالب ترد إليها البابورات والفلك المعدّة لوسق الحلفاء وترسي قريبة من الشاطئ المذكور لسهولة البحر وعمق المياه وبالجملة إنّها على غاية ما يكون من الانشراح"**. وعليه طالب الدّولة بمعاوضة مساحة الأبنية المذكورة، حيث سبق وقدم إليها مهندس قام بقياسها وأحدث لها مثالا، وصار في استطاعة الحكومة إحداث أسواق تجلب من خلالها الأهالي، نظرا لعدم توفّر ذلك بالمكان، وبالتّالي يندفع النّاس منهم وأيضا من الأجانب إلى إنشاء أبنية، ثمّ تعمّر المنطقة، ويصبح هنشير زاوية سيدي مهذّب معمّرا، فينتج عن ذلك ازدهار في الفلاحة والاقتصاد كما جاء ذكره: **"فحينئذ يحصل المقصود والنفع للجميع وبالأخصّ لأحفاد الزّاوية والتّجار وغيرهم ويكون ذلك سعيا لتعمير هنشير الزّاوية وتعاطي النّاس في الفلاحة وغرس شجر الزيتون وكرم الهندي والتين والغلال والبقول وغير ذلك"**.

وقد تحدّث السّيد أحمد بن بلقاسم في ذلك مع شيخ الزّاوية وأحفادها من الرّجال الكبار الأعيان وأصحاب الثّروة منهم، واتّفق معهم في ثمن ذلك وأجابوه بالقبول والامتثال، ولم يتبقى سوى موافقة الدّولة ومساعدتها على المعاوضة، حيث أنّ الأهالي مستعدّون لمباشرة الغراسة، حتّى يتسنّى لعرش نفّات وغيرهم من ضعاف الحال، العمل وعدم ضرورة لجوئهم في أزمنة الخريف لأوطان

(١) نجد تعريفا لهذا الرّجل في كتاب، حبس سيدي مهذب بين المستحقين والمعمرين من الاحتلال إلى الاستقلال، للأستاذ الشيباني بن بلغيث، ص.٣٤.

(٢) الأرشيف الوطني التّونسي، ملف عدد ٦٤/ ٤ تحت رقم ١٠٨٥.

أخرى وترحالهم للتخريف على غلة الهندي كما أتت به العادة، حتّى أنّ هذا المشـروع سـيجلب أناسـا من جميع الجهات، القريبة والبعيدة عن المكان المدروس، فيقع التّردد عليه، ويحصل النّفع الكبير للدّولة وللجميع.

لا نشـكّ في أنّ هذه الرّسـالة أتت بمشـروع مدروس ومحكم، يحمل في طيّاته تكاملا وأهمّية، إذ أتى بإفادة للأهالي من خلال توفير الضـروريات اللاّزمة لهم ولحاجياتهم.إلاّ أنّ ذلك أتى بالإفادة أوّلا للمستعمر على حساب أراضي الحبس.ومنه نستخلص دور السّلطة في تغيير اتّجاه اهتمام القبائل، حتّى وإن كان ذلك على حسـاب أرض جدّهم التي هي في الأصل لهم وبين أيديهم.ثم أنّ غياب الرّسم الأصـلي للحبس الذّي يثبت حدوده، وطمع جميع الأطراف في أراضي المهاذبة، وتدخلها في حوزهم، أدّى إلى الرّضوخ والقبول ما دام ذلك يضـمن حقّهم بطريقة قانونيّة، وبالتّالي وقع تحوير المجال حسب الحاجة الخاصّة ثمّ العامّة على حسـاب الانتماء الجغرافي والقبلي للعروش.

خاتمة

للوثيقة أهمية كبيرة لما تتضـمنه من معطيات طبونوميّة وإسـميّة وتاريخيّة لم ترد بالشّـكل المطلوب في المصـادر.فقد وضّـحت هذه الوثيقة الحدود المتعارف عليها لدى العامّة، وبيّنت كنموذج، الأوضـاع بإفريقيّة خلال القرن الثّامن للهجرة، والمتمثّلة في الانهيار التّام والاضـطراب السّـياسـي النّاجمين عن عدم قدرة السّـلطان على التّحكم في الأقاليم أمام تعاظم دور القبيلة وظهور أنماط جديدة في التّركيبة الاجتماعيّة تمثّلها القبيلة المرابطيّة التي دائما ما تكون مُؤسِّسـة لمجال ترابي خاص بها.كما أثارت الوثيقة أيضا إشكاليّات جديدة تتطلّب التّحقيق ومزيد التّحري حول الأخوة الخمسـة من المثاليث، وحول من تصـدّق بـالمجال إلى الولي مهذّب بن بلقاسم.كما كان هذا الحبس، الجامع للعديد من التّركيبات القبليّة بما فيها نفّات وفطناسة، محلّ نزاع ومعارك دمويّة في الفترة المعاصرة التي رصدناها في وثائق الأرشيف.

الملاحق

ملحق ٠١ : حجة المهاذبة

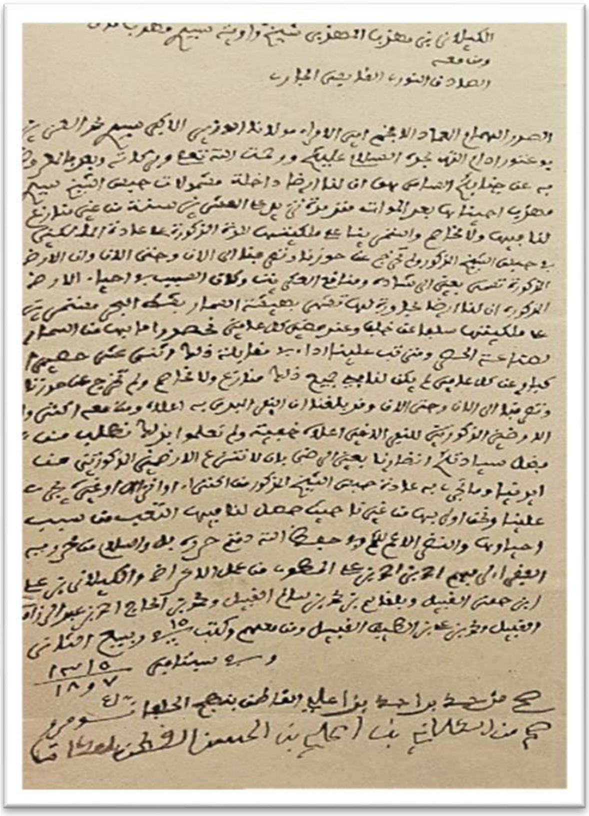

ملحق٠٢ : هيشة السمار

ملحق ٠٣ : وثيقة نسب سيدي مهذّب

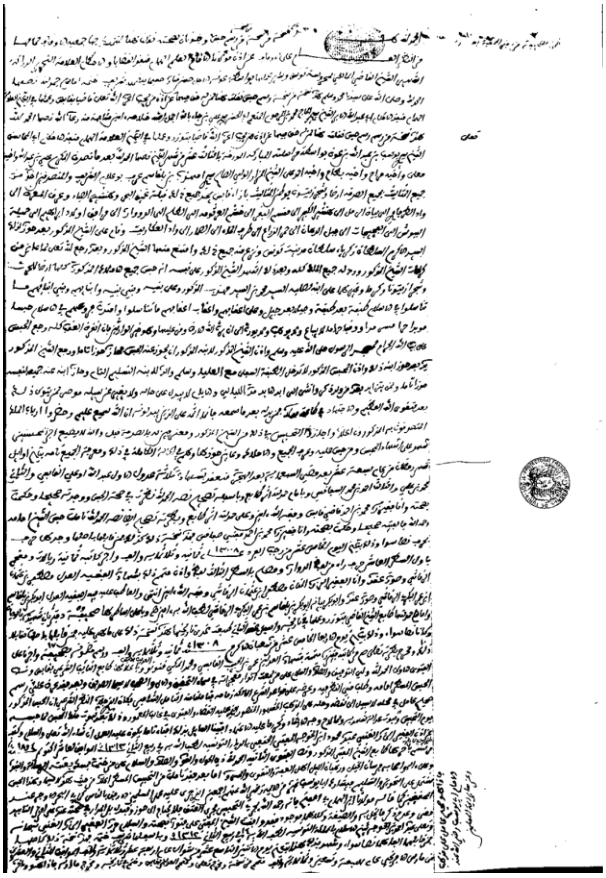

ملحق ٠٤ : وثيقة النسخة الثالثة من رسم حبس سيدي مهذب يعود لسنة ١٣١٤ هـ/

.١٨٩٧

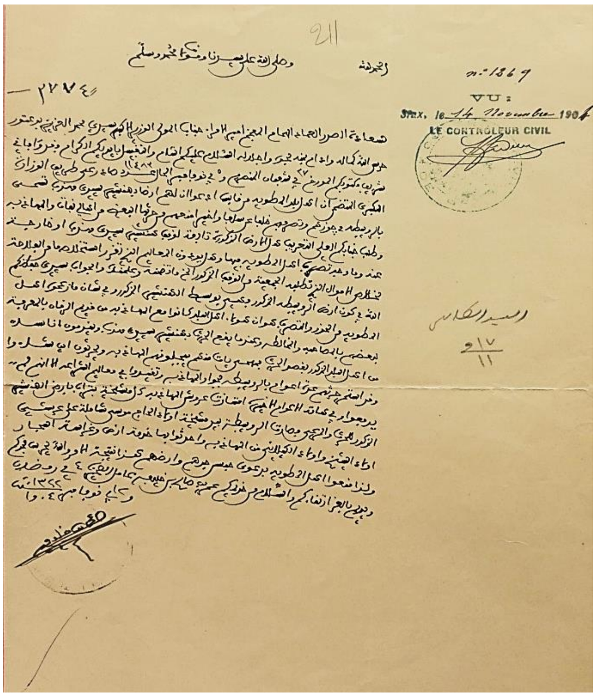
الحمد لله وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وسلم

n°: 1869

٢٢٧٤

VU:
Sfax, le 14 Novembre 1904
LE CONTROLEUR CIVIL

ملحق ٠٦ : وثيقة شكاية المهاذبة حول هنشير الرويبطة

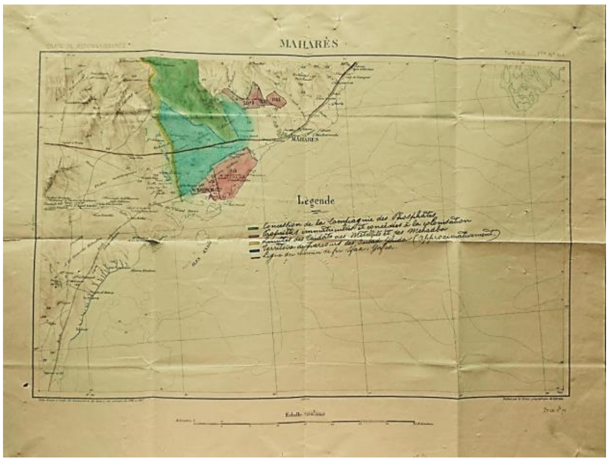

ملحق ٠٧ : خريطة المحرس تحدد مجال المهاذبة والمحرس

مركز التاريخ العربي للنشر
ناشر_الخير#
مركز التاريخ العربي للنشر
تركيا -اسطنبول-شرينفلر-ش المارشال فوزي -الطابق الأول-مكتب رقم١
mmk1976mmk@gmail.com
+905446117942
تواصل معنا